

غير متضمن للبيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسجد الإسلام

عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَوْ أَنَّ بَيْنَ كُلِّ امْرِئٍ وَبَيْنَ رَجُلٍ مِثْلَ الْوَقْعَةِ لَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ بِرَأْسِ الْآخَرِ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

الطبعة (٥٧) العدد (١) الحزم ١٤١٩ هـ - مايو ١٩٩٨ م

مفهوم وحدة الأمة الإسلامية
من خلال القرآن والسنة

مواقف خالدة في هجرة الرسول

من محتويات العدد

غلاف الشهر

مع مطلع العام الهجرى الجديد
تتذكر أحداث الهجرة النبوية
الشريفة من مكة إلى المدينة
لنستلهم منها الدروس والعبر، فقد
كانت الهجرة إعدادا للجهاد ضد
الباطل وأعدائه وانطلاقا بالدعوة
إلى آفاق جديدة يقول الحق تبارك
وتعالى: «إلا تنصروه فقد نصره الله
إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا
تحزن إن الله معنا». (التوبة آية ٤٠)

- * تفسير سورة الفتح
فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى
- * مفهوم وحدة الأمة الإسلامية من خلال القرآن والسنة
د. محمود حمدي زقزوق
- * بين عامين .. ذكرى وعبرة
فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي
- * الهجرة النبوية
د. أحمد عمر هاشم
- * العلم الإسلامى وحوار الحضارات
د. أحمد فؤاد باشا
- * مواقف خالدة فى هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم
د. صبرى عبد الرؤوف
- * الحرب النفسية ووعى المواطنين
لواء / محمد جمال الدين محفوظ
- * عقيدة التوحيدى بين الزندقة والفلسفة
د. محمد عمارة

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الاعلى للشئون الإسلامية ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة ١٠.٥٠ عشرة جنيهات ونصف بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة ١٧ سبعة عشر دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الافريقى «بريد جوى».
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٠ ثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٦٠ ستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية وأستراليا واليابان.

المراسلة:

٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٣٥٤١٦٢٧ - ٣٥٥٨٦٦٤
تلفرافيا - منبر الإسلام - القاهرة

كلمة التحرير

الهجرة الدائمة

إذا كانت الهجرة ببدولها العام تعنى انتقالاً من مكان إلى مكان أو من حالة إلى حالة أخرى فإن الكائنات على اختلاف أنواعها في هجرة لا تتوقف ولا تتخلف، فلا شيء يعرف الثبات والاستقرار على حالة واحدة، فالإنسان في هجرة متتابعة منذ خلقه الله نطفة فعلقة فمضغة، فعظاما مكسوه لحماً، فوجودا بعد ذلك يشهد على عظمة الخالق، ثم يرى النور وليداً، رضيعاً، فغلاماً صغيراً، فشاباً قويا فشيخاً ضعيفاً، ثم هرمًا فانياً، وهكذا تصبح رحلة العمر الإنساني في هذه الحياة الدنيا سلسلة متلاحمة من الهجرة الدائمة وغير الإنسان من الكائنات حتى الجمادات تعرف الهجرة، وإن كنا لا نقف على آثارها إلا بعد مراحل زمنية طويلة وبعد دراسات علمية دقيقة.

فالهجرة إذن سنة من سنن الله في كونه تدل على تفرد سبجانه بالوحدانية والبقاء الذي لا يعتريه ذبول أو أفول.

وحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي يجب أن يعيه كل مسلم « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » إشارة إلى لون من ألوان الهجرة على الأمة أن تحرص عليه كل الحرص . حتى لا تذهب ريحها أو يطعم فيها أعداؤها . والمتريصون بها ، هذا اللون من الهجرة يتمثل في هجرة كل عوامل الضعف على تباينها وفي مقدمتها ضعف العقيدة لأنه عماد كل ضعف تصاب به الأمة فإذا قويت عقيدتها توافرت لها كل أسباب القوة في شتى الميادين ومن ثم تعيش أبية كريمة متقدمة.



مجلس الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدي زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: صوفى أبو طالب

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الدكتور: أحمد هيكل

حديث التنكير

رئيس التحرير

حديث الهجرة

مع أن «المجتمع المكي» كان مجتمعاً طارداً لأصحاب
«التوحيد» من المسلمين الذين أداروا ظهورهم للأصنام،
ورفضوا عبادتها وتعرضوا في سبيل ذلك إلى ما لا يكاد
يتصور من صنوف التعذيب والقهر.

لكنهم أقاموا وصبروا، وصابروا، وكان الرسول -
صلوات الله وسلامه عليه - يمر على بعضهم وهم
يمذبون فلا يملك إلا أن يقول: «صبرا آل ياسر،
موعدكم الجنة».

انتصار الدعوة.. وميلاد الدولة

أقاموا وصبروا وصابروا، لأن الوطن عزيز، والارتباط به
بعض فطرة الإنسان، ثم لأن جديداً طرأ على حياتهم
فحررهم من ضعف البشر، وجعل منهم نماذج للشموخ تغيرت
بها موازين الضعف والقوة بينهم وبين أعداء الإسلام من
المشركين فكانوا - وهم «المغلوبون» ظاهراً - منتصرين
بكبريائهم وتأييدهم على الشرك وأهله وبقية المجتمع المذهول
والعاجز عن قهر إرادتهم وحملهم على ما يريد.
وكان الجديد الذي صنع التحول في طبيعة هؤلاء الرجال
هو فقههم الدقيق لمعنى كلمة التوحيد.
معنى «لا إله إلا الله» هذه الكلمات الأربع التي بقى الرسول
- صلوات الله وسلامه عليه - طوال العهد المكي يربيههم عليها.
ليس لأنها عصية على الفهم، ولكن لأنها تحمل من
المضامين والمعاني ما يوازي تلك رسالة الإسلام، بتعبير آخر
ما يعنى المنهاج المطلوب لبناء الإنسان المؤهل لحمل أمانة عقد
الاستخلاف عن الله في الأرض.
بناء الإنسان الذي لا يحنى رأسه إلا لخالقها، والذي

انتصر
.. المهاجرون
بقفه «كلمة
التوحيد»

خصاصة. ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

أما دستور المدينة!!

والذى قام بوضعه الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - مباشرة بعد الهجرة، وكان أول دستور فى التاريخ يتم صياغته على نفس الأسس الدستورية التى قامت عليها القوانين الحديثة.

والذى حدد فيه مساحة الوطن (وطن الدولة الجديدة الوليدة) بين جيل كذا وجيل كذا، ثم حدد فيه شعب هذه الدولة،

الشرائع الثلاث التى كانت فيها وهم المهاجرون والأنصار، واليهود..

نعم : اليهود الذين كان يجرى النص عليهم فى وثيقة المدينة بتفصيل دقيق يتحدث عن كل قبيلة باسمها ويقرر لها مثل ما للمسلمين من حقوق ومثل ما على المسلمين من واجبات.

وكان بهذا أول دستور فى دولة الإسلام الوليدة ينص على قبول التعددية والاعتراف بالآخر، ويكفل له كل حقوقه ما بقى على الولاء والانتماء الذى أوجبه ذلك الدستور.

لقد كانت الهجرة أعظم الأحداث فى تاريخ الإسلام

والسبعين بعد المائة من سورة «البقرة» «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب. ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين. وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام

وانتصر «الأنصار» بفقهه

آيات «البقرة» و«الحشر»

الصلاة وآتى الزكاة..

فخرجوا من فقها خلقا آخر، انحنى أمام سخائه التاريخ وصنعوا للدعوة أعظم تجربة فى تاريخ البشرية يقف فيها «الأنصار» وحدهم أعظم سادة الدنيا حيث الآخرون من الناس هم لها عبيد.

وأعنى بذلك موقفهم من تجربة «المؤاخاة» التى بسط القرآن لها الآيات فى سورة الحشر والتى خصهم فيها بالوسام الأعظم الذى عبرت عنه الآية التاسعة من السورة: «والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

يستشعر فى أعماقه بأنه مع كونه عبد الله فهو سيد فى الكون، تتساوى رأسه مع كل الرؤوس، فلا يذله الفقر ولا يطفئه الغنى، ولا يكون لزينة الدنيا وزخرفها من نفسه إلا أهون مكان وأضعف سلطان.

عندئذ يكون هذا الإنسان -

وهذا الإنسان وحده -

هو القادر على صناعة

التاريخ، وعلى التمكين فى أرض الله لكلمات

الله.

وهذا ما كان عليه

المهاجرون الذين

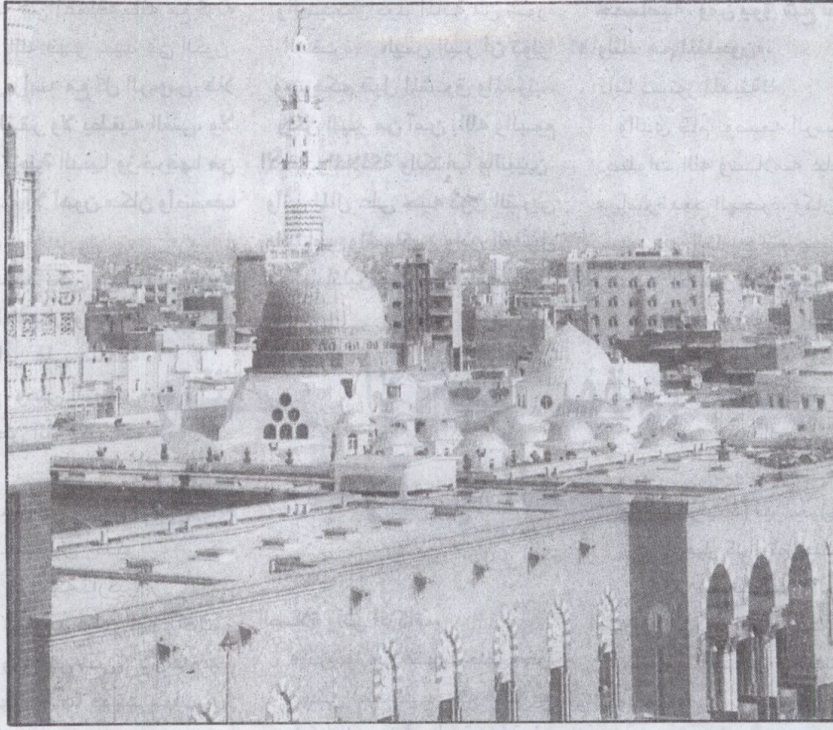
خرجوا من مكة تاركين

وراءهم ديارهم، وأموالهم وأهلهم لا يلوون على شىء، لأن قلوبهم وعقولهم بعدما فقهت معانى «لا إله إلا الله» كانت قد تعلقت بمرضاة الله ومضت تدعو إلى سبيله. وهكذا خرجوا مهاجرين!! أما المقيمون على الجانب الآخر فى «المدينة» فكانوا كذلك قد تغيروا وانتصروا.

وبنفس العامل الذى تغير به المهاجرون تغير الأنصار..

فى مكة حدث التغيير بكلمة التوحيد.

وفى المدينة حدث التغيير عندما استطاع أمير الدعاة مصعب بن عمير أن يعرض لهم «المعانى الكبار» فى الآية السابعة



أوله دستور فج التاريخ يعترف بالآخر ويخفف له لاقوهه وأوله تجربة فج التاريخ تقه الإنسان تنع نفسه

والمسلمين، انتصرت معها الدعوة وأعلن معها عن ميلاد الدولة. وقصة الهجرة وأحداثها وإن لم تحظ من النص القرآني إلا بالقليل، لكن ما جاء بشأنها في سورتي «التوبة» و«الحشر» كان عظيم الدلالة.

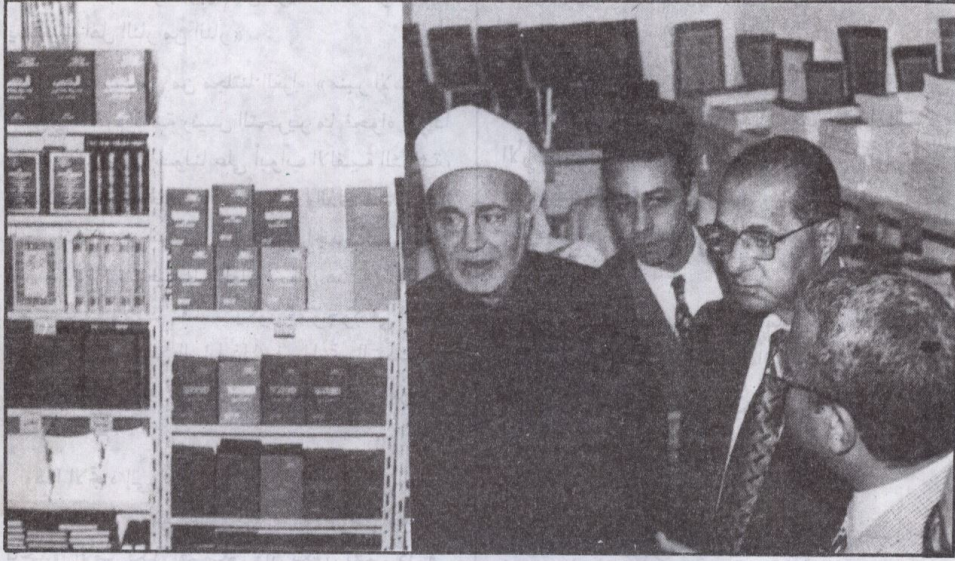
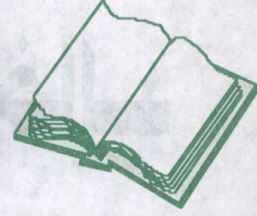
أولا: على صنائع «الإيمان» وما يمكن أن تحدثه من النيات والقوة لدى أهل الإيمان في أشد

ساعات العسرة على نحو ما جرى في حديث «الفار».

وثانيا: ما جاء في آيات سورة «الحشر» عن موقف الأنصار من تجربة «المؤاخاة» وما كان فاتحة لعرض الأساس الأعظم لما ينبغي أن تكون عليه علاقة الإنسان بالمال، ثم ما ينبغي أن تكون عليه سياسة الدول في النظام المالي في الإسلام.

بقيت الكلمة الأخيرة عن «الهجرة» في ذاتها من أنها لم تكن هجرة في المكان بقدر ما كانت هجرة داخله شملت كل الذين خرجوا من مكة إلى المدينة بقلوب وعقول ليس فيها أبدا من بقايا الجاهلية شيء لأنها امتلأت بالجديد.. العظيم الذي صنعه الإسلام.

منافذ جديدة لتسويق مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية



فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر والدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف يتفقدان مركز تسويق مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
تصوير : سيد الزفزاف

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر والدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف مركز تسويق مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمسجد النور بالعباسية. وصرح وزير الأوقاف بأن هذه المنافذ الجديدة توفر لقطاعات الجماهير المطبوعات الإسلامية التي تنشر الفكر المعتدل الذي يعبر عن وسطية الإسلام وسماحته لحماية الشباب من الفكر المتطرف، كما تتيح للقراء التعرف على كنوز التراث الإسلامى والفقه والحديث. وقال: إنه تقرر زيادة عدد النسخ المطبوعة من سلسلتى قضايا إسلامية ودراسات فى الإسلام التى تباع بسعر رمزى - خمسين قرشا - لتكون زادا للشباب فى التعرف على أهم القضايا المثارة على الساحة وموقف الإسلام منها.

الإسلام خالد

أمره «والله متم نوره ولو كره الكافرون»
سورة الصف: الآية ٨.

أفيقوا واعلموا أن وعد الله حق «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا»
سورة النور: الآية ٥٥

«إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» سورة غافر الآية ٥٠.

أيها المسلمون أبشروا لأنكم مسلمون «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» سورة آل عمران الآية ٨٤.

أبشروا، فإن المسيحيين إذا دخلوا الجنة فستدخلونها، لأنكم تؤمنون برسول الله عيسى ابن مريم، وإذا دخل اليهود الجنة، فستدخلونها، لأنكم تؤمنون برسول الله موسى بن عمران.. أما إذا دخل محمد صلى الله عليه وسلم الجنة فلايدخلها إلا المسلمون.

إن الدعوة الإسلامية شمس تحرق كل أساليب الظلام، والأعتام، إذا تصدت لها .. إنها دعوة رب السموات السبع ورب العرش العظيم، فائق الإصباح، وقالق الحب والنوى «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوى عزيز» سورة المجادلة الآية : ٢٠

د. محمد الدالي

عضو اتحاد الكتاب

«إن لله عبدا لو حجبهم عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار من النار».

في العدد السابق من مجلتنا الغراء «منبر الإسلام» جاء في ختام كلمة رئيس التحرير ما فحواه «وإذا كفار العالم من حولنا على أبواب الألفية الثالثة، للميلاد - القرن الحادى والعشرون - والذي سبق لدعاة النصرانية أن يعلنوا أن هذا القرن الجديد، سيكون قرن سيادة المسيحية على العالم، معنى هذا أن الإسلام - حسب مقولاتهم قد لا يكون له وجود فى القرن الجديد، وقد أعلن البابا ذلك فى المؤتمر التنصيرى الكبير، الذى عقد فى مدينة «كولورادو» الأمريكية سنة ١٩٧٨م.

وهذا الاتجاه إلى إعلان سيادة المسيحية على العالم، وإنهاء دور الإسلام يستوجب من ولاة أمر الأمة أن يأخذوا الأمر بكل اهتمام، وأن يكون لهم - كل فى نطاق ولايته - ردود فعل إسلامية «عقلية وثقافية ودعوية» تناسب هذا الخطر.

إن هذه كلمة حق.. وكلمة الحق لا يصدع بها إلا أولئك الذين يغارون على دينهم، وهم فى لقاء دائم مع الله، فإذا حجبوا عن رؤيته استغاثوا كما يستغيث أهل النار من النار.

أفيقوا أيها المسلمون، فالإسلام منتصر - لا محالة - بكم أو بغيركم، لأن الله سبحانه تعهد بحفظ كتابه «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»
سور الحجر الآية ٩.

أفيقوا أيها المسلمون واعلموا أن الله غالب على

القرآن الكريم وعلومه

- تفسير سورة الفتح
- التفسير البياني للقرآن الكريم



تفسير سورة الفتح

نظرات
فقه
مجتاز الله
تعالى

لفضيلة الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنْ

الْأَعْرَابِ سِتْدَعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأُسْ شَدِيدٍ تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ
فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
(١٦) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ
يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)
وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ
لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠)
وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرًا (٢١) ﴿ سورة الفتح (الآيات من ١٦ - ٢١)

الله عليه وسلم - به، فقال - تعالى: «قل للمخلفين من
الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد
تقاتلونهم أو يسلمون...».

أى: قل: أيها الرسول الكريم - لهؤلاء المخلفين من
الأعراب عن الخروج معك، ستدعون في المستقبل
إلى القتال معي لقوم أصحاب قوة وشدة في الحرب،
فيكون بينكم وبينهم أمران لا ثالث لهما وهما: إما
قتالكم لهم إذا ما استمروا على كفرهم وطفيانهم،
وإما أن يدخلوا في الإسلام فيكونوا إخوانا لكم.

١ - من الأساليب الحكيمة التي استعملها القرآن
الكريم في توجيهاته وإرشاداته، أنه يفتح للناس باب
التوبة إذا أخطأوا، ويدعوهم إلى عدم الإصرار على
الإساءة، ويبشرهم بأنهم متى صدقوا في الرجوع
عن خطئهم، وتحلوا بالقول الطيب وبالعامل الصالح،
غفر الله - تعالى - لهم ما فرط منهم، وهذا الأسلوب
نراه واضحا في الآيات التي معنا، لأنه - سبحانه -
بعد أن ذم الذين تخلفوا عن الجهاد في سبيله ذما
شديدا، فتح لهم باب الأمل في القبول إذا ما تركوا ما
هم فيه من ضلال. وأطاعوا ما كلفهم نبيهم - صلى

٢ - وقد اختلفت كلمة المفسرين في المقصود بهؤلاء القوم أولى البأس الشديد، فمنهم من ذهب إلى أنهم أهل فارس والروم. ومنهم من قال المراد بهم بنو حنيفة، أتباع مسيلمة الكذاب.

والذى عليه المحققون من العلماء: أن المقصود بهم: هوازن وثقيف الذين التقى بهم المسلمون فى غزوة حنين بعد فتح مكة، وذلك لأن عددا كبيرا من تلك القبائل المتخلفة قد اشتركت فى تلك الغزوة، حتى لقد بلغ عدد المسلمين فى غزوة حنين ما يقرب من اثنى عشر ألفا، ولأن أهل هوازن وثقيف قد كانوا يجيدون فن الرماية والكر والفر، فاستطاعوا فى أول المعركة - بعد أن اغتر بعض المسلمين بكثرتهم - استطاعوا أن يفرقوا بعض صفوف المسلمين، ثم تجمع المسلمون بعد ذلك وانتصروا عليهم، ثم كانت النتيجة أن انتهت تلك الغزوة بإسلام هوازن وثقيف، كما هو مفصل فى كتب السيرة.

ولقد حكى القرآن ما كان بين المسلمين وبين قبائل هوازن وثقيف من أحداث فى قوله - تعالى - ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ٢٦ ثُمَّ يُتَوَبُّ اللَّهُ مَنِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٦﴾ (سورة التوبة: الآيات ٢٥ - ٢٧)

وقوله - سبحانه - «فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا، وإن تتولوا كما توليتم من قبل، يعذبكم عذابا أليما». بيان للثواب العظيم الذى أعدّه - سبحانه - للطائعين، وللعذاب الأليم الذى توعده به الفاسقين.

أى: فإن تطيعوا - أيها المتخلفون - رسولكم - صلى الله عليه وسلم - يؤتكم الله من فضله أجرا

حسنا، وإن تتولوا وتعرضوا عن الطاعة، كما أعرضتم من قبل فى صلح الحديبية عن طاعته، يعذبكم - سبحانه - عذابا أليما.

٣ - ثم ساق - سبحانه - بعد ذلك ما يدل على سماحة شريعته، وأنه - عز وجل - لا يكلف نفسا إلا وسعها، وأن الجهاد فى سبيله مع أنه ذروة سنام الإسلام، لم يفرض على أصحاب الأعدار الشرعية الذين لا يستطيعونه، فقال - تعالى - «ليس على الأعمى حرج، ولا على الأعرج حرج، ولا على المريض حرج».

أى: ليس على هؤلاء إثم أو ذنب فى التخلف عن الجهاد، لما بهم من الأعذار والعاهات المرخصة لهم فى التخلف عنه.

«ومن يطع الله ورسوله» فيما أمرا به أو نهيا عنه «يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار» أى: أن المسلم الذى يواظب على أداء ما أمر به، يدخله خالقه - عز وجل - جنات تجرى من تحت أشجارها وثمارها الأنهار العذبة.

«ومن يتول» أى: ومن يعرض عن طاعة خالقه «يعذبه» - سبحانه - «عذابا أليما» لا يعرف مقدار شدته إلا الله - تعالى.

٤ - ثم بشر الله - تعالى - المؤمنين الصادقين ببشارات متنوعة، ومدحهم مدحا عظيما، لوفائهم بعهودهم، فقال - تعالى: «لقد رضى الله عن المؤمنين إذا يبايعونك تحت الشجرة...».

والمراد بهذه الشجرة: شجرة كانت بالحديبية، جلس النبى - صلى الله عليه وسلم - تحتها ليبايع أصحابه على الموت، أو على عدم الفرار، عندما بلغه - صلى الله عليه وسلم - أن المشركين قد قتلوا

عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فبايعوه على ذلك -
ماعداء بعض المنافقين - وتسمى هذه البيعة بيعة
الرضوان.

وقد كان الناس بعد ذلك يترددون على تلك
الشجرة ويصلون تحتها، ويدعون الله - تعالى - فأمر
عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بقطعها خشية
الافتتان بها.

والمعنى: والله لقد رضى الله - تعالى - عن
المؤمنين الذين بايعوك - أيها الرسول الكريم - تحت
الشجرة على الموت من أجل إعلاء كلمة ربهم.

وفى هذه الجملة أسمى وأعلى ما يتمناه إنسان،
وهو رضا الله - تعالى - عنه، ودخوله فى زمرة العباد
الذين ظفروا بمغفرته - سبحانه - وبرحمته.

وفى فضل بيعة الرضوان وردت أحاديث متعددة،
منها ما رواه الشيخان - البخارى ومسلم - عن جابر
ابن عبد الله - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - قال لمن حضر هذه البيعة: أنتم خير
أهل الأرض.

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن أم بشر عن
النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لا يدخل
النار أحد ممن بايع تحت الشجرة». وقوله - سبحانه -:
«فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم، وأثابهم
فتحا قريباً»: بشارة أخرى لهؤلاء المؤمنين الصادقين.
أى: لقد رضى - سبحانه - عن الذين بايعوك تحت
الشجرة - أيها الرسول الكريم - حيث علم ما فى
قلوبهم من الصدق والإخلاص، وإيثار الآخرة على
الأولى، فأنزل السكينة والطمأنينة والأمان عليهم،
وأعطاهم بسبب قوة إيمانهم، ووفائهم بعهودهم فتحا
قريباً، وهو فتح خيبر، الذى كان بعد صلح الحديبية

بأقل من شهرين.

وقيل: المراد به: فتح مكة. والأول أرجح، لأن فتح
خيبر لم يكن فتح أقرب منه، ولأن المسلمين قد
أصابوا من فتح خيبر غنائم كثيرة.

هـ - وقد أشار - سبحانه - بعد ذلك إلى تلك
الغنائم فقال: «ومغانم كثيرة تأخذونها»: أى ومنحكم
- سبحانه - مغانم كثيرة تأخذونها من غزوة خيبر،
التي كانت لها أثارها الطيبة للمؤمنين «وكان الله
عزيز حكيم» أى: وكان الله - تعالى - وما زال، غالباً
على أمره، حكيماً فى كل أفعاله وأحكامه. ثم أكد -
عز وجل - هذه البشارات بتأكيدات متعددة فقال:
«وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها» أى: وعدكم الله
- تعالى - بفضله وإحسانه - أيها المؤمنون - غنائم
أخرى تأخذونها من أعدائكم فى مستقبل أيامكم،
فضلاً عما أخذتموه منهم فى أيامكم السابقة.

وقد صدق الله - تعالى - وعده معهم، فلقد غنموا
بعد ذلك غنائم كثيرة من بلاد فارس والروم
وغيرهما. والإشارة فى قوله - تعالى - «فعجل لكم
هذه» تعود إلى غنائم خيبر. أى: فعجل لكم بعد
صلح الحديبية وبعد فتح مكة، الأموال الكثيرة التى
ظفرت بها من خيبر.

والمقصود بالناس فى قوله - تعالى - «وكف أيدى
الناس عنكم»: أهل خيبر وحلفائهم الذين حاولوا
نصرتهم والوقوف إلى جانبهم.

أى: أن الله - تعالى - بفضله وكرمه منحكم غنائم
خيبر، ولم يكتف بذلك بل ألقى الرعب فى قلوب يهود
خيبر، وفى قلوب حلفائهم من الأعراب الذين حاولوا
الدفاع عنهم، والتحالف معهم ضدكم.

٦ - ويرى بعض المفسرين أن الإشارة فى قوله:

«فعجل لكم هذه» تعود إلى صلح الحديبية، وقد روى ذلك عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وعليهم يكون المراد بالناس فى قوله - سبحانه: **«وكف أيدي الناس عنكم»** مشركى قريش. أى: منعهم من حربكم، بأن قذف فى قلوبهم الرعب منكم.

ويبدو لنا أن هذا الرأى المروى عن حبر الأمة ابن عباس، هو الأقرب إلى الصواب، لأنه يتسق مع سياق الآيات، ولأنه يؤكد أن صلح الحديبية كان فتحاً ومغنماً.

كان فتحاً بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم - لمن شك فى ذلك: **«والذى نفسى بيده إنه لفتح»**.

وكان مغنماً، لأن المسلمين غنموا من وراء انتشار الدعوة الإسلامية فى آفاق الأرض غنائم جمّة، ولم يكن هذا الانتشار إلا بسبب صلح الحديبية.

واللام فى قوله: **«ولتكون آية للمؤمنين»**: متعلقة بمحذوف. أى: فعل ما فعل من التعجيل والكف، لتكون تلك النعم والبشارات علامات للمؤمنين على رعاية الله - تعالى - لهم، ورضاه عنهم.

وقوله - سبحانه: **«ويهديكم صراطاً مستقيماً»** بيان لسبب آخر من أسباب رضى الله - تعالى - عنهم. أى: عجل لكم البشارات، ومنع أعداءكم من حربكم، لكى يزيد فى هدايتكم - أيها المؤمنون - إلى الصراط المستقيم، ولكى يزيدكم إيماناً على إيمانكم.

٧ - وقوله - سبحانه: **«وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً»**: بيان ويشارة لنعمة أخرى وعد الله - تعالى - عباده المؤمنين بها.

أى: لقد حقق الله - تعالى - لكم خيرات كثيرة - أيها المؤمنون - ببركة صدق إيمانكم، وإخلاصكم

العبادة لخالقكم، وسيمنحكم - أيضاً - غنائم أخرى، لم تقدروا على الحصول عليها قبل ذلك، لبعدها عن أن تنالها أيديكم، وقد أحاط - سبحانه - بها، لأنه لايعجزه شيء، ولأن قدرته فوق كل قدره.

وتختلف الأقوال فى هذه المغانم الأخرى التى أشارت إليها الآية الكريمة، فمنهم من يرى أنها فتح مكة، ومنهم من يرى أنها فتح خيبر، ومنهم من يرى أنها مغانم هوازن وثقيف، ومنهم من يرى أنها مغانم المسلمين من الفرس والروم.

ويبدو لنا أن أرجح هذه الأقوال: أولها، لأنه ترتب على هذا الصلح فى الحديبية، أن فتحت مكة بعد سنتين منه، بسبب نقض المشركين له، وقد تم فتح مكة دون قتال يذكر، بعد أن حدث ما حدث بين المسلمين وبين مشركى مكة من قتال انتصر فيه المسلمون تارة كغزوة بدر، وانتصر فيه المشركون أخرى كغزوة أحد.

فالمسلمون لم يقدروا على دخول مكة إلا فى عام الفتح، وبعد أن أحاط الله - تعالى - بها بقدرته التى لا يقف أمامها شيء، وبعد أن استعصت على المسلمين زمناً طويلاً، وقد سلمها - سبحانه - لهم بأقل أنواع القتال **«وكان الله على كل شيء قديراً»**.

هذا، والذى يتأمل هذه الآيات يرى أن الله - تعالى - قد بشر المسلمين الذين شهدوا صلح الحديبية ببشارات شتى. بشرهم برضاه - سبحانه - عنهم، وهذه أسمى بشارة وأعلاها، وبشرهم بإنزال السكينة والطمأنينة عليهم، وبشرهم بفتوحات وغنائم منها القريب العاجل، ومنها الآجل المتحقق الذى يكاد لتحقيقه أن يشاهدوه بأعينهم، وقد حقق الله - تعالى - بفضلله وإحسانه كل ذلك لعباده الصادقين، الذين نسأله - تعالى - أن يجعلنا جميعاً منهم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يَعْذِبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)

سورة التوبة: الآيات ٣٨ - ٤٠

التفسير البياني للقرآن الكريم

أ. د / عبد الغفار حامد هلال

أبى طالب أن يؤدي الودائع عن رسول الله ﷺ فاجتمعوا في دار الندوة - هي دار قصى بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها - وتداولوا الرأي في حبسه حتى يموت أو إخراجها من مكة من بين أظهرهم بنفيه خارجها أو قتله واستقر رأيهم على قتله. «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» سورة الأنفال: آية ٣٠.

فجمعت قريش من قبائل العرب فتية من كل قبيلة شابا جلدا نسيبا بعصيمهم وسيوفهم وأحاطوا بيته حتى إذا خرج فإنهم يضربونه ضربة رجل واحد حتى يقتلوه فيتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يأخذوا بثأره وحينئذ يرضون بالعقل (الدية).

وقد جاء جبريل وأخبر النبي ﷺ بما بيتوه

اشتد إيذاء المشركين لرسول الله ﷺ والمؤمنين مما أدى إلى هجرة بعضهم إلى الحبشة فرارا بدينه، وكان النبي ﷺ ينتظر أن يأذن الله تعالى له بالهجرة، وكان أبو بكر ﷺ يريد الهجرة قبل المصطفى ﷺ فقال له الرسول ﷺ - كما يحكى رواية الحديث - «على رسلك فإنني أرجو أن يؤذن لي فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ويرافقه، ثم جاء الإذن بالخروج فذهب النبي ﷺ إلى بيت أبي بكر فاستأذن: من عندك؟ وكانت عنده ابنتاه عائشة وأسماء - فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ فإنه قد أُذن لي في الخروج فقال أبو بكر: الصيحة بأبي أنت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ نعم، ولم يعلم بهجرته ﷺ غير أبي بكر وآله، وعلى بن أبي طالب، وقد أمر النبي ﷺ على بن

وأمره ألا ينام في فراشه الذي اعتاده فأمر على ابن أبي طالب أن ينام مكانه وتسجى ببرد الحضرمي الأخضر.

وبينما الفتية على الباب خرج النبي ﷺ من بينهم - صباح الهجرة بعد أن حثا على رءوسهم حفنة من التراب وهو يتلو صدر سورة «يس» إلى قوله تعالى «فأغشيناهم فهم لا يبصرون».

ولما علم المشركون بخروجه جعلوا مائة ناقة لمن يقتله أو يأسره وخرجوا في طلبه والبحث عنه رجالا وركبانا.

ومضى النبي ﷺ وصاحبه ألى غار ثور - وهو جبل في الجهة اليمنى لمكة على مسيرة ساعة - فدخلاه، وقد روى البيهقي - وغيره - أنهما لما دخلا الغار أمر الله تعالى العنكبوت فنسجت على فم الغار وبعث حمامتين وحشيتين فباضتا فيه».

وكانا في الغار بحيث يمكن رؤيتهما عادة ممن هو خارج الغار وأقبل فتيان قريش حتى إذا كانوا قريباً منه تعجل بعضهم فنظر في الغار ليرى أحداً فرأى حمامتين فرجع إلى أصحابه فقال: ليس في الغار أحد ولو كان قد دخله أحد ما بقيت هاتان الحمامتان.

وطلع المشركون فوق الغار، وجعلوا يترددون حوله ولا يفطنون وأخذ الله أبصارهم عنه.

روى الشيخان - وغيرهما - عن أنس قال: «حدثني أبو بكر قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رأنا فقال له النبي ﷺ: اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما».

ثم خرج الرسول ﷺ وصاحبه. بعد ثلاثة أيام - ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر لخدمتهما - ودليل الطريق عبدالله بن أريقط، على ثلاثة أباعر وواصلوا الرحلة إلى المدينة المنورة وكان النبي ﷺ

يقرأ القرآن ولا يلتفت وأبو بكر يلتفت كثيراً.

وعن أنس رضي الله عنه فيما رواه البيهقي وغيره - أن أبا بكر التفت فإذا هو بفارس (سراقه بن مالك) - قد لحقهم لعله يأخذ المائة ناقة، فقال أبو بكر: يا نبي الله: هذا فارس قد لحق بنا، فقال ﷺ «اللهم اصبرعه» وفي رواية: «اللهم اكفناه بما شئت» وفي رواية البخاري عن سراقه - أنه لما دنا من الرسول ﷺ عثرت به فرسه فسقط عنها، فضرب السهام التي كانت معه ليعرف هل يستمر أو يرجع فخرج الذي يكره ويأمره بعدم الاستمرار في غيه لكن سراقه استمر في ملاحقة الرسول الكريم، وعصى الأوامر حتى سمع قراءة النبي ﷺ فساخت بدا فرسه في الأرض حتى بلغت الركبتين - وفي رواية البزار: فارتطمت به فرسه إلى بطنها ثم زجرها فنهضت وإذا لأثر رجلها غبار ساطع، وهنا أحس سراقه بالخطر على نفسه ويقول: إنه وقع في نفسه حين لقي ما لقي أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ثم أسلم وكتب له الرسول كتاب أمان ومضى رسول الله ﷺ وصاحبه حتى قدما المدينة.

وقد جاء ذكر قصة الهجرة ودخوله ﷺ وصاحبه غار ثور وحماية الله سبحانه لهما وفشل ما دبره المشركون وما كان من نصر الله لنبيه وانتشار الإسلام في سياق الحديث القرآني عن غزوة تبوك - وتبوك واحة خصبة على حدود الامبراطورية الرومانية تبعد عن المدينة ٦١٠ كم - وكانت هذه الغزوة في السنة التاسعة بعد رجوعه ﷺ من الطائف وكان الناس في عسرة وشدة حر - ولذلك يقال لها غزوة العسرة - وقد شق على الناس الخروج إليها وحث الرسول ﷺ الناس على الاستعداد لها دون أن يورى كما كانت عاداته في غيرها من الغزوات، وضرب أبو بكر وعثمان وبعض الصحابة مثلاً رائعاً في البذل والإيثار.

وبلغ عدد الجيش الإسلامي فيها مالم يبلغه جيش في جزيرة العرب من قبل.. قيل بلغ ثلاثين ألفاً أو يزيد من بينهم عشرة آلاف فارس وقطار طويل من الإبل التي تحمل المؤن (الميرة) وهذا على الرغم من تخلف بعض المنافقين وغيرهم ممن تباطأوا عن الخروج.

وكان الهدف منها رد القبائل المتحالفة مع الروم على حدود الشام مثل لخم وجذام وغسان واضرابهم وتحذير الروم من مهاجمة المسلمين وقد وصل المسلمون إلى تبوك - بعد مسيرة أسبوع - فلم يجدوا أثراً للأعداء من القبائل فتصالح النبي ﷺ مع بعض القبائل المسيحية، واليهودية الواقعة حول خليج العقبة بمعاهدات صداقة ثم رجع قاصلاً إلى المدينة وكانت هذه آخر غزوة غزاها ﷺ وكان رجوعه في رمضان سنة تسع.

وفي الآيات المذكورة عتاب للمتباطئين عن الخروج إلى هذه الغزوة وحث لهم على الاستعداد لها لسببين الأول: أنه لا ينبغي إثارة نعيم الدنيا على نعيم الآخرة والثاني: أن الله تعالى ناصر نبيه كما نصره في هجرته ونشر دينه.

أولاً: حث المؤمنين على تلبية دعوة النبي ﷺ بالخروج للمشاركة في غزوة تبوك وعدم الإخلال إلى الدنيا. «يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل».

الجمهور على أن هذه الآية محكمة - لا منسوخة - جاءت خطاباً لقوم استنفرهم رسول الله ﷺ فلم ينفروا وقيل: إنها عتاب للمسلمين جميعاً غير أبي بكر فإنه خرج من المعاتبه وعلى ذلك فهي منسوخة بقوله تعالى: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة».

وبدأ المولى سبحانه الخطاب بقوله «مالكم» وهو جملة من مبتدأ وخبر جرت على طريقة الاستفهام الإنكاري والمبالغة فيه أي: أي شيء، ثبت لكم من الأعذار حتى تشاقلتم عن الجهاد حين دعاكم الرسول إليه.

وأصل النفر: الخروج لأمر يستدعي ذلك ويوجبه ويقال: نفر القوم: خرجوا للجهاد في سبيل الله وانفروا أمر منه أي اخرجوا، ويقال: استنفر الإمام الناس: إذا حثهم على الخروج لذلك ودعاهم إليه ومنه قوله ﷺ «إذا استنفرتم فانفروا» واسم القوم الذين يخرجون: النفير، ولذلك يقولون: فلان لا في العير ولا في النفير.

و«اثاقلتم» أصله: تشاقلتم - وبه قرأ الأعمش - فأدغمت التاء في الشاء، وجيء بهمزة الوصل للتوصل إلى الابتداء بالسكان ومثله (ادارأتم) - وأصله: تدارأتم - و(أطيرنا) - وأصله: تطيرنا.

ومعنى قوله تعالى: «اثاقلتم»: تباطأتم وتقاستم وضماً معنى ملتم عن الجهاد وأخلدتم إلى الراحة وملذات الدنيا وشهواتها الفانية، وكرهتم مشاق السفر ونسيتم ما وراء ذلك من النعيم الباقي والراحة الخالدة في الجنة.

وقيل: المراد بالأرض - في الآية - موطن العرب من المدينة وغيرها وتشاقلهم هو ميلهم إلى البقاء فيها في الراحة والثمار والظلال وذلك المعنى يستتبع أيضاً الإخلال إلى الدنيا ومتعها.

ولما كانت (اثاقلتم) مضمناً معنى ملتم عداه بآلى ونظيره قوله تعالى: «أخلد إلى الأرض واتبع هواه».

والاستفهام في قوله سبحانه: «أرضيتم» للتوبيخ. وبخ سبحانه المتباطئين عن الخروج لتوجههم إلى الدنيا وزخارفها.

وفي قوله «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة»

(من) بمعنى بدل ومعنى (فى) فى قوله (فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل) القياس والموازنة فلا تقاس. هذه بتلك فتعظيم الدنيا ليس كتعظيم الآخرة لما فى الأول من الخسة والاقتران بالآفات والبلبات، على حين أن الثانى شريف عال خالص من كل الآفات، والأول مدة محدودة ثم يزول، والثانى باق ممتد ولا يلىق بعاقل أن يفضل الثانى على الباقي.

وأخرج الحاكم وصححه - عن سهل قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء».

وهذه الأساليب القرآنية فى استعمال أوزانه على النحو السابق مما تفرد به القرآن الكريم فى استعمال حروف الجر: الباء ومن وفى (وما) النافية بطرائق تركيبية تقتضى التأمل فى وقوعها مواقع دلالية فى افادة دخول الباء على المتروك (بالحياة الدنيا) وافادة (من) معنى البدلية (من الآخرة) وافادة (فى) معنى القياس من الآخرة أى فى جنب الآخرة وقياسها وذلك مما لا يستعمله المتحدثون بالعربية على هذا النحو الدلالى الدقيق. ثانيا: تهديد من يتباطأ عن الدفاع بالشقاء فى الدنيا والآخرة واستبدال غيرهم بهم وعبر عنه المولى سبحانه بقوله: «إلا تتفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير».

والعذاب الأليم هو المؤلم يكون فى الدارين فيبتليه الله تعالى فى الدنيا بالمصائب كالتضييق عليه فى الرزق وإذهاب ما هو فيه من نعيم وثمار وظلال، وسليط الأعداء عليه، وإعداد العقاب الشديد الذى يؤلمه يوم القيامة. ويستطيع الحق تبارك وتعالى بقدرته أن يهلك المتعاسين ويخلق قوما آخرين يكونون خيرا منهم

وأطوع لله سبحانه ولرسوله والدفاع عن الدين نفع لكم ولا يعود على الله تعالى بنفع والتعاسى ضار بالامة ومقدراتها ولا ينفع الله تعالى خروجكم للقتال بشيء كما لا يضره تشاقلكم عن الخروج بل ذلك يعود عليكم أنتم فى حفظ أنفسكم وأعراضكم وأموالكم وذويكم الفانية.

وقوله (إلا) أصله: (إن) - الشرطية - و(لا) فأدغمت نون (إن) فى لام (لا) و(تتفروا) فى سياقه منفى.

والضمير فى (تضره) إما عائذ على المولى سبحانه كما قال فى الحديث القدسى «إنكم لن تملكوا نفعى فتتفزعونى ولن تملكوا ضرى فتتضروني» فهو سبحانه الغنى عن كل شيء وفى كل أمر أو يعود الضمير فى (تضره) على الرسول ﷺ فإن الله تعالى وعده العصمة من الناس (والله يعصمك من الناس)، ووعدته النصر فلا يخذله إن تشاقل عنه هؤلاء.

والتذييل بقوله (والله على كل شيء قدير) دليل على شدة الوعيد لهؤلاء المتباطئين لأنه سبحانه قادر فإذا تواعد بالعقاب فعل.

ثالثا: حث المتثاقلين على الاستتفار فى غزوة تبوك لأنه تكفل بنصر رسوله فيها كما تكفل بنصره حين أذن له بالهجرة من مكة إلى المدينة وكما تكفل بنصره وإعزازه فى كل المواطن. وعبر عن ذلك سبحانه بقوله: «إلا تتصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا».

إن الرسول ﷺ مستغن بنصرة الله تعالى عن نصرة المخلوقين، ولذلك فسينصره فى غزوة تبوك بكم أو بغيركم ممن يستبدلهم بكم إن لم تخرجوا معه كما نصره فى هجرته وأحبط أعمال المتأمرين عليه وعلى دينه.

و(إلا أصله: (ان) الشرطية و(لا) النافية

فأدغمت نون (إن) في لام (لا) وقوله (تتصروا) جملة الشرط وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله **«فقد نصره الله»** والتقدير فسينصره الله وأنما لم يكن فقد نصره الله جواباً لأن جواب (إن) الشرطية إذا كان ماضياً فينبغي أن يكون معناه مستقبلاً هنا لا يراد بقوله **«فقد نصره الله»** معنى المستقبل بل هو ماضٍ لفظاً ومعنى إذ يراد به نصره في الهجرة. وقد مر قبل غزوة تبوك - أو نصره في الغزوات السابقة كغزوة بدر وما بعدها قبل غزوة تبوك وكل ذلك حدث فيما مضى.

والعامل في الظرف (إذ أخرجه) الفعل في **«فقد نصره الله»** فسينصره الله في غزوة تبوك كما نصره وقت إخراج المشركين له، وما تلا ذلك من انتصارات، فذكر السبب - وهو الانتصارات السابقة في الهجرة وغيرها - وأراد المسبب وهو نصره في غزوة تبوك، فكما نصره إبان ضعف المسلمين وقتلهم فيما سبق فلأن ينصره وهو في قوة عسكرية واجتماعية أكبر أولى.

وقال بعضهم إن النصر المشار إليه بقوله **«فقد نصره الله»** مطلق وليس مقيداً. بعيد على معنى أن النصر ثابت للرسول ﷺ ومستمر في جميع الأزمنة فالرسول ﷺ من المنصورين - وقد تعلم هذا واشتهر.

وبناء على هذا يصح وقوع جملة **«فقد نصره الله»** جواباً ويصح ترتيب هذا الفعل (نصره) على المستقبل لشموله له.

وإذا كان المعنى على أن الجواب محذوف قياس نصر لاحق على نصر سابق فإن المعنى على ذكر الجواب يفيد الانتقال من نصر إلى نصر.

رابعا: وصف حال الرسول وصاحبه في الفار: **«ثاني اثنين إذ هما في الفار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا».**

معنى قوله **«ثاني اثنين»**: أحد اثنين من غير اعتبار كون هذا أولا وهذا ثانيا، فليس المراد أن الرسول يقع في الترتيب الثاني بعد أبي بكر وإنما المراد أنه كان معه فمعنى العدد (ثاني): (أحد) لا الثاني في الترتيب لأنه إذا حضر اثنان فكل واحد منهما يكون ثانيا في ذينك الاثنين للآخر فمعنى (ثاني اثنين) أي: هو أحدهما وكذلك ثالث ثلاثة، ورابع أربعة فالمراد أحد هذه الأعداد لا الثالث أو الرابع، ولذلك منع جمهور اللغويين نصب ما يلي: اثنين - ثلاثة - أربعة الخ.

فلا يقال: ثالث ثلاثة ولا: رابع أربعة، وإنما ليضاف الثاني للأول.

(و(ثاني) - في الآية - منصوب على أنه حال من الضمير المنصوب - الهاء - في (أخرجه) العائد على الرسول ﷺ. أي: حال كونه منفردا عن جميع الناس إلا أبا بكر.

وقرىء (ثاني) - بسكون الياء - على تقدير الإعراب على الياء لمعاملته معاملة الاسم المقصور. وقوله «إذ هما في الفار» بدل من (إذ أخرجه) بدل بعض من كل وقوله (إذ يقول) بدل ثان فيفرض زمن الخروج ممتد بحيث يصدق على زمن استقرارهما في الفار وزمن القول المذكور فهو انتقال من العام إلى الخاص من زمن إلى آخر أخص منه.

والصاحب هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد وقع الإجماع على ذلك إذ لم يثبت ذلك لأحد غيره من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخرج الدارقطني وغيره عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «أنت صاحبي في الفار وأنت معي على الحوض».

وقوله سبحانه: «لا تحزن إن الله معنا» تسلية من النبي ﷺ لأبي بكر وطمأنة له من الخوف

والانزعاج حين خشى على رسول الله ﷺ لا على نفسه من دخول الكفار الغار لاسيما وهو مفتوح وهم يستطيعون رؤيته لولا عناية الله تعالى وعلل ذلك بمعية الله تعالى لهما، وقد قال أبو بكر: يارسول الله إذا مت أنا فأنا رجل واحد، وإذا مت أنت هلكت الأمة والدين.

والمعية - هنا - معية التأييد والنصرة في حال خاصة تقتضي إنجاح الدعوة ومساندتها لأن الله تعالى مع كل واحد من خلقه كما قال سبحانه: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم». سورة المجادلة: آية ٧.

الفاء للتعقيب فتفيد أن ذلك كان فوراً دون تأخير، والسكينة هي الطمأنينة التي تسكن عندها القلوب، وهي ما ألقى الله تعالى في قلب الرسول من الأمانة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه.

والجنود، هم ملائكة أنزلهم الله تعالى لحراسته وهو في الغار وهي جنود خفيت عن أبصار المخاطبين وعن أنظار الأعداء وعدم رؤيتها تعظيم لها وبيان لقدرة الله تعالى وعن أسماء بنت أبي بكر أنه رأى رجلاً يواجه الغار فقال يارسول الله إنه يرانا، فقال له النبي ﷺ: كلا. إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها».

والراجع.. عند اللغويين.. أن الضميرين - في (عليه) و(أيده) يعودان إلى النبي ﷺ: لأن الجملتين «فأنزل الله سكينته» «وأيده بجنود لم تروها» معطوفتان على (فقد نصره الله) والضمير في الجملة المعطوف عليها يعود على المنصور وهو النبي ﷺ، وليس يعني إنزال السكينة على الرسول أنه كان خائفاً بل أنها من أجل تثبيته على ما هو

عليه من السكينة وطمأننة صاحبه أبي بكر الذي كان منزعاً حتى يذهب عنه الحزن. ويرى بعض النحاة أن الضمير في (عليه) يعود على أبي بكر بدليل ما رواه أنس عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بكر ﷺ: «ياأبا بكر إن الله تعالى أنزل عليك السكينة وأيدك، الخ».

وجاءت النتيجة كما قال تعالى: «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا».

كلمة الذين كفروا: هي كيدهم وتديبرهم في دار الندوة وجعلها سفلى يعنى فشل مخططهم. وقيل، إن كلمة الذين كفروا هي: الشرك أو الكفر وقد قضى عليه. وكلمة الله: هي وعده سبحانه لنبيه بالحفظ والرعاية والنجاة من مكرهم أو هي كلمة التوحيد أو دعوة الإسلام وقد حقق الله لها الذيوع والانتشار.

ولسائل أن يسأل: لماذا غير الأسلوب فعبر في جانب كلمة الذين كفروا بالجملة الفعلية وفي جانب كلمة الله بالجملة الإسمية؟

نقول: إن التعبير بالجعل في الجملة الأولى دليل على أنهم ظنوا أن لكلمتهم الغلبة ثم حدث أن خيب الله ظنهم فاستقرت في الأسفل، أما كلمة الله فعلوها ذات طبعي ولها الغلبة على الدوام ولذلك عبر عنها بالجملة الإسمية التي تفيد الثبوت والدوام ووسط ضمير الفصل (هي) بين جزئ الجملة - المبتدأ والخبر - لقصر ذلك عليها أما غيرها مما يوصف بالعلو فعلموه حادث نتيجة أمور عارضة يتكلف لها وأسباب يتأتى العلو عن طريقها.

وجاء تذييل الآية بقوله تعالى: «والله عزيز حكيم» والعزيز: هو الذي لا يغالb في أمره، والحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها. والمراد، أن الله تعالى بنصره لرسوله فعل ما تقتضيه قدرته وحكمته.

النور المهلج فقه ختم الهجرة النبوية

الهجرة والصمود

شعر: عبدالغنى أحمد ناجي

شَاءَ إِلَهَ الْخَيْرِ لِلْأَكْثَرِ ***
النُّورُ وَخَى وَالْمَبْلَغُ أَحْمَدُ ***
لَكِنْ مِنْ رَامِ الظَّلَامِ بِشَرِّهِ ***
وَسَمِعَى يَحَاوِلُ طَمَسَ نَوْرَ مُحَمَّدٍ ***
فَتَفَتَنَ الْكَفَّارُ فِي تَعْذِيبِهِمْ ***
وَالْمُسْلِمُونَ بِصَبْرِهِمْ وَصَمُودِهِمْ ***
صَمِدَ الْأَبَاءُ الْمُسْلِمُونَ، وَحَصْنُهُمْ ***
صَمَدُوا وَنَارُ الْكُفْرِ تَلْهَبُ جَمْعَهُمْ ***
هَذَا بِلَالٌ وَالْعَذَابُ يَنْوِثُهُ ***
لَكِنْ نَارُ الْكُفْرِ مَآزٍ أَوَّاهُ ***
وَالنَّأْيُ ذَاكَ لِحُكْمِ أَبَدِيَّةٍ ***
فَعَقِيدَةُ التَّوْحِيدِ أَغْلَى مَقْصِدَا ***
مِنْ ثَمَّ كَانَتْ هَجْرَةٌ مِنْ مَكَّةَ ***
خَرَجَ النَّبِيُّ مَهَاجِرًا، وَصَدِيقُهُ ***
نَامًا بِغَارٍ، وَالْعَنَاءُ حَارِسٌ ***
اِثْنَانِ فِي أَيْدِيهِمَا شُعْلُ الْهَدَا ***
لَوْ أَدْرَكَ الْكَفَّارُ خَطَا مُحَمَّدٍ ***
مِنْ ثَمَّ قَدْ عَمِيَ الضَّلَالُ عَنْ الْهُدَى ***
فَالْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهِ، وَحِمَامَةٌ ***
قَدْ عَادَ فِي قَلْبِ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ ***
فَسَمِعَى إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَادِيَا ***
نَزَلَ الْمَدِينَةَ بِالضَّيَاءِ مَبَارَكَا ***
فَاسْتَقْبَلَتْهُ عِيُونُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ ***
بَدَأَ الْهَدَايَةَ بِالْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا ***
أَخَى النَّبِيُّ مَهَاجِرًا بِنَصِيرِهِ ***
لِيَصِيرَ لِلْحَقِّ الْعَظِيمِ يَدَانِ ***

في رحاب السنة

• بين عامين ذكرى وعبرة

بين عامين ذكرى وعبرة

فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فإنه شر منتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر».

(رواه الحاكم والترمذي)

الكلمات :

قوله مطغيا : الطغيان مجاوزة الحد في كل شيء وكل ما جاوز المقدار والحد فهو طغيان ومن جاوز الحد في المعصية فهو طاغ «وفى التهذيب الطاغوت التاء زائدة وهي مشتقة من طغا والطاغوت الشيطان، والطاغية الصعقة التي تحمل العذاب، قال تعالى: «وأما ثمود فأهلكوا بالطاغية».

قوله أو مرضا مفسدا: الفساد في كل شيء كل ما يعطل وظيفته التي لها خلق، سواء كان في الإنسان أو الحيوان أو النبات أي

البيان :

يقول الله عز وجل: «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا» سورة الفرقان: آية ٦٢.

ولله الحكمة البالغة فالأيام تمر والأعوام تمضي وكل لحظة يقطعها المرء فيها تذهب بعمره الذي هو ثروته الغالية التي لا تلبث أن تنتهي وهو عنها غافل إلا ما ادخره منها لما بعد هذه الحقبة التي قدر له أن يمكثها في هذه الدنيا، الأمر الذي يفرض على العاقل أن يفكر ويمعن في التفكير ليعلم أن وجوده لم يكن عبثا وأنه

يجعله غير صالح للاستعمال، يقال فسد الشيء فسودا من باب قعد والاسم الفساد والجمع فسدى.

قوله أو هرما مفندا: يقال هرم من باب تعب فهو هرم أي كبير، وضعف، وشيوخ هرمى مثل زمن وزمنى وامرأة هرمة ونسوة هرمى.

وقوله مفندا: الفندُ بفتح الحاء الكذب وهو أيضا ضعف الرأي من الهرم والفعل منهما أفند.

وقوله أو موتا مجهزا: يقال أجهز على الجريح أسرع قتله وقوله أو الدجال: الدجال الكذاب.



تفضل علينا بالتوبة التي تحمل
فى طياته الإقلاع عن الذنب
والندم على ما فرط من الإنسان،
والعزم الأكيد على ألا يعود، ورد
المظالم لأصحابها فنرى الحق
سبحانه يدعونا إلى التوبة
والرجوع إليه اتقاء غضبه فيقول:
«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ
تُوبَةً نَّصُوحًا» سورة التحريم: آية ٨.

ويعد بالجائزة والقبول من
يذكره فيتوب حين يقول: **«إلا من**
تاب وآمن وعمل عملا صالحا
فأولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات وكان الله غفورا رحيما»
سورة الفرقان: آية ٢٧.

كما يقول: **«وإني لفقر لمن تاب**
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى»
سورة طه: آية ٨٢.

ومهما كان من العبد من
الوقوع فى شرك المعاصى فإنه
لن يضيق به عفو الله إذا تاب
وأناب وأخلص فى التوبة وهو
القائل سبحانه: **«قل يا عبادى**
الذين أسرفوا على أنفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله إن الله
يقفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور
الرحيم» سورة الزمر: آية ٥٣.

ومع هذا فإنه سبحانه يناشد

إليه، وما من شر إلا وحذرنا منه،
وقد أشهد ربه على ما بلغ فى
الكثير مما قدم وهو يقول: **«اللهم**
قد بلغت اللهم فاشهد»، والله عز
وجل يقول لنبيه ﷺ: **«يَا أَيُّهَا**
النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ
وَسِرَاجًا مُنِيرًا» سورة الأحزاب:
آية ٤٥، ٤٦.

فهو ﷺ منهم وفيهم يعلم مالا
يعلمه غيره عنهم يداوى سقامهم
ويعالج أمراضهم ويثرى فيهم روح
الخير وحسن عاقبتهم دينا ودنيا،
وقد أنزل عليه قوله سبحانه: **«من**
عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو
مؤمن فلنحيينه حياة طيبة
ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا
يعملون» سورة النحل: آية ٩٧.

كما يحذرهم مغبة العوج
واتباع غير سبيل المؤمنين حين
يقول: **«ومن يشاقق الرسول من**
بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى
ونصله جهنم وساءت مصيرا»
سورة النساء: آية ١١٥.

وإذا كانت طبيعة الإنسان
النسيان كما قد تعتريه الغفلة
فيقع فى الخطيئة فإن الله قد

مادام له هذه النهاية التى نيط به
الاستعداد لما وراءها فإن حقا
عليه أن يعد نفسه بما ينفعه حين
يفارقها، فالإسلام يدعونا إلى
عمارة الحياة، ويدعونا إلى العمل
الذى يثبت فى أرجاء الأرض
الخير ويمد أبناء الوطن بالقوة
التي ترهب العدو وتحمى
المقدرات وتصون الأعراض وتعلو
القيم الشريفة وتضرب على البغاة
وتوفر الأمن وتظلل الحياة بألوية
السلام وتوفر للمسلم الجو الذى
يعيش فيه مع ربه حيث لا يفقده
فى مواطن الخير ولا يراه حيث
نهاه فقد توزعت مآربه بين
العلاقتين فلا هو ملائكى لا
علاقة له بالدنيا ولا هو حيوانى
وهب حياته لمتعه وملذاته وأغفل
عقله ودينه.

كما يذكر الحق سبحانه
وتعالى بأن الدعوة إلى الله
عمادها القدوة فى الداعية قال
سبحانه: **«لقد كان لكم فى رسول**
الله أسوة حسنة لمن كان يرجو
الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا»
سورة الأحزاب: آية ٢١.

وأنه - صلوات الله وسلامه
عليه - قد قدم لأمته كل ما
تحتاجه، فما من خير إلا ودعاها

عبده أن يذكره ويستديم أخذ نفسه بذلك في أقواله وأفعاله وأنه على أي حال كل أمره مرده لله وحده. فإن أقبل عليه فتح أبواب الخير بين يديه وأجزل له العطاء مما يتمنى ويشتهي لديناه ولا آخرته. وفي هذا يقول - صلوات الله وتسليماته عليه - فيما رواه عنه ابن عباس قال: قال ﷺ: **اغتنم خمسا قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك** رواه البيهقي وأحمد والحاكم.

والحديث يشير إلى أن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة يعيش فيها المرء مطمئنا إلى أنها لا تفارقه كما أنه تنبيه إلى أن واجب المسلم أمام ما أنعم الله به عليه فضلا منه ورحمة أن يذكر المنعم فيما حوله فيستخدمه فيما خلق له ليستديم الانتفاع به في عاجله وأجله، وهو يعنى استخدامه فيما يرضى عنه الله من الاستقامة حتى لا يتجاوز الحدود بالاعتدال في دفع مسيرة الحياة بها إلى الطريق القويم الذي به تتحقق الآمال ويحيا به المرء كريما على

نفسه عزيزا في مجتمعه مرضيا عنه في الأرض وفي السماء.

الإنسان بنيان الله

يقول - صلوات الله وسلامه عليه - : **«اغتنم حياتك قبل موتك»** إشارة إلى ما يكابد العبد في هذه الفترة التي يعيشها من حمل للنفس على الالتزام بالتكاليف التي بها ساد الوجود كله، وله سخر الحق تبارك وتعالى ما في السموات والأرض جميعا منه، حتى يؤدي هذه التكاليف وينأى عن حياة اللهو التي ترمى في أتون الشهوات وسعير الملذات وتسلمه إلى موارد الهلكة ومواطن الفسوق والعصيان، فإنه في حاجة إلى أن يذكر أن عمره وحياته أمانة مالهها خالقها وأن غضبه على من خان الأمانة ولم يعرف لها حقها وحسب المرء الذي يعرض حياته للخطر قوله ﷺ: **«الإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيان الله»** إن أول متطلبات هذا البنيان ليبقى معافى ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: **«إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تنهكوها»** وحرّم العدوان على هذا البنيان ولو من الإنسان على نفسه بأي سبب من

الأسباب ومن باب أولى عدوان الغير عليه لما في ذلك من الأخطار التي تحيق بالمجتمع كله وإلى ذلك يشير الحق سبحانه بقوله: **«ولكم في القصاص حياة»** سورة البقرة: آية ١٧٩.

وقوله: **«من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا»** سورة المائدة: آية ٣٢.

إن الحياة بستان فيه الطيب والخبيث والنافع والضار وقد أذن ماله بسكناء لفترة والعيش على ما فيه من كل ما ينفع وحذر من الاقتراب من كل ما يضر وأن يتزود منه لدار مقامه بعد انتهاء مدة إقامته به ما أمره ماله أن يغتنم فرصة مقامه بالتزود به كما أمره ماله أن يغتنم فرصة مقامه بالتزود بالطيب الذي يعيش به سعيا في مقر إقامته بعد خروجه من هذ البستان، ومن ثم فقد فرض الله الحفاظ عليها ووقايتها من كل ما يوهنها أو يقضى عليها ففرض التداوى من المرض بغير المحرم.

وقوله ﷺ: « وفراغك قبل شغلك،» فقد جعل الله الليل لباسا والنهار معاشا، ففى الليل يأوى الإنسان إلى فراشه ليستريح من معاناته نهاره وللأخيار فيه قدر يشغلونه بالطاعة وقراءة القرآن أو بالصلاة تهجدا أو بأى أنواع الذكر.

واجب الشباب

وقوله ﷺ: «وشبابك قبل هرمك» فالشباب مرحلة القوة فى أطوار حياة الإنسان يأتى بين فترتين أولاهما: يرعاها الوالدان وثانيهما فترة الضعف حين وهن العظم واشتعل الرأس شيبا وأصبح وهو لا يقوى على مكابدة الحياة بمشاقها ومتاعبها، فإن كان قد ادخر من شبابه ما يقوم به حياته فخير إلى جانب ما فرض الله لهما من الإحسان، والبر من الأبناء أو الأقارب أو من بيت مال المسلمين، ورب العالمين يوصى بهما ويفرض على الأولاد برهما ولو لم يكونا مسلمين، ويحرم إيذاءهما بأى لون من ألوان الإيذاء حين قال سبحانه: «وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما

وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا» سورة الإسراء: آية ٢٣، ٢٤.

ذلك إلى ما يجب أن يضاعف الشباب فيه الجهد فى المزيد من فعل الخيرات وأداء الفرائض والواجبات وفعل القربات ومحاربة الفساد وأهله، والشر وحزبه، والانخراط فى سلك الصالحين وسلوك سبيل المتقين.

فإذا أراد الشباب أن يقدم لنفسه ولوطنه ما هو نافع، فإن الأسرة والدولة بجميع مستوياتها مسئولة عن تهيئة المناخ الصالح للشباب حتى يقدم ما نرجوه ويرجوه منه الوطن، والنبي ﷺ يقول: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظه أم ضيعه». وقوله ﷺ «ومن غناك لفقرك» تنبيه إلى أنه إذا كان دوام الحال من المحال من أعمال فالقوة بعدها الضعف والغنى قد يعقبه الفقر وإنه إذا قدم الغنى من المال للمحتاج ووأسى البائس والمحروم ذكره الله بفضل جزاء وفاقا، وصدق الله وهو يقول: «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى» سورة الليل آية: ٥، ٦، ٧.

ويقول: «وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى» سورة الليل: آية ١٧ - ٢١.

ذكرى وعبرة

فإذا كنا نعيش الآن على مشارف العام الهجرى المنصرم فإن من حق ما اختتم به هذا العام أن نتأمل مليا لنرى كيف أن الحق تبارك وتعالى اختاره ليجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم لحج بيت الله الحرام محرمين ملبين مهللين مكبرين فى وحدة جامعة على شعيرة واحدة وعلى أرض واحدة، وكما خرجوا إلى الدنيا متجردين من كل قيمة دنيوية إلا ما وارى ما يجب أن يستره المرء من بدنه فتظلل خلق الله جميعا ألوية الأمان فلا عدوان على انسان «فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج» ولا على الحيوان بل والطير، ورب العزة يقول: «وحرم عليكم صيد البر مادتم حرما» سورة المائدة: آية ٩٦. ولا على الشجر والنبات فلا

يقطع شجر الحرم.

وكما يحرم صيد مكة وشجرها كذلك يحرم صيد المدينة وشجرها فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة، وإنى حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع غضاها ولا يصاد صيدها» رواه مسلم، واللابتان مثني لابة (واللابة) الحرة وهي الحجارة السوداء، والمدينة تقع بين اللابتين الشرقية والغربية، ورخص لأهل المدينة قطع ما يحتاجونه إليه.

وكما كان بالحج تمام أركان الإسلام فقد أكمل الله به الدين ورضى لنا الإسلام ديناً كما لا يغنى دين عنه ولا يقبل ممن اعتنقه، قال تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه». سورة آل عمران: آية ٥٨.

ولأمر ما كان ختام العام بشهر من الأشهر الحرم التي ينعم فيها المسلمون بالإسلام حيث ينتشر الأمن ويسود المجتمع المسلم جو الوفاق والوثام، وثم تتنفس في محيط الحياة روح التعاون على ما ينهض بالأمة، وتبلغ المكان الباعث على التقدير والاحترام ويتوفر

لأبنائها ما تصبو إليه نفوسهم من رغد العيش وسعة الرزق ويعم الرخاء كل الأرجاء.

إلى دار الهجرة

إنه الإيمان الذي كان الزاد الوحيد للرعيل الأول من صحابة رسول الله حين ضاقت بهم مكة وخوفاً من أن تعصف بإيمانهم رياح الفتنة وما يحيق بهم من الأسواء فخرجوا منها تاركين كل مقدرات حياتهم - المسكن والمال والأهل والولد، وأغلى ما كانوا يعتزون به ويرونه موئلاً عزهم ومنار فخرهم ومهوى أفئدتهم وهو البيت الحرام، لم تمنعهم مشقة السفر ولا وعورة الطريق ولا قلة الزاد معهم وما قد ينزل بهم من مكروه، خرجوا قاصدين المدينة التي لا يربطهم بأهلها أعلى من الإيمان الذي يجمع بين قلوبهم.

فإذا كانوا قد انتقلوا إلى المدينة لا يحملون من متاع الدنيا شيئاً ولا يفكرون في غير ما خرجوا من أجله مستجيبيين لقول الحق تبارك وتعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على

الإيمان» سورة التوبة: آية ٢٣. فإن ذلك يعني أنه من آمن بالله ورضى به ربا وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد نبياً فقد أسلم وجهه لله والله يقول: «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى».

كيف نستقبل العام الجديد

أما كيف نستقبل العام الجديد فإن علينا أن نذكر ما انطوى من عمرنا في العام المنصرم وما أودعناه فيه من عمل ضمته صحفنا التي طويت ولا ندري ما الله قاصد فيما فيها فنحن منها مشفقون، ومما قدمنا وجلون ولا نملك إلا أن نطمع في عفو الله ورحمته وهو الغفور الرحيم. وفي مستهل عامنا نذكر قبل كل شيء أنه قد بدأ بشهر حرام وذلك فيه دعوة جادة إلى أن يكون المرء سلاماً في هذا الوجود مع ربه ومع دينه ومع بنى جنسه بل ومع الحياة بكل ما حوت من أرض وسماء وماء وهواء وحيوان ونبات وأن يضع نصب عينيه التبعات التي سيتحملها.

كما أن واجب المسلم أن ينتهز فرصة حياته ويعمرها بالطاعة

والقرآن الكريم يقول: «فاستبقوا الخيرات» سورة المائدة: آية ٤٨.

كما يقول سبحانه: «سابقوا إلى مغفرة من ربيكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله» سورة الحديد: آية ٢١.

ويقول: «وسارعوا إلى مغفرة من ربيكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعملون» سورة آل عمران: آيات: ١٣٢ - ١٣٥.

الفرار إلى الله

ويأتي الحديث النبوي الشريف مؤكدا الأمر الذي طالبت به الآيات ومبيناً أن الإنسان في سباق مع الزمن فما لم يقتصر الإنسان من عمره أكبر قدر ينفقه في طاعة الله فرارا بدينه والتزود لمعاده استحوذت عليه صوارف الأحداث التي يتعرض لها وقضت

على حق الله وهو ذكره في أغلى ما يملك وهو عمره المقدر له حتى إذا وافاه الأجل لقي الله خاويا مما ينفعه إن لم يكن ضيعه في معاصي الله فذلك هو الخسران المبين.

وقوله - صلوات الله وسلامه عليه - «بادروا بالأعمال سبعاً» يعني حاولوا أن تحوزوا سبق في مضمار الحياة بالأعمال الصالحة التي تعود على المرء بما ينفعه في عاجله وأجله في دنياه وفي آخرته وتضئ بالخير على أسرته (مجتمعه الصغير) وعلى أبناء مجتمعه وعلى وطنه، وقوله ﷺ «هل تنتظرون إلا فقرا منسيا» وهو تحفيز إلى إعلان الحرب على البطالة والكسل والإخلال إلى الراحة وعدم العمل.

وقوله ﷺ «أو غنى مطغيا» هذا لا يعني إعلان الحرب على العمل الشريف الذي يحقق لصاحبه الثراء ووفرة المال ذلك أن المال عصب الحياة والطاقة التي بها يستطيع المرء أن يزود عن عرضه وأهله وولده ووطنه ويعد العدة للقاء عدوه حتى يدحره، ويرد كيده، إلى جانب ما أحله الله له من متاع الدنيا، وقد

قال: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة»، سورة الأعراف آية ٣٢.

وقد كان في صحابة رسول الله ﷺ من جهز الجيوش ومن أطعم الجياع وآواهم وحقق من المال الكثير والكثير وإلا فمن أين نصاب الزكاة، ويفرض الله في أموال الأغنياء ما يسع فقراءهم، ويعلن أن الزكاة حق في المال لله على عيال الله وعلى مستحقيها ممن شملتهم مصارف الزكاة.

وقوله ﷺ: «أو مرضا مفسدا» ذلك أن المرء متى كان صحيحا استقامت به الحياة واستطاع أن يفيد منها لنفسه ولأسرته ومجتمعه وبنى جنسه، فإذا ولت الصحة وألمت به العلة وبرز به الألم تغير وجه الحياة في ناضريه في مطعمه ومشربه وفي عمله ومع أهله وأرقه ما يعاني من الأوجاع وربما ضاقت به الحياة من الأسقام فهو لا يرى من حوله شيئا يخفف عنه أو يزيل ما به، إنه يتجرع مر الدواء وهو له حبيب.

وقوله ﷺ : «أو هرما مفندا» الهرم المرحلة الثالثة من العمر التي يشير إليها قوله سبحانه في القرآن الكريم: «ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة» إنها مرحلة الضعف في حياة الإنسان وهي المرحلة التي أوصى الله فيها الأبناء بالآباء، إذ قال: «إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا» سورة الإسراء: آية ٢٣، ٢٤.

على أن هذه المرحلة يساور المرء فيها الكثير من هموم الحياة خصوصا قلة ذات اليد، وإذا توفرت الإمكانيات فالمرء فيها عرضة للأمراض حيث لا تقوى المناعة في جسمه على درء ما قد يترتب عليه من القعود عن كثير مما اعتاده في صحته وكان له فيه متعة قد حرمها إلى جانب ما قد يقعه من حدة الذاكرة وقوة البديهة ودقة الملاحظة وسداد الرأي نتيجة ضعف قواه العقلية والجسمية إلى درجة كبيرة قد تفنى فيها خلايا الجسم كلها أو أغلبها ومن ثم فقد كان ﷺ

يستعيز بالله أن يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ويصير طاقة معطلة عاجزة عن تلبية الضروريات لنفسه وثقلا على غيره وما لذلك من أثر على مقدرات الحياة المختلفة في محيطه ومحيط أسرته.

ويقول ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث من ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده أو علم ينتفع به» وفيما ذكرناه من الآيات وما جاء في الحديث كل ذلك تنبيه إلى وجوب الاستعداد لهذا المصير واستغلال ما أمكن من العمر في التزود له من صالح العمل الذي لا رقيق فيه إلا هذا الزاد.

وقوله ﷺ «أو الدجال فهو شر منتصر» وخروج الدجال هو العلامة الثالثة من علامات الساعة الكبرى فأولى الآيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى فأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها، أخرجه الترمذى وحسنه عن أبي هريرة رفعه «تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان تحطم أنف الكفار بالعصا وتجلى وجه المؤمنين بالخاتم حتى

يجتمع الناس على الخوان» ما يؤكل عليه» يعرف المؤمن من الكافر في التزليل . وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم «إن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون» سورة النمل: آية ٨٢.

ثم يخرج الدجال وقد وردت بشأنه أحاديث كثيرة منها: حديث الإمام أحمد «إن ألفان يفرون من الدجال إلى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيما صرهم ونجدهم جهدا شديدا ثم ينزل عيسى فيأتي في السحر فيقول أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث فينطلقون فإذا هم بعيسى فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول: ليتقدم إمامكم فيصلى بكم فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب يتمأت أي يذوب كالمح في الماء فيقتله.

وقوله ﷺ «أو الساعة والساعة أدهى وأمر» المراد تقوم القيامة وذلك بعد أن تسبقها العلامات التي في عقبها تقوم القيامة ويكون البعث والبعث لغة التحريك وشرعا: إحياء الموتى للجزاء قال تعالى «إن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في

وفى البخارى عن ابن عباس -
رضى الله عنهما. فى قوله تعالى:
«**هَذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ**» قال هو
الصور والرافضة النفخة الأولى
الرادفة النفخة الثانية وأخرج
الشيخان ومالك وأبو داود
والنسائي عن أبى هريرة رفعه ما
بين النفختين أربعون وقال النووى
وقد جاءت مفسرة بأنها أربعون
سنة قال أبو هريرة يرفعه ثم
ينزل من السماء ماء فينبتون كما
ينبت البقل وليس شئ من
الإنسان إلا بلى إلا عظم واحد
هو عجب الذنب منه يركب الخلق
يوم القيامة والمبعوث عين هذا
البدن لا مثله اجماعا خلافا
لبعض الأصوليين ومن تبعهم قال
صاحب شرح الطيب على شرح
الشيخ الطيب فوجب الإيمان بما
جاء به سيدنا محمد بن عبدالله
ﷺ جملة وتفصيلا كالحشر
والنشر لهذا البدن لعين هذا
البدن لا مثله اجماعا ج ٢ ص ٣٦٥
أما هول المحشر وما بعده من
السؤال والميزان والصراط ثم
الجنة والنار فذلك ما يجب
الإيمان به وما لا يتم إسلام إلا
باعقاده صحته.

هذا ولقد اتسم ختام العام
الهجرى وبدؤه بسمة متشابهة فى
التضحية فى كل منهما وامتاز
طابع الهجرة مع التضحية
الشاملة التى طرحت كل آمال
المرء فى قيم الحياة بما فيها
أغلى ما يعتزون به وهو العيش
فى كنف البيت الحرام ثم مفارقة
الديار والأموال والأولاد حفاظا
على مصدر القوة والعزة وهو خير
الزاد والعتاد إنه الإيمان بالله رب
العالمين، وفى الهجرة التقى كل
المسلمين على أرض يثرب فى
أخوة إيمانية لا تعرف عصبية ولا
قبلية إلا رباط الإيمان بين
المهاجرين والأنصار. كما التقى
الحجيج فى ضيافة الرحمن فى
بيته متجردين من كل مظاهر
الحياة فلا مال ولا جاه ولا
استعلاء ولا كبر غنيهم وفقيرهم
سواء الضعيف والسقيم والرئيس
والمرعوس جميعا يضرعون إلى
الله بالدعاء أكرمهم فى هذا
الموقف الأصفياء الأتقياء «**قرب
أشعث أغبر ذى طمرين مدفوع
بالأبواب لا يؤبه له لو أقسم على
الله لأبره فى قسمه وحقق له ما
يشاء**». وعلى مائدة الرحمن
اجتمع الأنصار والمهاجرون فى

أخوة ذابت فى بوتقتها عروض
الدنيا وخرج الجميع بهذه الأخوة
كالبنيان يشد بعضهم أزر بعض
وهم يضعون لهذه الأمة قواعد
البناء. وفى ضيافة الله فى الحج
وتتلاقى الشعوب من سائر الأقطار
وتتلاقى الأفكار ويتدارسون شئون
الأمة يبتغون جمع الشمل ورأب
الصدع وعون الضعيف ونصرة
المظلوم وهكذا وكأنما كان ختام
العام الهجرى بما احتواه من كمال
الدين وتمام النعمة واختيار
الإسلام لنا دينا بمثابة الإعداد
لاستقبال العام الهجرى الجديد
حين يفرض علينا أن يكون
منطلقنا فى أقوالنا وأفعالنا
وعلاقاتنا ما شرفنا به ربنا من
نعمة الإسلام.

المراجع :

- سير ابن كثير.
- تفسير الواضح.
- تفسير المنار.
- النشد الطيب شرح الشيخ الطيب.
- لطائف المعارف لما مواسم العام الهجرى من الوظائف.
- صحيح مسلم شرح النووى.
- جامع الأحاديث (الجامع الكبير والجامع الصغير) ج ٢ وزاوده ج ١.
- إحياء علوم الدين.
- تنوير القلوب.
- مختار الصحاح.
- المصباح.

خَيْرُ أُمَّةٍ

الشيخ معوض عوض إبراهيم

أمة محمد ﷺ هي التي يقول فيها الله الذي يعلم مَنْ خَلَقَ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آل عمران / ١١٠

مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿الرعد / ١١﴾ ورحم الله الذي قال:

يُخْفِي صَنَائِعَهُ وَاللَّهُ يَظْهَرُهَا

إن الجميل إذا أخففته ظهراً
وصلى الله على معلّم الناس الخير، وهو يجعل من السبعة الذين يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله «ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» متفق عليه - رواه أبو هريرة.

وأكرم باليمين تنفق فتكون خيراً إلى خير، وتقوم شاهداً على الرعية والإكرام لهؤلاء الذين جعلهم الرسول ﷺ، بريداً يحملون زادنا إلى الآخرة. ومن يجب سؤلهم، وتحقق أملهم، وترد عنهم عوادي الحرمان!!! ولقد قرأ أبو حفص عمر رضي الله عنه قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

وشرط الله جلي معبر، حتى لكانه شخوص تشافهك بما لا تستطيع عنه حولا، وليس أرجى للخير من المعروف نأخذه، ومن المنكر نرفضه في

وما أكرم ربنا وأمنه وأعدله وأحكمه وهو يجعل لهذه «الخيرية» حيثياتها ومقتضياتها ومداخلها حتى لا يستشرف الذين يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا إلى الانتساب إليها نبل أمة يتدرجوا في مدارجها، ويتخرجوا على مناهجها، ويكونوا نماذج للخير حالاً ومآلاً، ودعوى وواقعاً قبل أن يأخذهم إنكار الله وتعجيبه بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف ٢-٣ والدعاوى إن لم تقيموا عليها بنيات دعاتها أدعياء وما أجدى فِعَالِ الخير، وصنائع المعروف في إعلاء صرح الأمة المسلمة، وصوغ المجتمع الصالح وتثقيته من دعاوى السوء.

وما أهداها وهي تدل على أهلها، وتتحدث عن ذويها بلسان الصدق الناطق بما يحبون أن يبقى سراً بينهم وبين الله الذي يعلم السر وأخفى وهو يقول: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴿الملك ١٣-١٤﴾
﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ

إطار الإيمان بالله **«ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم»**
سورة التغابن / ٩.

إن الخير هو كل ما يحمد وينفع، وإن الشر هو كل ما يرى ويُحذر وكم صدق الذي قال : إن الخير الذي لا شر فيه هو الجنة، وإن الشر الذي لا خير فيه هو النار ولا تطلب الجنة، ولا يهرب من النار إلا بالعقيدة النقية، والسريرة النقية والمسارة إلى إسداء الخير، وبذل المعروف والإسهام مع الآخرين في كل ما تؤدي به واجب الخلافة عن الله، كل في مكانه ويقدر إمكانه، مسارعين إلى ذلك منذ الفرصة الأولى، فالفرص لا تواتى كلما أردنا، وهي إن لم تنتهز صارت غصة، يردد صاحبها - ولكن بعد فوات الأوان وتعذر الإمكان - قول القائل:

وليس براجع ما فات منى

بلهف ولا بكب ولا لوم لى
والمعروف جميل حقا يستعبد أنفس الناس، ويؤلف الأرواح على الأرواح ولكن تعجيل اسدائه أجمل وأفضل في إحكام العرى، وتوكيد الود بين الناس، وقد وصى ونصح الذي قال:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الإنسان أحساناً

وكن على الدهر معوانا لذى أمل

يرجو نذاك، فإن الحر معوان

وقد طعم المكارم من قال:

ولم أرَ كالمعروف أمّا مذاقه

فحلوا، وأما وجهه فجميل

وخليق بالمعروف وهو من الخير، أن يؤثره وما

يلف لفه مع البر والإحسان بكل صوره ومعانيه بعد

أن استرعى القرآن إلى الأنظار، وأولاه الرسول ﷺ بقوله وعمله الإكبار وطاب أدبا وسلوكا منذ كان الناس، وبخاصة منذ نزل القرآن الكريم بمثل قول الله تعالى **«خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»** سورة الأعراف / ١٩٩.

إن الله يأمر مصطفاه، أن يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه، ويطعم من حرمه - فإذا قرأت قول الله تعالى **«لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما»** النساء / ١١٤.

وأنت قوى الإدراك فيه، رأيت الكثير من كلام الناس أحق بالإنكار الملام، إلا أن يشعروا بقيود الإسلام للسان واليد وسائر الغرائز حتى لا تقول زورا، أو تأتى فجورا، فالصدقات تقوم شواهد الأخوة الإيمانية، وبالمعروف نتواد ونتراحم، وبالإصلاح بين الناس يكون المجتمع الفاضل المتكافل، **«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم»** التوبة / ٧١.

وانك لتتفيا رياض السنة المطهرة فتقر عينك من غراس الخير والبر والمعروف من مثل قوله ﷺ **«أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف يوم القيامة»** فقد قدموا لأنفسهم، وأقرضوا الله قرضا حسنا، وأسلفوا آخرتهم من دنياهم ما يجدونه خيرا وأعظم أجرا يوم تجزى كل نفس بما كسبت **«ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا**

تُظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل
أتينا بها وكفى بنا حاسبين» الأنبياء / ٤٧.

«فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا
كفران لسعيه وإنا له كاتبون» الأنبياء / ٩٤.

ويوم اشترى عمر أمير المؤمنين أعراض
المسلمين من الحطيئة الشاعر الذي هجا أباه وأمه
وخاله وعمه وزوجه ونفسه، غلبت الحطيئة طبيعته
الآثمة فعاد يسب الناس ويهجوهم، فحبسه عمر
رسول الله ﷺ، عل الشدة تفعل فيه ما لم يفعل العطاء،
وكتب لأمر المؤمنين يستعته، ويستغفيه، ويستشفع
بزوجه وبنيه، وقال مرة:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرج
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسيهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ولكنه قد سفه نفسه، وسطا على الآخرين
لسان لم يتق الله واعتذر مرة أخرى فقال:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال كعب الأحبار وكان قد أسلم من يهوديته:
يا أمير المؤمنين إن ما قاله الحطيئة موجود في
التوراة، يقول الله تعالى «عبدى افعل الخير تجده
عندى لا يذهب العرف والمعروف بينى وبين
عبدى». والمؤمن يفعل الخير على حبه، ويتنافس في
جهده، ويوقن أنه واجده خيرا وإن تراخى الزمان

مستجيبا لأمر الله «وافعلوا الخير لعلكم
تفلحون» الحج / ٧٧.

وطاعة للرسول ﷺ وفي طاعته طاعة الله
تعالى فهو صلوات الله عليه يقول «افعل الخير مع
أهله ومع غير أهله فإن وجدت أهله وجدت أهله،
وإن لم تجد أهله كنت أنت أهله».

وبعد فإن خيرية هذه الأمة «ليست شعارا
يرفع، ولا لافتة تتخللها مشاهد البهجة والأنوار ولا
هى أغان وأناشيد يصرخ بها، ولا هى تركة
صالحة عند من صارت إليهم من آباء وأجداد، فلم
يزيدوا من أمثالها عليها، ولا أضافوا جديدا من
خير إليها، ورحم الله عبد الله بن جعفر بن أبى
طالب فقد قال:

لسنا وإن احسابنا كرمتم
يوما على الآباء نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل مثلما فعلوا

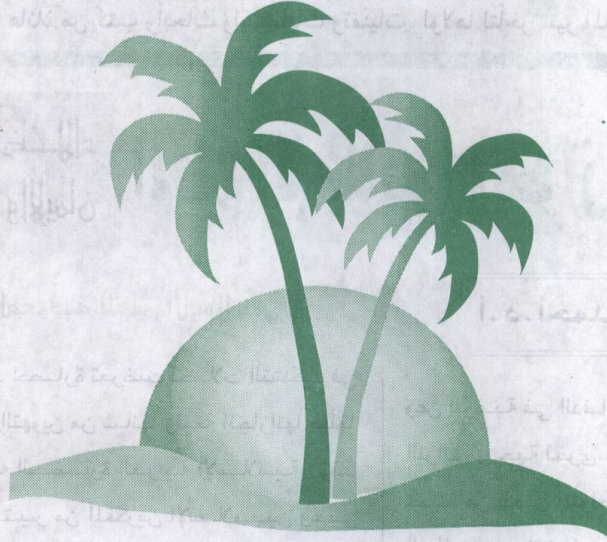
«فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى.

فسييسره اليسرى، وأما من بخل واستغنى. وكذب
بالحسنى. فسييسره للعسرى. وما يفتى عنه

ماله إذا تردى» سورة الليل / ٥ - ١١

فهل نكون بدا فى يد وجنبا إلى جنب فى
مؤازرة الذين آثروا الخير فكونوا دور عبادة
ومعاهد علم ومؤسسات بر وإحسان فى مواقع هى
فى حاجة إلى الأبرار . إن الله مع المحسنين.

الحضارة والعلوم



- العلم الإسلامي وحوار الحضارات
- عصر الفضاء بين العلم والقرآن
- أثر البيئية في السلوك

فطن المسلمون الأوائل إلى حقيقة الدعوة القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بطلب العلم النافع وإمعان النظر في ملكوت السموات والأرض، وانطلق علماء الحضارة الإسلامية، بروح إيمانية وثابة، وعقلية علمية راجحة، إلى أداء فريضة البحث العلمي كأحسن ما يكون الأداء، وأخذوا بمنهج النظر العميق في مختلف مجالات العلوم، فأبدعوا علما نظريا وتجريبيا، وشيدوا حضارة زاهرة، ظلت لأكثر من ثمانية قرون تشع على العالم ثقافة ومدنية، وتقدم لمسيرة الفكر البشري رصيда هائلا من كتب وأبحاث واكتشافات وتقنيات، لولاها لتأخر سير المدنية إلى ما شاء الله.

فقه العلم والإيمان العلم الإسلامي وحوار الحضارات

أ.د. أحمد فؤاد باشا

القيمة المعرفية للعلم الإسلامي

وعن الرغبة في الدفاع المتشنج عن الكيان وعن التراث من جهة أخرى، مما ساعد على ظهور مرحلة جديدة من العمل المتواصل في إحكام روابط التفاهم العالمي، وفي اتخاذ دراسة الحضارات البشرية وثمارها سبيلا إلى تأكيد الوحدة الإنسانية، ودافعا إلى التعاون الحقيقي في إزالة الخصومات وتخفيف حدة الأطماع.

وكان لهذا التوجه أعظم الأثر في تقديم الردود المقنعة على كل ما طرحه الخصوم من دعاوى حول هذه النقطة أو تلك في مجرى تاريخنا الفكري والحضارى. وأصبح واضحا أن البيئة الاجتماعية - أى ما يكون فى المجتمع من نظم اجتماعية - كنظام حكومة ودين وأسرة وتعليم ونحو ذلك، أهم فى قيام الحضارات ونموها من غيره من عوامل البيئة التى

لا توجد حضارة تعرضت لحملات التشكيك فى أصالتها والتهوين من شأنها وقيمة انجازاتها مثلما تعرضت له الحضارة العربية الإسلامية . وقد تصدى كثير من المفكرين الإسلاميين وغير الإسلاميين للرد على مختلف هذه المحاولات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام، والمشككة فى قدرات العقلية الإسلامية، والمشوهة لحقائق التاريخ والعلم على حد سواء، وذلك من خلال مشاركات جادة بالبحوث والدراسات الموضوعية فى المؤتمرات والندوات المعنية بحوار الثقافات، كشفت عن جديد من النصوص والوثائق والمخطوطات التى ساعدت على توضيح اللبس والغموض اللذين شابا نطاق التأثير والتأثر بين الفكرين الإسلامى والغربى. وقد تميز أغلب هذه البحوث والدراسات بمعالجة الموضوع بعيدا عن التحامل والتعصب من جهة،

نصيبنا من الاهتمام العالمى بالتراث العلمى

إن الدراسة المنهجية للتراث العلمى الإسلامى، والقراءة المتأنية لنصوصه بلغة العصر ومصطلحاته، تكتسبان أهمية خاصة إذا ما أجريتا فى ضوء المفاهيم والنظريات الحديثة المنبثقة عن مختلف النشاطات الدولية المعنية بقضايا التراث العلمى عموماً. وليس هناك من شك فى أن مثل هذه الدراسات التراثية للعلم الإسلامى من شأنها أن توضح أهمية التحليل المنطقى لتاريخ العلوم وتقنياتها، فلن يوجد فهم واقعى للعلم بدون نقد متواصل له، وليس ثمة معرفة إنسانية لا تفقد طابعها العلمى حتى نسى الناس الظروف التى نشأت فى أحضانها، وأغفلوا المسائل التى تولت الجواب عليها. ومن ثم فإن خريطة الاهتمام العالمى بتأصيل العلوم وإحياء التراث العلمى ينقصها الكثير لأنها أغفلت كل ماهو غير غربى من علم وعلماء. وهذا - فيما يقول - «جان دومبريه» - رئيس الجمعية الفرنسية لتاريخ العلوم والتقنيات - يؤدى إلى الانحياز بصورة منفردة، فنحن اليوم - فيما يقول «دومبريه» أيضاً - لانزال نعرف شارحى «إقليدس»، بدءاً من ثابت بن قرّة إلى «أديلارد الباثى» ومن «جيرار الكريمنى» إلى عمر الخيام الذى لا يمكن إنكار أنه كان مبدعاً وشاعراً وعالمًا فى الرياضيات. ونضيف من جانبنا أن هذا التحيز الواضح فى الاهتمام العالمى بتراث العلماء الغربيين دون غيرهم ينبغى أن يقابله جهد مكثف من جانب أصحاب الحضارات المختلفة التى ساهمت فى صنع التقدم العلمى والتقنى عبر الأجيال، وخاصة أصحاب

يعيش فيها صناع الحضارة أو الجنس الذى ينتمون إليه. والحقيقة الأخرى التى تفرض نفسها هى أن الحضارة العربية الإسلامية كانت المشعل الوحيد الذى أضاء الدنيا كلها خلال القرون الوسطى، وأن ما يسمى بالخصومة الدينية لم يكن أبداً من جانب الدين الإسلامى الذى جاء تأكيداً وامتداداً للرسالات السماوية السابقة ودعا إلى الإيمان بها. وسيرة الإسلام مليئة بما يؤكد تسامحه الشديد مع غير أبنائه، وقد حافظ المسلمون على هذا المبدأ فى معاملتهم مع أهل البلاد التى فتحوها، وسجلوه فى جميع ما عقده معهم من معاهدات. ولم تحل الدولة الإسلامية فى عصورها التاريخية دون العلم وتطوره ونقله ومدارسه على أيدي كل من كانت له صلاحية وأينما كانت مصادره، فلم يكن كل المشتغلين بالعلم من أصل عربى ولا معتنقين الديانة الإسلامية، ولكنهم جميعاً عاشوا وعملوا، وأنتجوا باللغة العربية فى إطار مجتمع إسلامى يكفل حرية الاعتناق الدينى وحرية الرأى والتعبير، حتى أنه سمح لفلسفات أن تقوم وتمتد إلى المناقشة فى أصول العقائد الإسلامية ذاتها، وهو ما لا يحدث حتى الآن فى كثير من الدول المتقدمة.

كما تبلورت من خلال هذا التوجه رؤية واضحة لمقومات العلم الإسلامى وخصائصه، استلهمها واستدل عليها أصحاب النظرة العلمية الفاحصة من مقومات التصور الإسلامى وخصائصه، ومن سمات العقلية الإسلامية ومميزاتها، ومن معطيات التراث الإسلامى ونخائره، ومن حقائق التاريخ الإنسانى الثابتة.

الحضارة العربية الإسلامية التي مهدت لقيام النهضة الأوروبية الحديثة.

وإذا كانت الخبرة الإنسانية تدعونا دائما إلى الاعتبار بدروس التاريخ، فإن تاريخ العلوم لا يدلنا فقط على المراحل الزمنية للتغيرات التي شهدناها، ولكننا نتعلم منه أيضا أن المشكلات والقضايا العلمية التي تواجهنا الآن ليست جديدة تماما، فالأساليب التي عولجت بها هذه القضايا في ظروف مغايرة عبر العصور لن تخلو أبدا مما يمكن أن نفيده منه اليوم أو غدا. ولذا فإن أية نظرية تطرح لنقده العلم قديما وحديثا تكتسب أهميتها من المبررات المنطقية التي تقدمها كمسوغ لإعادة قراءة تاريخ العلوم في ضوء المرحلة التي يبلغها من تطوره على أساس ما يستجد دائما من أفكار تتعلق بالجوانب المختلفة لنظرية العلم والتقنية. ومن هنا نعثر على السبب الحقيقي وراء الاهتمام المتزايد حاليا على مستوى العالم بإعادة تحليل تاريخ العلوم الكونية وتقنياتها برؤية موضوعية قدر الإمكان من خلال المؤسسات الأكاديمية والمجلات الدورية والترجمة والتأليف وإحياء تراث الأعلام في فروع العلم المختلفة.

الجمع بين الأصالة والمعاصرة

أخذ الاهتمام العالمي بقضايا التراث العلمي في الازدياد بصورة تلفت النظر خلال النصف الثاني من هذا القرن، خاصة بعد أن أظهرت الدراسات المتعلقة بتاريخ العلم وفلسفته أن الباحث الجيد هو الذي يكون على دراية تامة بأحدث ما توصل إليه زملاؤه في مجال تخصصه، وأن يكون في الوقت

نفسه ملما إماما كافيا بأصول المفاهيم العلمية المتصلة بموضوع بحثه، وذلك من خلال متابعتها الدقيقة لطبيعة نموها عبر مراحل تطورها. وهذا يعنى أن الجمع بين الأصالة والمعاصرة في العلوم الكونية يعتبر من أهم سمات الباحث الجيد الذي يكون بلاشك أقدر من غيره على ممارسة البحث العلمي برؤية أعم ومنهج أصوب وذوق أرقى.

وطبقا لما جاء في تقرير عن ندوة «تاريخ العلوم والثقافة العلمية في أوروبا» - التي عقدت بفلورنسا عام ١٩٩١م - فإن العلم قد يوصف هذه الأيام بأنه «معرفة بدون ذاكرة»، وأنه يشق طريقه إلى الأمام دون التفاتة واحدة للخلف. والباحثون أنفسهم منغلجون في حاضر شبه دائم، ونادرا ما يشارفون إلى مراجع يزيد عمرها عن بضع سنوات.. وأوضح التقرير أنه إذا كان «فقدان الذاكرة المكن» هذا قد أسهم في وقت من الأوقات في زيادة فاعلية المشروع العلمي، إلا أنه قد بدأ الآن يصبح مضادا للانتاجية، والباحثون المحرومون من الثقافة التاريخية، والمنعزلون عن الأسس التي تقوم عليها علومهم، يميلون إلى أن يضلوا طريقهم ويضاعفوا أخطاءهم. وكما اتضح جليا من رواية «ذاكرة الماء» التي أشرنا إليها، فإن أولئك الباحثين قد يظلون دائرين في حلقات مفرغة، أى في مسارات سبق اكتشافها من قبل، واتضح أنها تقضى إلى نهايات مسدودة.. وبعض الاكتشافات التي تقدم اليوم على أنها إنجازات ثورية وإبداعية غير مسبوق، قد لا تكون في الحقيقة سوى إعادة تشكيل لبعض الأفكار القديمة التي أهملت وغمرها النسيان لسنين عديدة.

وتوقع المشاركون في هذه الندوة المعنية بتأصيل العلم، والتي اقتصرَت المناقشات فيها على معالجة الموضوع في سياق أوروبي محض، لمبحث تاريخ العلم والتقنية أن يؤدي دورا كبيرا في السنوات القادمة، وأن يحتل مكانة بارزة في مجال التعليم، مع دور جوهري في ميادين التدريب الأولى وأثناء فترة الخدمة. ويعنى هذا بوضوح تدريب الباحثين في المقام الأول، وهو ينطبق أيضا على المهندسين وطلاب العلوم الإنسانية والآداب، مما يتيح لهم مقدمة ميسرة لفهم حركة العلم والتقنية، واستيعاب ما فيها من طرق ومشكلات.

كذلك يوجد طوائف أخرى كثيرة من العاملين الذين يهتمهم هذا الأمر، مثل صانعي القرار السياسيين ومستشاريهم، والمتخصصين في دراسة السياسات العلمية، ورجال الاقتصاد ومحلى الابتكارات الذين يسعون إلى الحصول على معلومات وأدوات تمكنهم من مواجهة المشكلات المعاصرة. بل إن أعضاء هذه الندوة يرون أهمية قصوى لتاريخ العلوم وتقنياتها بالنسبة لجميع فئات المجتمع في الريف والحضر، باعتباره يمثل الحد الأدنى من المعرفة بعلم التاريخ وفلسفته العامة، بجوانبه الاجتماعية والسياسية والعلمية، من أجل ممارسة صحيحة لحق التصويت.

وفي ضوء هذا العرض الموجز لأهمية الجمع بين الأصالة والمعاصرة في الفكر العلمي العالمى ينبغي أن نوضح حقيقة هامة مؤداها أنه إذا كان التأصيل الإسلامى للعلوم يعد من الناحية المعرفية تصحيحا لحركة التاريخ العلمى ومساره، إلا أنه يُعد كمقوم

حضارى من أهم مقومات نهضتنا الإسلامية المنشودة. ذلك لأن تأصيل الثقافة الذاتية لأية أمة وتعزيز قيمها في نفوس النشء يجعل سلوك الفرد متوافقا مع فكر مجتمعه، وعاكسا لقيمه ومعتقداته. والثقافة في أمتنا العربية والإسلامية يمكنها أن تقدم ما هو أكثر من مجموع عناصرها المادية والفكرية، إذا ما امتزجت بتعاليم الإسلام الحنيف وقيمه السامية، بحيث يصبح ما يضمه المثقف في نفسه من تلك القيم والتعاليم دافعا له نحو التحرك في إطار المتغيرات المرتبطة بثوابت الدين الإسلامى، والمناسبة لواقع العصر، والمستشرقة لأفاق المستقبل. عندئذ فقط يكون هذا الإنسان أكثر قدرة على الإسهام والمشاركة في بناء حضارة العصر بنصيب مع مجد أمته وتاريخها العريق.

أهم المراجع

- ١ - مجلة العلم والمجتمع، عدد خاص عن منظورات تاريخية في العلم، ١٦٠/٨٢ (١٩٩١م) إصدار اليونسكو.
- ٢ - محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق - القاهرة - ١٩٨٦م.
- ٣ - محمد أحمد الرشيد، التربية ومستقبل الأمة العربية، عالم الفكر، الكويت، مجلد ١٩، ع ٢، ١٩٨٨م.
- ٤ - د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامى - دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة، ١٩٩٧م.

عصر الفضاء بين العلم والقرآن

أ.د. منصور محمد حسب النبي

استمراراً لإعجاز القرآن الكريم في هذا الموضوع أعرض اليوم إشارة قرآنية لسفن ومكوك الفضاء في آيات الزخرف كما فهمتها والله أعلم وذلك بعد استكمال الحديث عن تكنولوجيا الاتصالات

أ. تكنولوجيا الاتصالات في عصر الفضاء.

بدأت الأقمار الصناعية دورها عام ١٩٥٧ بخدمة البحث العلمي وجمع معلومات عن المجهول في الفضاء، وعمل القياسات اللازمة لغزو الفضاء، وحركة سفن الفضاء، وكذلك القياسات العلمية مثل قياس شدة الأشعة الكونية، واكتشاف أحزمة فان ألن الإشعاعية، وشكل الأرض، وقياس ضغط الإشعاعات الضوئية، والمجال المغناطيسي حول الأرض، والنشاط الشمسي، ودراسة آثار الشهب والنيازك والمذنبات في الفضاء، وطبقات الغلاف الجوي كالأيونوسفير والأوزونوسفير، وقياس صلابة تربة القمر، ودقة التوجيه والالتحام بين السفن الفضائية، ودقة متابعة قمر في الفضاء لقمر آخر، ودراسة الآثار البيولوجية على الأحياء في الفضاء.

والأرصاد الجوية، والملاحة الجوية، والاستطلاع والتجسس العسكري والتصوير الفضائي، وفيما يلي موجز عن أهمها:

أ - أقمار الاتصالات اللاسلكية والتلفزيونية. لعبت أقمار الاتصالات دوراً هاماً في زيادة مدى انتشار الأمواج اللاسلكية، وبالتالي الإذاعات المسموعة والمرئية، وأصبح قمر صناعي واحد قادراً على تغطية مساحة تقرب من ثلث مساحة الكرة الأرضية من ارتفاع شاهق قدره ٣٥٨٨٠ كم فوق خط

ونذكر من سلسلة هذه الأقمار العلمية سبوتنيك (أول قمر صناعي) وسبوتنيك الذي حمل الكلبة لايفكا، وسلسلة أقمار الكاشف الأمريكية (إكسبلورر) التي بلغ مجموعها ٣٨ قمراً، وكذلك أقمار الطليعة (فانجارد) الأمريكية، وأقمار الرائد (بيونير)، وأقمار كوزموس الروسية.

وهناك أيضاً الأقمار القياسية المدارية الفلكية والشمسية والجيوفيزيائية، وهناك أيضاً الأقمار التطبيقية للاتصالات اللاسلكية والإذاعات التلفزيونية

الاستواء لأنه عند هذا الارتفاع يمكن أن يتساوى زمن دوران القمر الصناعي حول الأرض مع زمن دوران الأرض حول نفسها، فيظل القمر معلقاً أو ثابتاً نسبياً فوق هذا المكان، نظراً للتزامن الحادث بين كل من القمر الصناعي والأرض ويثبت القمر إذاعته ليغطي بها رقعة كبيرة من الأرض ولقد وجدت أجيال مبكرة من أقمار الاتصالات في أوائل الستينات مثل الطائر المبكر (Early Bird) واللاقط (Relay) ونجم الاتصالات (Telestar) وكانت مهمتها قاصرة على البث الإذاعي، ثم أطلق القمر الصناعي (Syncon) عام ٦٤ للبيث التلفزيوني الذي نجح لأول مرة في نقل صور المباريات الأولمبية من طوكيو إلى مشاهدي الشاشة الصغيرة في أوروبا، فاستمتع هؤلاء بمتابعة هذه المباريات في نفس الوقت الذي كانت تقام فيه في قارة أخرى رغم أنها تبعد عنهم آلاف الكيلو مترات وصدق تعالى بقوله: (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) (سورة سبأ: الآية ٥٣)

وقد ظهر من أقمار الاتصالات أجيال جديدة من أهمها أقمار انتلسات (Intelsat) ومولنيا (Molnia) وانتركوزموس (Intercosmos) وأقمار عربسات ١، ٢، وهي خاصة بالبلاد العربية، وغيرها من أقمار الاتصالات العالمية التي يبلغ عددها حالياً بالآلاف المصري والتي سينضم إليها في العام القادم قمر الاتصالات لعلنا نستخدمه في بث أوجه الإعجاز العلمي للقرآن ومبادئ الإسلام والله الهادي إلى سواء السبيل...

ب - أقمار التنبؤات الجوية.

خلصت هذه الأقمار التنبؤات الجوية من معظم القصور الذي كان موجوداً قبل عصر الفضاء حيث تؤخذ الصور الآن من الفضاء لمعرفة توزيعات السحب في الغلاف الجوي حول الكرة الأرضية، واستنتاج حالة

الطقس وسرعة الرياح واتجاهاتها، والظواهر الجوية الشاذة كالأعاصير والعواصف، وأصبح لهذا التنبؤ صفة الشمول على مستوى الكوكب كله باستخدام كاميرات الأشعة تحت الحمراء الموجودة بأقمار الاستشعار عن بعد ليلا دون حاجة للتصوير النهاري. ولا شك أن التنبؤات الجوية لازمة للعسكريين، وللطيران المدني، ومن هذه الأقمار نيمبوس وتيرويس وإيسا الأمريكية وميتيور الروسي وغيرها الكثير.

ج - أقمار الملاحة الجوية والبحرية.

تم إطلاق هذه الأقمار لخدمة الملاحة الجوية والبحرية لهداية الطائرات والسفن إلى اتجاهاتها الصحيحة، ولتكون بمثابة منارات في الفضاء تقدم مساعداتها إلى الطائرات والسفن عبر آلاف الكيلو مترات، ومنها أقمار نافيتار الأمريكية والتي تدور حول كوكب الأرض على ثلاثة مدارات، ويمكن لأي طائرة أو باخرة أن تستعلم عن عناصرها الملاحية الخاصة بإحداثيات المكان والزمان والسرعة لتظهر مسجلة على أجهزة الطائرات والبواخر المشتركة في هذا البرنامج الذي يساهم أيضاً في البحث عن مكان السفن عقب استغاثتها.

د - أقمار الاستطلاع.

غيرت الأقمار الصناعية من كل وسائل الاستطلاع بالطائرات لأن التصوير الفضائي أكثر شمولاً ودقة وأوفر ثمناً. ويعتمد الاستطلاع بالأقمار الصناعية التقاط الصور بالكاميرات العادية أو بالتصوير الراداري أو بكاميرات التصوير بالأشعة تحت الحمراء، ومنها أقمار اكتشاف الموارد الأرضية (لاندسات)، وتستخدم أيضاً للتجسس، وهي قادرة على تصوير أدق التفاصيل الطبوغرافية فوق سطح الأرض سواء كانت جبالاً أو ودياناً أو أنهاراً أو كثباناً رملية، أو صخوراً أو

مدنا أو أراضى زراعية أو تجمعات عسكرية وبالتالي فإنه يمكن تصوير أى انفجار، واستشعار الانفجارات النووية بأجهزة قياس إشعاعية مثبتة بهذه الأقمار، ومتابعة المعارك العسكرية ساعة بساعة، ولم يعد بالإمكان إخفاء المعدات العسكرية ذات الأحجام الكبيرة كالدبابات والطائرات والصواريخ، لأن وسائل الإخفاء والتصويه التقليدية ليست ذات جدوى أمام عدسات هذه الأقمار التي تستطيع فضح معالم كل شيء بتكنولوجيا الاستشعار عن بعد الذي تقدم لدرجة الكشف عن المخبوء تحت سطح الأرض من معادن ومياه جوفية وبتروول (أى ما تحت الثرى) وبهذا يتم حاليا إلى حد ما اختراق حجب الغيب المكناني مما يدخل تحت تفسير الآية الكريمة. «ويقذفون بالغيب من مكان بعيد» (سورة سبأ: الآية ٥٣).

ولقد نجح من أقمار التجسس العسكرية الأمريكية عدة أجيال منها : ساموس وميداس التي تطورت مهامها بأقمار جديدة سرية لا يعلن عنها تقوم إلى جانب التقاط الصور وإرسالها بالتصنت والتقاط الإشارات والبرقيات وحل شفرتها ورموزها، وأصبح لهذه الأقمار مسميات عسكرية حسب مهماتها مثل التفتيش والمراقبة والبحث عن الغواصات والإنذار المبكر أو الاستطلاع الإلكتروني.

ولقد تقدمت تكنولوجيا الفضاء لدرجة أصبح في الإمكان اصطياد الأقمار بالمكوك الفضائي وأسرته، أو إصلاح العطب فيه داخل المكوك وإخراجه ليدور في مداره مرة أخرى، أو توجيه أشعة الليزر الحارقة من المكوك لتعطيل الأقمار، أو تدمير رؤوس الصواريخ العابرة للقارات.

كما تقدم الاتصال التليفوني حديثا باستخدام الميكروويف في التليفون المحمول الذي أتاح للإنسان أن يتصل مثلا بمنزله أو العكس وهو في مكان بعيد عن

أهله وهذا التليفون قد يكون بالسيارة (النعل) أو الحزام (السوط) كما أفهم أنا شخصيا والله أعلم من الحديث النبوى التالى فى قوله (ﷺ) عن أبى هريرة : إنها أمانة من أمارات الساعة أو شك الرجل أن يخرج من بيته فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله من بعده» ..

كما أذكر هنا الإشارة إلى مخترع جهاز الراديو (مركونى) بقصيدة لشاعر مصرى معبرا عن إحساسه بالإيمان بالله عند سماعه أول بث إذاعى حدث فى مصر منذ عام ١٩٣٠ قائلا :

لولا البيان الذى يسمو الأديب به

لما تفنن فى المذياع مركونى
قضى الليالى فيه وهو مخترع

حتى سمعنا فى مصر صوت برلين
والفضل ليس لفولاذ وكهربة

ولا لموج أثير غير منون
وإنما الفضل لله الذى خلقت

يداه للعلم إنسانا من الطين
ب - تطور سفن الفضاء

مقدمة فى رحاب القرآن

لقد أشار القرآن الكريم إلى وصف سفن الفضاء وتطورها فى قوله تعالى : «ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون* ولبيتهم أبوابا وسرا عليها يتكئون* وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين» (الزخرف: الآية ٢٣-٢٥)

هذه الآيات الكريمة تشير - والله أعلم - إلى عصر

ارتياح الفضاء فإن الله سبحانه لم يجعل التكنولوجيا اللازمة لذلك مقصورة على الكفار الملحدين مثل الروس الشيوعيين، ولكن غيرهم من أهل الكتاب سبقوا الروس في ذلك وارتادوا الفضاء ووصلوا للقمر، كما أن أحد المسلمين ركب مكوك الفضاء ليساهم في إطلاق القمر العربى أربسات، ولو جعل الله هذه التكنولوجيا مقصورة على الكفار لأصبح الناس جميعا مذهبا واحدا مجتمعين على الكفر (أمة واحدة) وتعظم بذلك الفتنة ولكن الله بحكمته جعل هذا التقدم العلمى شاملا تحاشيا لانزلاق الناس فى الكفر إذا وجدوا الكافر وحده فى قمة العلم والتقدم متمتعاً بزينة الحياة وزخرفها ومالكا لوسائل العروج فى السماء. وينبها الله عز وجل أنه عندما يحدث ذلك فيجب علينا أن تتمسك بإيماننا، لأن الدنيا متاع الفرور والآخرة للمتقين، وفيما يلى أقدم شرحا وتصورا علميا لهذه الآيات فقلوه تعالى : « لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها ما يظهرون » أى لجعلنا للكفار بيوتا من نوع جديد يتركب من :

١ - سقف من فضة : ألواح من معدن لأن لفظ «سقفا» جمع سقيفة (مثل سفن جمع سفينة) أى كما ورد فى لسان العرب سقيفة بمعنى لوح السفينة، وأما لفظ فضة فيعنى بالمجاز المرسل المعادن كالألومنيوم والنحاس والصلب وسبيكة الفضة والنحاس التى تستخدم فى لحام ألواح السفن، وهذه السفينة المعدنية هى بيوتهم الجديدة التى ستسبح فى ظلام الفضاء، ومما يدل على جواز تفسير البيوت هنا بالسفن الفضائية قول سيدنا نوح عليه السلام حين دعا ربه مسميا سفينته بيتا كما فى قوله « رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا » (سورة نوح الآية ٢٨).

كما أن البيت هو مستقر الإنسان ليلا ومشتق من الفعل بات ويبيت فى الظلام، والليل دائم فى الفضاء

تسبح فيه هذه البيوت المعدنية كما ذكرنا.

٢ - ومعارج عليها يظهرون : وهذه إضافة قرآنية تؤكد أن هذه البيوت المعدنية سفن الفضاء بلا أدنى شك لأنها تحتاج معارج لإطلاقها أى وسائل تعرج بهذه البيوت المعدنية فى الفضاء، وهذه الوسائل هى الصواريخ التى تصعد فى انحناء فى السماء أى تعرج بحقيقة هذا اللفظ الذى يستخدم دائما للتعبير عن أسفار الفضاء من مسارات منحنية (لأن يعرج أى يحاكى مشية الأعرج، وانعرج الشئ وتعرج بمعنى انعطف ومال) كما فى قوله تعالى : « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون » (الحجر : ١٤).

« يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » (السجدة : ٥)

« من الله ذى المعارج * تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (المعارج : ٤)

« يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم » (الحديد : ٤)

وبهذا فإن المعارج طرق سماوية منحنية تسلكها الصواريخ كوسائل صعود فى السماء تحمل البيوت المصنوعة من الألواح المعدنية السابق شرحها. وقوله تعالى : (عليها يظهرون) أى يعلون ويرتقون ويصعدون قمة هذه المعارج. ويستخدم ضمن معانيها المتعددة لغويا للسفر طائرا فى السماء كما فى اللغة العربية « ظهرت الطير » والإنسان هنا سوف يظهر، أى يسافر طائرا فى السماء بواسطة هذه المعارج التى فتح الله لها الأبواب فى السماء فى عصرنا الحالى بعد أن زال المانع فى حرف الامتناع « لو » فى قوله تعالى :

«ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون» (الحجر : الآية ١٤).

ولقد كانت سفن الفضاء تكفى فقط لسفرة واحدة فى أوائل عصر الفضاء أما الآن فقد تعددت الأبواب كما فى مكوك الفضاء الذى تعدد رحلاته ذهابا وإيابا عدة مرات دون استبداله وربما يكون هذا تفسيرا لقوله تعالى :

«ولبيوتهم أبوابا» أى والله أعلم أن البيوت الفضائية المتطورة التى سبق وصفها فى الآية سوف تعدد أبوابها أى رحلاتها كما فى مكوك الفضاء كولومبيا وتشالنجر (الذى احترق) وديسكافارى وأطلانتيس، وأيضا كما فى المحطات الفضائية مير الروسية وسكاى لاب الأمريكية، والمستعمرات الفضائية التى يطمح العلماء فى إنشائها مستقبلا لتكون مستقرا للإنسان لمدة طويلة، بحيث يتمكن بواسطة المكوك بالعودة إلى والنزول من هذه المحطات فتتعدد بذلك أبوابها وخاصة بعد أن تنجح الأبحاث الجارية حاليا للتغلب على مشكلة انعدام الوزن، والتى تمنع الإنسان من التمتع بالنوم فى استرخاء واطكاء على السرير وتجعل الإنسان يسبح فى المركبة فاقد الإحساس بالوزن وينام واقفا أو معلقا فى أكياس مربوطة لجدار السفينة علاوة على مشاعر الخفقان والمعاناة الناتجة من فقد الإحساس بالتأقلم، لهذا يفكر العلماء فى توليد جاذبية صناعية بجعل سفينة الفضاء أو جزء فيها يدور مغزليا بسرعة كفيلة بإعطاء الإحساس بجاذبية مساوية للجاذبية الأرضية. ولو تم هذا مستقبلا فسوف يمكن الجلوس على الكراسى والنوم على السرر والمشي وممارسة الحياة العادية فى السفينة الفضائية دون مشاكل وربما يكون هذا تفسيرا لقوله تعالى : «وسررا عليها يتكئون وزخرفا» أى وسررا يستقر عليها الإنسان دون أن يسبح فى فضاء

المركبة ودون أن يربط فى جدارها، وهذه مرحلة لم يصل إليها العلم حتى الآن، وأما الزخرف هنا فهو إشارة لكمال حسن الشيء. ومن الجدير بالذكر أن لفظ الزخرف يستخدم أيضا بمعنى ما زين من السفن، ومعنى الذهب علما بأن المركبة القمرية فى رحلة أبولو كانت مطلية بالذهب.

وأما قوله تعالى : «وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا» أى وكل ذلك من تقدم تكنولوجيا لن يتحقق وقت نزول القرآن ولكن سوف يجعله الله فى المستقبل كمتاع للحياة الدنيا، والدليل على ذلك حرف لما الذى يأتى لغويا بعدة معانى منها لما النافية الجازمة التى وردت هنا وقد حذف فعلها وتقديره «نجعل» والفعل الدال عليه هو قوله تعالى فى الآية السابقة (الزخرف ٣٢) «لجعلنا لمن يكفر بالرحمن» وبهذا يصبح المعنى كما يلى :

وإن كل ذلك (التقدم) لما نجعله «أى لم نجعله بعد وسنجمعه يقينا فى المستقبل) إنما هو فقط متاع الغرور، أى متاع الحياة الدنيا، ويجب على المؤمنين الذين لم ينالوا قسطا وافرا من هذه التكنولوجيا، ألا يهتز إيمانهم ويحيدوا عن طريق الحق فالآخرة بمتاعه الحقيقى غير المزيف ستكون لهم دون الكفار كما فى قوله تعالى : «والآخرة عند ربك للمتقين». وذلك تذكيرة لهم بفضل الآخرة حتى يزداد تمسكهم بدينهم ولا يفتنوا بهذه المدنية الحديثة عندما يحين الوقت وتأخذ الأرض زخرفها وتزين ويظن الكفار أنهم قادرون عليها كما حدث حاليا فى عصر الفضاء والغرور العلمى.

ولقد فهم جميع المفسرين هذه الآيات على أنها وسائل ترف لبيوت مستقرة على الأرض سقوفها ومدارجها وسررها وأبوابها من ذهب وفضة.. ولكننا هنا شرحناها بمفهوم جديد بسبب الإشارة القرآنية لمعارج هذه البيوت، ولكى ندرك معانى الآيات القرآنية

(الزخرف ٣٣-٣٥) في هذا التفسير الجديد نستعرض فيما يلي التطور العلمي والتكنولوجي لسفن الفضاء البشرية ومتاعب الحياة في مرحلة انعدام الوزن وكيفية التغلب على العقبات مستقبلا في المستعمرات الفضائية المزعم إنشاؤها في القرن الواحد والعشرين.

ب - تطور سفن الفضاء المأهولة (البيوت الفضائية)

اتسمت رحلات الفضاء الأولى بقصر مدتها وسعتها لفرد واحد، فلقد مكث رائد الفضاء الأول يوري جاجارين ١٠٨ دقائق في رحلة فستوك ١ عام ١٩٦١، والرائد الأمريكي شبرد لمدة ١٥ دقيقة في رحلة فريدوم ٧، ووجرسوم لمدة ١٥ دقيقة في رحلة ليبيرتي ٧، وتيتوف في فستوك ٢ لمدة ٢٥ ساعة أيضا عام ٦١، ثم جلن في رحلة فريند شيب (٦٢)، وكارينتر في أورورا ٧، ولنيكولايف وبوبوفيتش في فستوك ٣، ٤، على الترتيب، وشيرا في سجم ٧ أيضا عام ٦٢ ثم كوبر في فيث ٧ عام (٦٢)، وفاليري وفالنيتينا ٦،٥ في نفس العام على الترتيب، وكلها رحلات لم تدم أكثر من بضع عشرات من الساعات، ثم بدأت رحلات براثدين في ١٤ رحلة منها اثنان في سفن فوسخود الروسية وعشرة في برنامج سفن جيمنى الأمريكية، واثنان رواد لكل سفن سيوز، ثم تطورت الرحلات الفضائية في كل من أمريكا وروسيا بثلاثة رواد لكل رحلة منذ أواخر ٦٥ في برنامجي أبوللو وسيوز وزادت مدة الرحلة إلى بضعة أيام.

ثم بدأ برنامج أبوللو الأمريكي في تطوير رحلاته التي بدأت بالرحلة التاريخية أبوللو ١١ تحمل رواد الفضاء الثلاثة أرمسترنج وألدرين وكولينز إلى القمر وتحقق لأول مرة نزول الإنسان على القمر وتبعته رحلات أبوللو ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ وصلت جميعها للقمر بين أعوام ٦٩، ٧٢ كما سنشرح في مقال قادم.

وكانت كل سفينة بيتا مزودا بمكان مخصص للعمل وآخر للراحة والنوم ومكان ثالث للخدمات والأجهزة، وكانت الحياة طبعاً تحت حالة انعدام الوزن لمدة طويلة وصلت إلى عدة شهور كما في المحطة المدارية السوفيتية ساليوت ٧ التي مكث فيها ثلاثة رواد سوفيت عام ١٩٨٤ لمدة ٢٣٧ يوماً. وأما محطة مير السوفيتية فقد سجل أحد الرواد ٣٦٥ يوماً عام ٨٨، بينما سجل الأمريكيون ٨٤ يوماً، فقط في البقاء في محطاتهم الفضائية سكاي لاب عام ٧٣.

ولقد أحرزت أمريكا السبق بلا شك على روسيا في صنع أول مكوك فضائي وإطلاقه في ١٢/٤/٨١، حين بدأت البشرية حقبة جديدة من سفن الفضاء التي تحولت إلى طائرة فضاء، وأصبح طيرانها أمراً يمكن أن يتكرر كل أسبوعين ويمكن أن تستمر رحلتها أسبوعاً أو شهراً، ولم تعد التكاليف تؤرق العلماء لأن مكوك الفضاء صمم لكي يعود كاملاً إلى الأرض دون أن ينفصل منه أى جزء، وحتى الصواريخ التي ينطلق بها تعود ثانية إلى الأرض ويمكن إعادة استخدامها، ولقد أتت تسمية (المكوك) من إمكان تكرار عملية إطلاق السفينة عدة مرات قد تصل إلى المائة، شأنها في ذلك شأن مكوك النسيج الذي يروح ويغدو بخيوط الأقمشة، وبذلك تتوافر التكاليف في المكوك بالمقارنة بسفينة الفضاء السابقة التي لم يكن يعود منها إلى الأرض غير الكبسولة (مكان القيادة وبه الرواد) بينما كانت باقى أجزاء السفينة محترقة أو مفقودة.

وتبدأ رحلة المكوك (وهو بيت فضائي على هيئة طائرة) بانطلاقه من الأرض ملتصقا بصاروخين ليعرج في الفضاء بواسطتهما، أى أن المكوك له معارج (مساعد فضائية أى صواريخ) عليها يظهر أى يطير في الفضاء كما في قوله تعالى: «لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون» (الزخرف: الآية ٣٤).

تقريباً فإنه يدخل الغلاف الجوي ويسخن بذلك سطحه السفلى بحرارة الاحتكاك إلى آلاف الدرجات، لهذا يتم إبطاؤه من سرعة ١٧٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ ميل/ساعة بواسطة إشعال المحركات في انفجارات قصيرة ومضادة لإحداث هذه الفرملة، وأثناء اقترابه من الأرض يتخذ المكوك دورات عديدة واسعة على شكل حرف S تساعد على إبطاء حركته ويتم التحكم في هذه الدورات وزاوية الهبوط بواسطة الحاسبات الآلية ثم تبرز عجالات الهبوط قبل ملازمة الأرض بحوالي ٢٠ ثانية ليهبط على الأرض بسرعة ٢٢٠ ميل/ساعة كما لو كان طائرة عادية، ويعتبر المكوك خطوة هامة وجبارة لاستكشاف الفضاء.

وبذلك تطورت سفن الفضاء التي تحمل رواداً لا يزيد عددهم على ثلاثة أشخاص ولرحلة واحدة كما في سفن فوستوك وجيمنى وأبوللو إلى المكوك الذي يحمل عدة أشخاص وعدة رحلات كما ذكرنا في المكوك كولومبيا، وتشالنجر (الذي احترق)، وديسكافاري، وأتلانتس، كخطوة جديدة في عصر الفضاء تمثل تحولا حقيقياً إلى آفاق جديدة ستؤثر على استغلال الفضاء لصالح البحث العلمي أو رفاهية البشر أو الأغراض العسكرية.

وبذلك انفتح باب الفضاء على مصراعيه وأصبح لكل مكوك أبواب (رحلات) يمكن تكرارها كل أسبوعين في رحلات طيران جو - فضائية لأن جزءاً منها يتم في الغلاف الجوي والجزء الأكبر في الفضاء، ولقد أدت رحلات المكوك إلى التفكير في عدة فوائد منها استخدامه في تركيب عواكس ضخمة في الفضاء لاستغلال الطاقة الشمسية، وبناء المستعمرات الفضائية في المستقبل، وكمنصة لإطلاق الأقمار الصناعية أو سفن الفضاء من مدارات عالية، وبدأت بعض الشركات الأمريكية تعلن عن حجز تذاكر للسياح

ويكون المكوك عند بدء الإطلاق في وضع رأسي مقدمته إلى أعلى وذيله إلى أسفل، ويلتصق بمستودع ضخيم للوقود السائل المكون من الأيدروجين والأكسجين، ويرتبط به صاروخا دفع جافان وعند بدء الإطلاق يكون وزن المكوك حوالي ٢٢٠٠ طن ويشتهل الصاروخان الجافان أولاً ويعطى كل منهما قوة ١,٨ مليون جرام دفع ولا يستغرق إشعالهما سوى دقيقتين، ويعودان إلى الأرض بمظلات نجاة من ارتفاع ٢٩ ميلاً توفيراً لثمنهما وإعادة لاستخدامهما في رحلة أخرى، ويبدأ بعد ذلك الاشتعال في مستودع الوقود السائل الذي يحوى ٣٧٠٠٠٠ جالون أيدروجين، ١٣٩٠٠٠ جالون أكسجين، ليعطى قوة ١٧٠٠٠٠ كجم دفع، وينتهي ذلك بعد ثماني دقائق، ٥٠ ثانية من لحظة الإطلاق، وينفصل المستودع عن المكوك على ارتفاع ٥٩ ميلاً وعندئذ يكون المكوك حراً في الدوران في مداره حول الأرض بسرعة منتظمة حوالي ١٧٠٠ ميل/ساعة تماماً كسفينة فضاء. وتمتد كل رحلة من ٧ إلى ٣٠ يوماً، ويتم تكييف الضغط داخله لكي يماثل الضغط الجوي الأرضي، ولذلك لا يرتدى الرواد غير ملابسهم العادية خلال الرحلة ولكنهم في المكوك مازالوا يعانون من مشكلة انعدام الوزن.

وأعتقد أنه في رحلات المستقبل خاصة عندما يطول زمنها فسوف يتمكن الرواد من النوم (بفضل الجاذبية الصناعية) باستخدام سرر يتكون عليها دون مشاكل انعدام الوزن كما في قوله تعالى: «ولبيوتهم أبواباً وسروراً عليها يتكئون» (الزخرف: الآية ٣٥)

والمكوك الحالي قد يكون إشارة لتعدد الأبواب أي تعدد الرحلات، ولكن ما زلنا في انتظار حل مشكلة انعدام الوزن في مكوك المستقبل بإدارته حول محوره لتوليد الجذب الصناعي!! وعند عودة المكوك الحالي من رحلته بعد انتهاء مهمته وقد أصبح وزنه ٩٤ طناً

على متن المكوك في المستقبل بعد حل مشكلات انعدام الوزن، ويقوم المكوك حاليا بإطلاق الأقمار الصناعية، وإصلاح التالف منها في الفضاء وإطلاق بعض الحمولات، أو استعادتها من الفضاء إلى الأرض، وإجراء التصوير الراداري من الفضاء لسطح الأرض لاكتشاف بعض المخبوء تحتها إلى أعماق تقرب من عشرة أمطار، ولقد اكتشف المكوك عام ٨٢ أحد روافد النيل القديمة والمطمورة في منطقة العوينات الصحراوية على حدود مصر والسودان.

ويعمل المكوك كبوليس نجدة في الفضاء بفضل ذراعه الآلى بالإضافة إلى تزويد الرواد بالكبرى النفاء الذى يسبح به خارج المكوك للقيام بالإصلاح أو الإنقاذ اللازم، وكذلك بناء المستعمرات الفضائية فى المستقبل التى لابد أنها ستكون من أجزاء منفصلة ستحتاج إلى ربط أوصالها ببعضها البعض فى الفضاء والتى يفكر العلماء فى بنائها فى القرن القادم بالاستعانة بالمكوك فى نقل معدات الإنشاءات الأساسية والمؤن والمهمات ونحو ألفين من المهندسين والعمال إلى منطقة فى الفضاء تظل عندها الأجسام ساكنة بالنسبة للقمر وفى مدار ثابت حوله للاستعانة بموارده الخام الثرية بالمعادن والزجاج والتى يسهل نقلها إلى المستوطنات الفضائية بوسيلة إطلاق تسمى ناقلة الكتلة من على سطح القمر بسهولة نظرا لضعف جاذبيته.

ويتوقع العلماء أن تستوعب هذه المستعمرة المزمع إنشاؤها مستقبلا أول مجتمع فضائى يضم حوالى عشرة آلاف شخص وفى ظروف شبيهة بظروف كوكب الأرض بعد التغلب على مشكلة انعدام الوزن مستقبلا بإنشاء جاذبية صناعية تجعل المستوطنة تدور حول محورها بالسرعة الصحيحة كما تدور الأرض حول محورها، وبذلك يستطيع سكان المستعمرة الفضائية النوم العادى على سرر متكئين، علاوة على زخرف

الحياة العادية من مناطق سكنية بها بيوت تطل على حقول وبساتين وملاعب، علاوة على صرف صحى متطور على سرعة وكفاءة وتحويل الفضلات إلى ماء نقى وكيمائيات زراعية تستخدم فى التسميد، وسيكون هواء المستعمرة دائم التنقية ودون تلوث وأكثر نقاء منه فى أى مدينة فوق كوكب الأرض. وتحتوى المستعمرة على مناطق انعدام الجاذبية مما يسمح بالتجميع السهل لأجزاء الصناعات الثقيلة داخل المستعمرة، وإنتاج الطاقة من البطاريات الشمسية فى الفضاء، وصناعة البلورات، واستنباط سلالات جديدة فى علوم الأحياء، وصناعة العقاقير للأمراض المستعصية، وغير ذلك من أحلام المستقبل والخيال العلمى ومتاع الدنيا كما فى قوله تعالى: «ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا» الزخرف: ٣٥.

ولكى يتكئ الرواد على سررهم فإن المستعمرة ستدور كما ذكرنا حول محور مركزى وستضبط القوة الطاردة المركزية الناتجة على سكان المستعمرة الفضائية برفق ضد الحوائط الخارجية فيشعرون عندئذ بأوزانهم وكأن هذه الحوائط أرض جديدة تحت أقدامهم، وإذا نظروا إلى أعلى جهة محور الدوران فإن المباني والأنهار والجبال الصناعية فى المستعمرة تظهر كأنها معلقة فى سمائهم التى يملأها الحائط المقابل، أما السماء خارج المستعمرة أى الفضاء الكونى فهو ظلام دامس مرصع بالنجوم والكواكب بما فيها كوكب الأرض الذى يتصل بالمستعمرة بوسيلة نقل دائمة كالمكوك الذى تتعدد أبوابه ذهابا وإيابا، وبهذا فإن فكرة السكن فى الفضاء قد تتحول من ترف مستقبلى إلى ضرورة عاجلة مع النمو المتسارع لتعداد سكان الأرض! والله أعلم.

أثر البيئة في السلوك

الأستاذ الدكتور: محمد شامة

الفكر

هو الصفة

الوحيدة التي تميز

الإنسان بها عن سائر

الكائنات الحية الأخرى، إذ يشترك

الإنسان مع غيره من المخلوقات في بعض

الوظائف الميكانيكية، فجهاز الهضم عنده - وكذا

جهاز الدورة الدموية - يكاد يكونان متطابقين في كليتهما

وجزئياتهما مع مثيلهما في كثير من الحيوانات، وكذلك الجهاز

التنفسي، أما الجهازان: السمعى والبصرى فليسا في

أى:

الفكر

فإن الإنسان حيوان

ناطق، أى مفكر، لأن ما

يتلفظ به إنما هو تعبير عن

صور فكرية تكونت في عقله،

فهو يظهر بلسانه ما كمن في عقله

من صور فكرية، وهذا هو ما عبر عنه

الشاعر بقوله:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما..

جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فإن الإنسان لا يتحدث إلا معبرا عما في ذهنه، بل ولا يتحرك إلا طبقا لما تكون في العقل من صور فكرية، فتحركه وسلوكه وتعامله مع الناس إنما هو ترجمة لما في العقل من صور، حتى فيما يظن أنه نشاط غريزي، كالأكل مثلا، فإنه وإن كان نتيجة لدافع غريزي، وهو الجوع - كمال هو الحال في

أما

الفكر فلا يوجد

كائن حتى يتفوق

على الإنسان فيه، أو

يقرب منه، فقد وهب الله

للإنسان عقلا لا يدانيه فيه أى

كائن حتى، بل إن قوته وتحقيق ذاته

تكمُن في هذا العضو الذى رفع الله به

قدره بين المخلوقات، وميزه به على سائر

الكائنات الحية الأخرى فبه احتل مكانة أفضل بين

خلق الله، يقول الله تعالى: «ولقد كرمنا بنى آدم» أى

بالعقل الذى مكنه من اكتشاف أسرار الطبيعة،

فاستخدمها لاستمرار وجوده، وتوسيع دائرة متعته،

وساعده على تسخير ما خلقه الله في هذا الكون،

فارتقى، وتطورت أساليب حياته، وتحسنت طرق

معيشته، وتنوعت صور وأشكال استخدام ما وهبه

الله من نعم ذاتية وطبيعية .

ولهذا عرّفه علماء المنطق بأنه: «حيوان ناطق»،

فإذا استحال خلق الصور الفكرية مع خلق العقل، واستبعدت قدرة العقل على تكوين هذه الصور من لا شيء، فما مصدر هذه الصور الفكرية؟

تأثير الوالدين :

تساءلنا في الفقرة السابقة عن مصدر الصور الفكرية التي تتكون في عقل الإنسان، فاستبعدنا أن يملك العقل مخزوناً من هذه الصور - تكون قد خلقت معه - يستمد منها ما يريده ليضبط سلوك الإنسان ويقوم أخلاقه، وكان سبب الاستبعاد أنه يترتب عليه إلغاء إرادة الإنسان واعفائه من المسؤولية، لأنه لا يعمل - لو كان هذا صحيحاً - إلا طبقاً لما يُملَى عليه، كما استبعدنا أيضاً أن يكون عنده من القدرة ما يمكنه من تكوين هذه الصور من لا شيء، لأن الله وحده هو القادر على الخلق من العدم. فإذا كان هذين الاحتمالين غير ممكنين، فمن أين يستمد العقل هذه الصور الفكرية التي تصدر عنه ؟ يستمدّها من البيئة فالإنسان يولد صفحة بيضاء، لم يرسم فيها خط، ولم تسطر فيها كلمة، ثم تبدأ الخطوط تتوالى عليه مما حوله، وتسطر المعلومات من الأحداث التي تجري أمامه، فتنتقلها حواسه إلى داخل جهاز الرصد الذي خلقه الله فيه. ليس الفكر ملفاً.. وما إلى ذلك «حصار العقل : العشماوى ص ٣١».

ومن أولى المصادر التي تمدّه بما يحتاج إليه في هذا المجال: أبواه فهما أول من تقع عليه حواسه المستقبلية، فتتلقف قواه الذهنية كل ما يصل إليه وتعيه، وتحتفظ به لتخرجه فيما بعد في صور سلوك وألفاظ تنبئ عن طبيعة ما تلقاه، فإن كان طيباً كان سلوكه طيباً، وأخلاقه حسنة، وألفاظه مهذبة، وتعامله مع الآخرين راقياً، وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن التفاعل بين الوالدين وأبنائهما بقوله: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه» فالفطرة في هذا الحديث تعني الصفحة البيضاء، فإن

سائر الكائنات الحية - إلا أنه في الإنسان يخضع لأوامر عقلية، وتوجيهات فكرية، إذ أن الفكر يتدخل في اختيار نوع الأكل، فيفضل الشخص الجائع نوعاً على آخر، فهذه عملية فكرية، وليست غريزية صرفة. كذلك يتدخل الفكر في عملية تغيير هيئة وشكل الأغذية لتصبح مستساغة، وليتمتع بمذاقها ونكهتها، وذلك بالطهي وإضافة الأنواع بعضها إلى بعض، وذلك عملية فكرية أيضاً. ولهذا نجد أثرها واضحاً في الاختلاف بين الشعوب في إعداد الطعام، فبينما نجد الشعوب البدائية تطهوه بطريقة مبسطة - وقد تأكله بدون طهي - نرى الشعوب المتقدمة تتفنن في تنويع أصناف متعددة من المادة الغذائية الواحدة، لدرجة أن كثيراً من الشعوب تزداد أنواع الطعام لديها، كلما ارتقت فكراً وحضارياً، وهذا دليل على أن كل تصرف يصدر عن الإنسان - حتى ولو كان في مظهره يبدو غريزياً - فإن الفكر يتحكم فيه ويشكله بالصورة التي تكونت في هذا العضو الذي يميزه الله به على سائر الكائنات. ولكن، من أين يستمد العقل هذه الصور الفكرية؟ هل يملك مخزوناً من هذه الصور، خلقها الله معه ليستعين بها على ضبط وتوجيه نشاط الإنسان ؟

لا يمكن أن يكون ذلك ! لماذا ؟ لأنه لو كان هذا صحيحاً، لأصبح الإنسان مسيراً، يلتزم بما خلقه الله فيه، فلا يحيد عنه، الأمر الذي يعفيه من المسؤولية، فيقترب الآثام دون أن يكون له ذنب فيما اقترب. أضف إلى ذلك أنه لو كانت هذه الصور الفكرية من خالق، لكان في ذلك ظلم - وحاشا الله أن يظلم - لأنه يترتب على ذلك أن تخلق صور سيئة عند إنسان، وأخرى حسنة عند آخر، فلا يكون للمحسن فضل في إحسانه، كما أنه لا يكون للمسيء ذنب في إساءته، إذن، فمن المستحيل أن يخلق الله صوراً فكرية مع خلق العقل لضبط وتوجيه نشاط الإنسان . هل يستطيع العقل أن يكون هذه الصور من لا شيء لا، إذ يستحيل على مخلوق أن يكون شيئاً من لا شيء، لأن الله وحده هو القادر على الخلق من العدم.

فسرها بعض العلماء بأنها الإسلام، فلا تعارض بين التفسيرين، لأن الإنسان يميل بفطرته وطبيعته إلى الإسلام، ولا يبتعد عنه إلا إذا حجبت الأفكار الهدامة، والصور الفكرية المدمرة انعكاس ضوء الإسلام على صفحته البيضاء، أى لو خُلّي بين الإسلام وبين الإنسان دون تشويش على ذهنه، أو تلبس على عقله مال إلى اعتناق الإسلام بطبيعته.

وليس المراد حصر التأثير السلبي للأبوين على الأبناء فى التهويد والتنصير والتمجيس، بل كل ما يكون سيئا بالنسبة للأولاد، وجاء ذكر هذه المعالم الثلاثة لضرب المثل للناس، كى يفهموا مدى تأثير الآباء على الأبناء. فالأبوان هما اللذان يشكلان شخصية الطفل، فجميع تصرفات الإنسان فى كل مراحل حياته تضرب بجذورها إلى ما تلقاه وهو طفل من أبويه وخاصة من الأم، لأنها تكون أكثر لصوقا به فى سنى حياته الأولى، ثم عندما يشعر بنوع من الاستقلال عنها، يصبح واجب الأب إزاءه أكثر من ذى قبل، فهو وإن كان له تأثير أيضا - بجانب تأثير الأم - على الطفل منذ إدراكه، إلا أنه كلما تقدم الطفل فى السن، كلما ازداد تأثير الأب عن الأم، إلى أن يصبح المصدر الرئيسى فى تلقى الصور الفكرية من بيئته الأسرية. ولهذا ورد فى الأثر «لأعب ابنك سبعا، وأدبه سبعا، وصاحبه سبعا ثم اترك حبله على الغارب». فالمقولة تبين لنا طبيعة المراحل الثلاث لتنشئة الإنسان، وما يجب على الوالدين إزاء كل مرحلة، فالطفل يحتاج فى السنى الأولى إلى اللعب أكثر مما عداه، أى أن إمداده بالصور الفكرية ينبغى أن تكون فى صور يغلب اللعب على طابعها حتى يستسيغها الطفل فيعيها ولا ينساها، وتحفر فى مخيلته فلا تمحوها الأحداث التالية لهذه الفترة، فإذا انتقل إلى الفترة الثانية وهى فيما بعد السابعة حيث تكون قواه العقلية قادرة على الفهم والاستيعاب، وإدراك العلاقات بين الأشياء، فينبغى أن يتحول أسلوب التربية إلى نوع من الجدية حتى يشتد عوده،

ويستقيم سلوكه، ويأخذ تعامله مع الآخرين طريقا يستطيع فيه أن يقدر معنى الواجب والحق، والحلال والحرام والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، وغير ذلك من القضايا التى تقوم عليها حياة المجتمعات. ولا ينسى الأب فى هذه المرحلة عدم التهاون فى بناء شخصية الأبناء وإن اقتضى الأمر استخدام الشدة معهم فلا يتردد فى ذلك، لأن التهاون فى هذه المرحلة ينتج عنه آثار لا يمكن إصلاحها فيما بعد، وغالبا ما نرى آباء خلطوا فى معاملة الأبناء بين المرحلتين الأولىين فعاملوا أبناءهم فى الأولى بالشدة والعنف فغرسوا فى نفوسهم الخوف والهلع، فلم يستطيعوا التخلص من هذه الظاهرة طول حياتهم، وتهاونوا فى المرحلة الثانية فلم يأخذوا على أيديهم عندما تبدو عليهم ملامح التمرد، أو يظهر فى سلوكهم نوازع الشر والعدوان فكانت نتيجة هذا استمرار الطفل هذا العمل، واستمراره فى هذا الطريق حتى يصبح الشر متأصلا فى نفسه والعدوان متمكنا منه، فلا يخرج من عقله إلا الصور الفكرية الشريرة التى تقود جوارحه إلى إيذاء الآخرين، الأمر الذى يؤدى إلى تدمير نفسه بأى صورة من الصور. ومن هنا كانت هذه المرحلة هامة جدا فى حياة الإنسان، فعلى الآباء أن يدركوا هذا، فيبذلوا بعض الجهد مع أبنائهم ليساعدوهم على بناء شخصيتهم بناء سليما..

أما المرحلة الثالثة: فتتطلب نوعا آخر من التربية، ذلك أنها مرحلة إثبات الذات، إذ يشعر المرء فيها بأنه خرج من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة، فتأبى نفسه أن يظل منفذا للأوامر دون المشاركة فى صنعها، ويحاول التشبه بالبالغين، فيقلدهم فى كل عمل يرى أنه يضيف عليه صفة الاستقلالية، فيتمرد على كل ما يشعره بأنه لا زال طفلا، ولذا كان الانسب للآب فى هذه المرحلة أن يصاحبه حتى يتم تقويم سلوكه بأسلوب الصديق الناصح، وليس بطريقة الأب الامر..

تأثير الأقارب والجيران :

تناولنا فى الفقرة الماضية أثر الوالدين فى تكوين فكر الإنسان، فبينما أنهما المصدر الأول فى تكوين الشخصية وتحديد معالم السلوك، وتشكيل المسلمات الأولية فى مجال الأخلاق، ولهذا تحملا مسئولية توجيه النشء فكريا وعقائديا. ولما كان اتصال الإنسان بمن حوله لا يقتصر على الوالدين فقط، إذ كلما اشتد عوده، وقويت شوكته، ازداد استقلاله عنهما، وقرب من مصادر أخرى فى المجتمع، ينفعل ويتفاعل معها، ويؤثر وتؤثر فيه، فيتكون بذلك عنده صور فكرية أخرى يكون لها أثر فى سلوكه، وقد تشكل تعامله مع الناس بصورة تختلف عما يتلقاه من والديه وذلك إذا أهمل الوالدان توجيهه وتقويمه فى عالمه الجديد..

ومن أولى الحلقات التى يتصل النشء بها بعد الوالدين أقاربه، وذوو رحمه الذين يتصلون بالأسرة فإن كانوا على خلق ممن يلتزمون الفضائل، ويتجنبون الرذائل، يتسم سلوكهم مع الآخرين بالرحمة، ويبدو على تعاملهم مع غيرهم العطف والسماحة، يتجنبون العنف ويبتعدون عن العدوان والظلم، قوى هذا الاتصال أسس الخير فى نفس الإنسان، إذ يمدّه بصور فكرية سليمة، وتصورات ذهنية نقية، تساعد على الاستمرار فى طريق الخير، والبعد عما يسيئه ويدمر مجتمعه. أما إذا كان سلوك الأفراد المحيطين به من أسرته - أو بعضا منهم - غير سوى، فلا شك أن احتمال تأثره بهم يكون كبيرا، وقد يبلغ هذا التأثير درجة تقضى على ما غرسه والداه فى نفسه من خير وحب للناس وعطف عليهم، بل قد يتحول سلوكه تحولا كليا، إذا غفل الوالدان عما يحدث لأبنائهما من جراء اتصالهم بمن هم ليسوا على خلق طيب من أقاربهم المتصلين بهم.

ثم يأتى بعد هذه الفئة - التى تؤثر على النشء تأثيرا كبيرا وسريعا، نظرا لقرباتها منه، وسهولة اتصالها به فى كثير من الأوقات - حلقة أخرى،

وأفرادها: هم الجيران وأصدقاء الأسرة ورفقاء اللعب، إذ لا يمكن تجاهل تأثيرهم، أو اغفاله، ولهذا ينبغى على الوالدين ألا يقبل صداقة، أو علاقة تزاور واتصال إلا مع من لا يخشون من سلوكهم - أو سلوك أبنائهم - على أولادهم، فلا يصادقون إلا من كان سليم التكوين، قويم السلوك، رفيع التعامل مع الناس، مهذب الأخلاق، مستقيما فى علاقته مع ربه، عطوفا على من حوله، لطيفا مع كل من يقترب منه، إذ لا يصدر ممن كانت هذه صفاته إلا ما يغرس فى أذهان الآخرين صورا فكرية، تضبط السلوك، وتهذب الأخلاق، وتحافظ على التقاليد والأعراف، وتقوى العقيدة، وتساعد على الالتزام بالواجب، سواء كان دينيا، أم دعت إليه ظروف الحياة ومعطيات العصر.

دور المدرسة :

وليسست هذه هى كل المصادر التى يستمد منها الإنسان الصور الفكرية التى تشكل حياته فى المجتمع، بل هناك ما هو أبعد أثرا، وأكثر قوة على توجيه الإنسان فى مجال النشاط الإنسانى، ألا وهو: المؤسسات الثقافية، وتحمل المدرسة المقام الأول فى هذا الجانب، إذ فيها يعرف الإنسان تجارب الآخرين ويتعلم الكثير مما حدث فى عصور لم يعيشها، ويقف على أحداث لم يشاهدها. بل إن المدرسة - وكذا الجامعة والنوادي الثقافية. وما شابهها - تكاد تكون هى المكان الوحيد الذى تحدد فيه هوية الإنسان تحديدا واضحا، وتثبت فيه معالم مستقبله على نحو يصعب تغييره أو تعديله، ولهذا يجب أن يشترك فى وضع المناهج المدرسية: التربويون ورجال الدين، والاجتماعيون وخبراء العلوم التطبيقية والتجريبية ومهندسو التكنولوجيا بجميع فروعها، والفلاسفة وعلماء النفس والمؤرخون وخبراء المال والاقتصاد، حتى يراعى فيها العناصر التى تُكوّن المواطن: دينيا ونفسيا، وتؤهله تأهيلا عسريا يمكنه من التعامل مع معطيات العصر، ومتطلبات حركة التغيير على جميع

وتعمق ولاءه العقدي، وتقوى انتماءه الوطني، إذ أن ما يتلقاه في المدرسة من معارف نظرية، تقوم المؤسسات الثقافية خارج المدرسة بترتيبها، وتشكيلها، وتجسيماها في صورة نشاط إنساني في جميع مجالات الحياة. فإن أدرك القائمون على هذه المؤسسات هذا الدور الهام في حياة المجتمع، وكانت لديهم القدرة الفكرية، والاستعداد الروحي، استطاعوا أن يخططوا تخطيطا سليما، مع إثرائها بما لا يمكن الحصول عليه في المدرسة، وتتميتها بالعديد من التجارب العلمية، حتى يكتمل نضجهم الثقافي، ويستوى سلوكهم في الحياة العملية، وترقى أخلاقهم في التعامل مع الآخرين، وذلك بإمدادهم بالخبرات العلمية، والتوجيهات التطبيقية، والتصورات المنطقية القابلة للتنفيذ في مختلف الأنشطة الإنسانية..

أما إذا أسندت قيادة هذه المؤسسات إلى من لا قدرة له على استغلالها لتوجيه المواطنين فكرا وثقافة، وبنائهم جسما وروحا، تددت قوى المجتمع، فضاء ما غرسته المدرسة في أذهان الناشئ وسط الخرافات والأساطير، وتبدلت معالمه بفعل رياح الفكر الأجنبي، وتقوضت أركانه أمام التيارات الثقافية التي تهب عليه من كل جانب،

فإذا تمكن المغرمون بكل ما هو أجنبي من الوصول إلى مراكز التوجيه في هذه المؤسسات فتلك هي الطامة الكبرى، إذ يستخدمون قدرتهم - وغالبا ما يكونون على جانب كبير من الذكاء - في نشر الفكر الأجنبي والثقافة المستوردة، ويستغلون مكانتهم في إضفاء السيادة والتفوق على التقاليد والعادات المستحدثة، غير عابئين بما يجر ذلك على المجتمع من زلازل واضطرابات تهز كيانه، وتفتت وحدته، وتضفي عليه ثوب الاغتراب الاجتماعي والثقافي، فيصبح عديم الهوية فاقد الذات، ويبعث عن جذوره فلا يجدها، لأن أعاصير الغزو الثقافي قد اقتلعتها، ويفتش عن منهجه الخاص في الحياة فلا يعثر عليه، لأن بريق المستحدثات حجبت،

الأصعدة المادية والمعنوية، لأننا لو ركزنا على الجانب الروحي، والمعنوي فقط، لخرج المواطن من هذه المدرسة خياليا لا صلة لفكره بواقع الحياة، فيتخلف المجتمع عن ركب الحضارة والمدنية، ويقع فريسة الطامعين والمستغلين من الذين ملكوا زمام التقدم التقني وسيطروا على كل مصادر الطاقة وينابيع التقدم الحضاري ويمتد لن ينفع المجتمع كثرة المرددين للنصوص الجوفاء، ولن تساعدكم الحكم والأمثال في الصمود أمام التفوق الحضاري والتقدم التكنولوجي. كذلك لو خلت المناهج من الجانب الديني، وتجردت من المعالم الأخلاقية لا نحرف المواطن انحرافا كليا إلى عالم المادة، وتصرف مع نفسه ومع الآخرين تصرف الحيوانات المفترسة، بل إنه بعقله وذكائه سيكون أشد فتكا من الوحوش الضارية، وأكثر شراسة من الحيوانات البرية، فلا يرحم صغيرا، ولا يعطف على ضعيف أو محتاج، ولا يوقر كبيرا أو صاحب فضل وعلم، لأن ما غرس في ذهنه مادي بحت، فهو لا يتلقى منه إلا الصور المادية التي لا تهتم إلا بمقياس المكسب والخسارة المادية. وبهذا تتفك عرى المجتمع، وتنحل أوامره، فتضيع العلاقات الإنسانية، ويكون المصير إلا الهلاك والدمار. فخلو المناهج من المواد التطبيقية والعلوم التجريبية، والمقررات التكنولوجية يعرض المجتمع لخطر الطامعين من الخارج، وإهمال المبادئ الدينية والتعاليم الشرعية فيها يؤدي بالمجتمع إلى تدمير نفسه بنفسه، أي يتحلل داخليا، وذلك بطغيان الروح المادية على أفرادها.

ويجب أن تأخذ المواد الثقافية التي تقدم في المؤسسات الثقافية خارج المدرسة نفس الاهتمام المبذول في وضع المناهج التعليمية وسوف نبين ذلك في الفقرة التالية:

المؤسسات الثقافية :

تلعب المؤسسات الثقافية دورا هاما في تكوين فكر المواطن، فهي التي تشكل اتجاهه الفكري،

ويتفحص معالم طريقه فلا يراها، لأن زوايا الدعاية المصاحبة أزالتها، فلا يلبث أن يسير مع الركب، ويصيح مع الصائحين، وبذلك يصبح المواطن في هذا المجتمع انسانا «عصريا» يتنكر لماضيه، ويدعو بدعوة جلاديه، ويناصر من اقتحم دياره، ومزق ثيابه، وهدم كيانه، وحطم هويته وأزال كل أثر له على مسرح الحياة.

وليست هذه دعوة إلى الإنغلاق أمام كل ما هو أجنبي، فلا يمكن أن يقول بهذا عاقل يبتغى العزة لدينه، والخير لوطنه، بل هي :

صيحة في وجه من نسى ماضيه، وتنكر لمبادئه، فاندفع إلى تقليد الأجنبي في كل شيء حتى ولو كان مدمرا، وجرى وراء نفايات الحضارة، لأنها تشبع شهوة غريزية عنده، أو تلبى مطالب وقتية لديه.

صيحة لتنبيه الغافلين ليفيقوا من غفلتهم فيشمروا عن ساعد الجد لتحصين الأمة ضد التيارات المعادية.

وبيان لمن اختلط عليه الأمر فظن أن ما يمارسه من أخلاقيات تقليدا للساقطين في المجتمع الحضاري هو الأسلوب الذي يضيف عليه ثياب التقدم والمدنية.

بيان له بأن هناك فرقا بين مقومات الحضارة ونفاياتها.

أما المقومات فهي : العلوم التطبيقية والتجريبية، كالطب والهندسة والكيمياء والطبيعة وما أشبهها، وكذلك التكنولوجيا بجميع فروعها. فلا حرج على أي إنسان في أي منطقة في العالم أن يغترف منها بقدر ما يستطيع وينقلها إلى وطنه بأي صورة من الصور، وبأي حجم يتاح له، فليس هناك حدود ولا قيود - بل كلما ازداد منها كلما ارتقى في سلم الحضارة - لأنها لا تمس كيانه الشخصي، ولا تهدم ذاته، فليس لها تأثير سلبي على تقاليده وعاداته، كما أنها لا تهدد عقيدته بما فيها من تعاليم وأحكام. أما النفايات. فلا يأتي من ورائها إلا انحلال

الأخلاق، ونشر الفاحشة، وتثبيت المنكر في جنبات المجتمع، وتفكك الأسر، ويسط أجندة الاغتراب الاجتماعي بين المواطنين.

وعليه فيجب على القائمين على التوجيه في المؤسسات الثقافية أن يدركوا الفرق بين هذين النوعين من معالم الحضارة، فيعملوا على رسم الخطط التي تعمق الأول في نفوس النشء، وتنفرهم من الثاني، أو بمعنى أدق توضح لهم أن الحضارة الحقيقية هي ما كانت دعائمه: العلم والمعرفة في مجالات البناء والتشييد، وأن الهلاك والدمار يصيبان الأمة عندما ينصرف المواطنون إلى الاستغراق في اللذات والشهوات ويميلون إلى تقليد الأجنبي فيما هو بعيد كل البعد عن التأثير في البناء الحضاري، وقد يكون من المعوقات التي تستنفد طاقات الأمة، فلا تجد بعد ذلك ما تبذله في بناء أو تشييد.

فالاتصال بالفكر الأجنبي ضرورة في مجال العلم، بل هو واجب كي لا تتخلف الأمة عن ركب التقدم، فإن تهاونت الأمة في هذا الجانب ضعفت شوكتها ووهنت عزيمتها، فلا تقوى على الوقوف في وجه من يطمع فيها، أو يتجرأ على اختراق حدودها..

أما في مجال الثقافة النظرية التي تؤثر على التقاليد والعادات ذات الصلة بالعقيدة فلا ينبغي أن تفتح لها الأبواب، بل تغلق بإحكام حتى لا يتسرب إلى المجتمع ما يؤثر على عقيدته، أو يهدد تقاليده وعاداته. لأن كيانه يبقى متماسكا مادام السلطان لعقيدته، وتسان ذاته بمقدار رسوخ التقاليد الأصيلة في حياة المواطنين، وتمكن العادات الحسنة ذات الأثر الجيد في أخلاق الناس ومعاملاتهم.

لماذا
أسلم
هو؟

الفرنسي شيرمالين:

تلميذى رسم الكعبة.. فعرفت الإسلام

أحمد حامد

«احتضنت الكعبة داخلي، نبت وأنا أطوف حولها، معلنا قدومي واعترافي الكامل بوحداية الخالق،
الذى جعل بيته مركزا للعالم، ودعوت لتلميذى الذى كان سببا فى ذلك»
«شيرمالين»

هو الفرنسي، «شارل شيرمالين»، المولود عام ١٩٤٠م، لأبوين
فرنسيين، كان كل طموحهما أن يتعلم شارل ليصبح جراحا
كبيرا، يشار إليه من كل مكان فى العالم، وذلك لنبوغه صغيرا، إلا
أن شارل كان يهوى الرسم، فالتحق بكلية الفنون، واشتغل وهو
طالب ليكفى نفسه سؤال والديه اللذين امتعضا أسفا لما وصل
إليه ابنهما ضاربا برغبتيهما عرض الحائط. وتخرج ليعمل
مدرسا فى إحدى المدارس التحضيرية، وجعل شارل تلاميذه
يحبون الرسم، بل عمق فى كثير منهم هذه الهواية الجميلة التى
يحبها لدرجة العشق.

أمام هذه الورقة كثيرا؟ وفى اليوم التالى، ناديت على
تلميذى لأسأله عن رسمه، فإذا به يقول لى: أنا
معجب بهذا الرسم جدا، وأفكر كثيرا فى هذا البيت،
الذى يسمونه بيت الله، ويحج إليه المسلمون من كل
مكان فى العالم، وقد أرسله لى صديق عربى عرفته
من خلال المراسلة.

ويقول شارل: تنزلت كلمات التلميذ على عقلى
وقلبنى هادئة، وأردت أن أتعرف على بيت الله الذى

ويقول شارل: ذات مرة طلبت من تلاميذى أن
يرسموا ما يخطر ببالهم فى عشرين دقيقة. وبعد
المدة المقررة، جمعت الأوراق المرسومة وأخذتها
معى، وانفردت بها مساء، فإذا بى أجد الأولاد على
مستوى عال من الفهم والوعى، وتوقفت كثيرا أمام
لوحة للكعبة المشرفة، حولها بشر يطوفون، يصلون،
يرفعون أيديهم فى ضراعة إلى السماء، وقرأت اسم
تلميذى فوجدته فرنسيا، ولست أدري لماذا توقفت

يجج إليه المسلمون، ولم أنتظر كثيرا، بل ذهبت إلى المركز الإسلامى فى باريس، وسألت عن كيفية الوصول إلى الكعبة لأرسمها، فقبلت تساؤلى بهدوء شديد، وإجابة هادئة حيث قال لى المسئول عن المركز: هذا المكان لا يدخله إلا المسلمون. والذى نقدر عليه هو أن نعطيكم صورة كبيرة للكعبة المشرفة، وشريطا مصورا، لترى الناس من كل أجناس العالم يطوفون حولها ويصلون، ويطلبون المغفرة من الإله الواحد الذى لا شريك له.

ويقول المدرس الفرنسى، الرسام شارل شيرمالين: غصت فى بطون الكتب قارئاً ملهوفاً لكل معلومة عن الإسلام ورسوله، وعن بيت الله الحرام، ومسجد رسول الإسلام. ولا أعتقد أنى عشت أروع أيام حياتى، إلا وأنا أقرأ عن الإسلام بكل ما فى الكلمة من معنى التوحيد الخالص، والاعتراف الكامل بوحداية الخالق سبحانه وتعالى.

ويقول المدرس الفرنسى الرسام شارل شيرمالين: لا أخفى عليك سرا فقد ترجمت كل قراءاتى إلى رسوم، متخيلا فيها رسول الإسلام وصحبه، وحسبت أننى أقدم موسوعة إسلامية مصورة، تتحدث عن الإسلام ورسوله بالرسوم، وذهبت بها إلى مدير المركز الإسلامى سعيدا بها، فإذا به يشاهد الصور متجهما، بعد أن استقبلنى بحفاوة بالغة. وأمهلنى يومين ليشاهد الصور على مهل هو ومن معه، وإذا به يطلبنى هاتفيا، لالتقى به، ولما ذهبت إليه، وجدته يعطينى شيكا مقابل ما رسمت، ولما رفضت أن أتقاضى شيئا مقابل حبنى

الحقيقى للإسلام، قال فى هدوء: إن رسول الإسلام وصحبه، لا يرسمون. ولا يخضعون لريشة رسام، مهما كان لهذا الرسام من شأن. واقتنعت بوجهة نظره، وطلبت منه أن يحتفظ بما رسمت حتى لا يساوره أى شك فى استعمالى لها. وظل يحاورنى إلى أن طلبت منه أن يحرقها حتى لا يراها أحد غير الذين أقروا بأن ذلك مكروه.

ويقول شارل: اقتنعت وأحرقتم الرسوم راضيا، وقبل أن أغادر المركز الإسلامى، شهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتبرت نفسى واحدا من المخلصين فى مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأليت على نفسى ألا أسلك سلوكا غير إسلامى، فقد أدركنى نور الحق، وما على إلا أن أنهل منه وأسير على هديه، ربما يغفر لى ربى ما مر من عمرى دون أن أتعرف على الإسلام.

لقد وجدت فى الإسلام القيمة الحقيقية لى كإنسان، فقد هدانى الله إلى خاتم رسالاته، وعرفت من كتابه الكريم أن الله يهدى من يحب إلى دينه العظيم، فكيف لا أشعر بقربى من الخالق، وقد قربنى منه، وهدانى إلى دين الحق والهداية؟!.

ويقول المدرس الفرنسى الرسام، المسلم عبد الله شيرمالين - وهذا هو اسمه بعد إسلامه - لقد أنقذنى الإسلام من المادية التى تسيطر على العالم فى نهاية القرن العشرين، وهدانى إلى كتابه الكريم، أقرأ فيه كلما شعرت بضيق فيفتح الله لى الأبواب المغلقة، ويزداد انشراح صدرى للإسلام.

ويقول الفرنسي عبد الله شيرمالين: وقد أكرمني ربي، بزيارة بيته العتيق في شهر الصيام، وعشت هناك شهرا كاملا، ما كنت أحب أن أعود، ولا أستطيع أن أصف لك حالي وأنا في الطريق إلى الكعبة المشرفة، فقط، دموع غزيرة تنهمر من عيني لكثرة الناس حول الكعبة، يطوفون، يصلون، يستغفرون، وتذكرت في لحظة مشاهدتي هذا المنظر الرائع، الرسم الذي خطه تلميذي، والذي كان سببا في تعرفي على هذا الدين العظيم. وما أنذا أحتضن الكعبة داخلي، وأذوب وأنا أطوف حولها، معلنا قدومي، واعترافي الكامل، بوحدانية الخالق الذي اختار هذا المكان، ليكون بيته المعمور، ويكتشف العالم، بعد ملايين السنين، أن الكعبة المشرفة، هي المركز الذي يلتف حوله العالم.

ويقول وهو يمسح دموعه: ولست الكعبة، مركز العالم، وقبلت الحجر الأسود وجلست طويلا أمامها، أتأمل رسول الإسلام، وهو يهدم الأصنام حولها، وداخلها وفوقها، واسترجعت تاريخ بنائها منذ رفعها أبو الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - كما يقول الحق تبارك وتعالى في سورة البقرة:

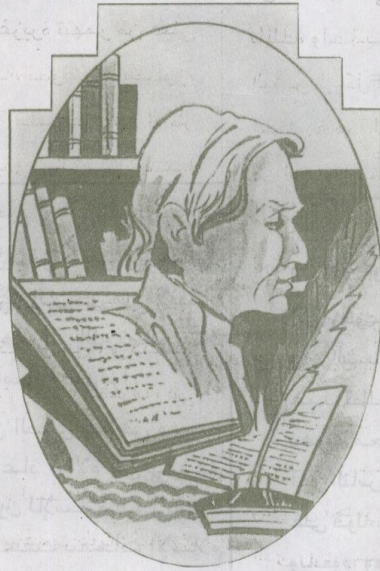
﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾. الآية ١٢٥
﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾. الآية ١٢٦

﴿وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾. الآية ١٢٧
صدق الله العظيم، حيث أعطانا في كتابه الكريم كل الدلائل التي تشير إلى وحدانيته، وانفراده بالملك، وأحقيته بالعبادة، وإلا ما كان كل هؤلاء البشر من كل لون وجنس، حول بيته العتيق، الذي اختار له هذا المكان ليكون أمنا، فيرزق أهله الخير كل الخير، ليتفانوا في مد يد العون إلى كل قادم للحج أو العمرة، ليؤكد لنفسه ولخالقه اعتقاده الراسخ في ألوهيته ووحدانيته.
ويقول الفرنسي المسلم، المدرس، الرسام، عبد الله شيرمالين:

لقد شربت من ماء زمزم، ودعوت الله أن يفقهني في ديني، ويجعلني أسوة حسنة ليتبعني أولادي، وكل من أجلس إليه داعيا إلى الحق ورسوله الحق الذي زرت مسجده بالمدينة، وسلمت عليه وعلى صاحبيه، وتمنيت أن أكون واحدا من عصرهم الإسلامي الأول، الذي أحالوا فيه الظلمة إلى نور، والباطل إلى حق. لكنني عدت إلى نفسي لأقول: لقد اختارني الخالق سبحانه وتعالى، في هذا الوقت بالذات، لأكون مسلما قوى الإيمان، فتكون لي القربى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه، يوم البعث، بعد أن أكون قد استطعت أن أهدى غيري إلى الإسلام، أو أسير بأهلي على طريق الحق.

ربنا تقبل مني دعواتي في ذرية صالحة، تسير على طريق محمد، وتصبح منارة لغيرها لينخلوا في دين الله.

في رحاب الهجرة النبوية الشريفة



- الهجرة النبوية
- مواقف خالدة في هجرة الرسول
- أسس المجتمع المدني كما ركزها رسول الله بعد الهجرة
- الهجرة تخطيط بدقة وتنظيم بكفاءة
- هل من وقفة متأملة أمام القرون الماضية؟!
- حديث الهجرة
- المنهج النبوي والتغيير الحضاري

العجزة النبوية

أ.د. أحمد عمر هاشم

وفى السنة الثالثة عشرة كانت بيعة العقبة الثانية، حيث قدم ثلاثة وسبعون شخصا ومعهم امرأتان إلى مكة ليدعوا رسول الله ﷺ للهجرة إليهم فوعدهم منى وسط أيام التشريق ليلة النفر فى الشعب الأيمن، وكان أول من تكلم العباس بن عبدالمطلب فقال: (يا معشر الخزرج انكم قد دعوتم محمدا إلى ما دعوتموه إليه ومحمد من أعز الناس فى عشيرته يمنعه - والله - منا من كان على قوله.. وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم.. وبايعوه، وهكذا جاءت ثمار الصبر والدعوة من غير قريش ومن خارج قومه حتى لا يكون هناك أدنى شبهة بين دعوة الإسلام وغيرها.

فقد شئت إرادة الله أن يكون أمياً وفى أمة أمية وأن يموت أبوه وأمه وأن يكفله جده وعمه ولم يكن مسلماً ولا مؤمناً بدعوته، ويكون أنصاره من غير بيئته ومن غير قومه حتى لا يتقول متقول ظانا أنها دعوة قومية أثرت فيها رغبة العشيرة أو ظروف الوطن أو البيئة.

وكان لدعوة الإسلام ولمصعب الذى أرسله الرسول ﷺ أكبر الأثر فى دخول الناس فى دين الله، وهدايتهم وتحويلهم من الباطل إلى الحق، حتى أن مصعبا حين كان يدخل عليه أحد المشركين بحربة يريد أن يقتله فيقرأ عليه القرآن

ما قبل الهجرة

شاء الله تعالى أن يحقق الحق، وينجز ما وعد، فساق رسوله ﷺ إلى حى من الأنصار فجلس إليهم ودعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم من القرآن فآمنوا وصدقوا.

وكان هؤلاء الذين التقى بهم فى موسم الحج ستة وحين عاد هؤلاء إلى قومهم كانوا دعاة مخلصين للإسلام فما بقيت دار من دورهم إلا وعيقت بنفحات الإسلام وكان ذلك فى السنة الحادية عشرة. وفى السنة الثانية عشرة لقي النبى ﷺ اثنى عشر رجلا من الأوس والخزرج وتمت معهم بيعة العقبة الأولى حيث أسلموا وبايعوه على بيعة النساء، لأن مبادئ هذه البيعة تتفق مع مبادئ بيعة النساء. حيث قال ﷺ: «بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم..» وبعث معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويشرح لهم تعاليم الإسلام، فأقبل الناس على الإسلام، ولم تبق دار إلا وأشرق فيها نور الإسلام.

ويدعوه إلى الإسلام إلا ويستجيب ويُلقى حريته ويتخذ مكانه في صفوف المؤمنين الصادقين.

هجرة المسلمين

وبعد بيعة العقبة الثانية طابت نفس الرسول ﷺ خاصة بعد أن جعل الله له منعة وقوة، فلما اشتد إيذاء المشركين للمسلمين شكوا المسلمون إلى رسول الله ﷺ واستأذنوه في الهجرة فقال:

(«قد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين - وهما الحرتان -») ثم مكث أياماً ثم خرج إلى أصحابه مسروراً فقال: «قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها، فخرجوا زرافات ووحدانا في سرية تامة، إلا ما كان من عمر ﷺ. فإنه هاجر علانية وتحدى قريشاً قائلاً: «من أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي» فما تبعه أحد، ولئن كانت هجرة عمر ﷺ علانية وهجرة الرسول ﷺ خفية، فذلك لأن تصرف عمر ﷺ تصرف شخصي ليس قدوة فيه أما تصرف الرسول ﷺ فهو قدوة فيه ومشروع، فلو هاجر علانية لاقتدى به المسلمون وأوذوا بسبب ذلك، وأيضاً فإن القائد يجب أن يكون في مأمن، لأن أي عدوان عليه فيه انقراض لعقد الأمة وضياع لنا.

ومن مواقف المهاجرين موقف صهيب الرومي في هجرته حين لحقه نفر من المشركين يحاولون رده فنزل عن راحلته ونثر ما في كنانته وأخذ قوسه، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أنني من أركامكم رجلاً، وأيم الله، لا تصلون إليّ حتى أرمي بما في كنانتي، ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، قالوا: جئتنا صعلوكاً لا تملك شيئاً وأنت الآن ذو مال كثير، فقال: أرايتم إن دلتكم على مالي تخلون سبيلي؟ قالوا: نعم فدلهم

على ماله بمكة، فلما قدم المدينة دخل على رسول الله ﷺ فقال له:

«ريح البيع صهيب، ريح البيع صهيب» وأنزل الله تعالى قوله: «ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، والله رؤوف بالعباد». سورة البقرة: آية ٢٠٧.

وهذا يدلنا على أن الصحابة حين هاجروا كانت هجرتهم خالصة لوجه الله تعالى لا.. لدنيا. بل باعوا الدنيا وتركوها في حب الله تعالى وحب الرسول ﷺ.

هجرة الرسول ﷺ

وكان من أبرز أسباب هجرة الرسول ﷺ :

- ١ - الانتقال بالدعوة إلى بقعة خصبة تؤتي ثمارها.
- ٢ - شدة إيذاء المشركين للمسلمين بعد وفاة أبي طالب وخديجة.
- ٣ - اخلاص الأوس والخزرج للرسول ﷺ وظهور هذا بعد بيعة العقبة.
- ٤ - محاولة المشركين الغدر بالرسول ﷺ حيث علموا بهجرة المسلمين وخافوا أن يلحق بهم في المدينة ولها موقعها بين مكة والشام ويتطور الموقف إلى أزمة اقتصادية تؤدي إلى كساد تجارتهم حيث تقع المدينة بين مكة والشام فاجتمعوا في دار الندوة وتواثب الآراء من قائل نخرجه وآخر نوثقه إلى أن انتهوا إلى رأي أبي جهل وهو أن يأخذوا من كل قبيلة من قريش غلاماً فهذا جلداً ويضربونه ضربة رجل واحد. فیتفرق دمه في القبائل. قال تعالى: «واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين». سورة الأنفال: آية ٣٠.

فأرسل الله إليه جبريل وأمره ألا ينام في مضجعه، وكشف له ما دبروه وما أسروه وما أعلنوه قال تعالى: «فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون» سورة يس: آية ٧٦.

ونام على وقال له النبي ﷺ «لن يخلص إليك شيء تكرهه».

وقد ذكر العلماء السبب المانع لهم من التهجم عليه في الدار مع قصر الجدار، وانهم إنما جاءوا لقتله، فذكر في الخبر أنهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها المسبة في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه، وفي هذا دلالة على ما كان عند العرب من نخوة رغم أنهم غير مسلمين ولكنهم لا يجيزون لأنفسهم انتهاك الأعراض وترويع الأمنين أو التسور على النساء فأين هذا من دنيا الحضارات التي لا تأبه بحرمة البيوت وحرمة الأعراض؟

ولقد خرج - عليه الصلاة والسلام - يقرأ من سورة يس حتى بلغ «وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون» سورة يس: آية ٩.

قال العلماء: وفي قراءة الآيات الأولى من سورة يس من الفقه: التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء به - عليه الصلاة والسلام - فقد روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن النبي ﷺ في ذكر فضل (يس) أنها إن قرأها خائف - آمن أو جائع - شبع أو عار - كُسى - أو عاطش - سقى - حتى ذكر خلالها كثيرة. وانطلق بعد ذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: «إن الله قد أذن لي في الخروج معك ومضى في هجرته مودعا مكة قائلًا: «والله إنك لأحب أرض الله إلي وإنك لأحب أرض إلى الله ولولا أن

قومك أخرجوني منك ما خرجت» قال الضحاک لما خرج النبي ﷺ من مكة فلما بلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاده» أي إلى مكة وهذا وعد من الله تعالى بفتح مكة.

دور الإمام علي في الهجرة

١ - استبقاء الإمام ﷺ لرد الودائع

٢ - نومه مكان الرسول ﷺ

لقد أمر الرسول ﷺ عليا ﷺ أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان الرسول ﷺ بمكة يأتونه جميع الناس على ودائعهم، فليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ، وفي هذا دالتان:

الأولى: إن المشركين كانوا متناقضين مع أنفسهم فمع أنهم يكذبون الرسول ﷺ أو يقولون عنه إنه ساحر وشاعر ونحو ذلك، ما كانوا يجدون أحدا خيرا منه أمانة وصدقا فلا يضعون ودائعهم ولا أموالهم إلا عنده، ومعنى هذا أن كفرهم به لم يكن سببه الشك في صدقه وأمانته وإنما سببه التكبر والاستعلاء والخوف على الزعامات.

الثانية: أن أموال غير المسلمين لا تستباح ولا تحل لأحد وليس لأحد أن يستحلها لنفسه فقد استبقى النبي ﷺ عليا ﷺ ليردها لأصحابها، فرد الأمانات واجب حتى مع من خانوا، ففي الحديث: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك».

وقد كان الرسول ﷺ يلقب بالصادق الأمين، وفي ليلة الهجرة نام على ﷺ مكان النبي ﷺ وتسجى ببرده، وقال الرسول ﷺ «لن يخلص إليك شيء تكرهه» لأنه كان على يقين من تأييد الله له.

ولقد كان خروج النبي ﷺ من بين أيديهم - وقد علق النوم بهم - من أكبر المعجزات وهذا إعلان

رباني لأعداء الإسلام عبر العصور بأن معاناة المسلمين ليست دليلاً على تخلى الله عنهم فإن نصر الله قريب فلا يفرح المشركون.

معجزة الغار والعنكبوت والحمام

لقد أمر الله تعالى شجرة فنبتت في وجه الغار فسترته وأمر العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته وأمر حمامتين فوقعتا بفم الغار واقتفى الأعداء الأثر حتى وصلوا الغار وكانوا من النبي ﷺ قدر أربعين ذراعاً، نظر أولهم فرأى الحمامتين فرجع فقال له أصحابه: مالك لم تنظر في الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد، فسمع النبي ﷺ قوله فعرف أن الله قد درأ عنه بهما.. وحين أخذ الروح أباً بكر وهمس يحدث النبي ﷺ: «لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآناه فأجابه - عليه الصلاة والسلام - «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

وفي مسند البزار أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وأن ذلك مما صد المشركين، وأن حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين، وتحدث القرآن عن الهجرة حديث النصر: «إلا تتصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها» سورة التوبة: آية ٤٠.

في بعض الأقوال هم الملائكة أنزلهم عليه في الغار فبشروه بالنصر على أعدائه قبل يوم بدر وحين وغيرهما:

قال البوصيري رحمه الله تعالى:

فالصدق في الغار والصديق لم يرما

وهم يقولون ما بالغار من أرم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على

خير البرية لم تسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة

من الدروع وعن عال من الأطم

معجزة شاة أم معبد

وموقف سراقه في الهجرة

وتحوله من الكفر إلى الإيمان

هناك معجرتان في الطريق إلى المدينة:

الأولى: عند مروره ﷺ بخيمتي أم معبد الخزاعية فلما لم يجدوا عندها شيئاً من التمر أو اللبن نظر رسول الله ﷺ إلى شاة في ركن الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: هذه شاة خفقتها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت منها حلباً فعدا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال: «اللهم بارك لها في شاتها» فإذا الضرع يمتلئ لبناً ويدرك الكثير.

الثانية: موقف سراقه: حيث عرض له سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له فدعا عليه فساخت فرسه فعاد فساخت فقال: ادعوا الله ألا أعود وعرض عليهما الزاد فقالا أكفنا نفسك، قال: قد كفيتهما وفي المرة الثانية لما عثرت فرسه وانتزع يديه من الأرض تبعهما دخان كالاعصار قال سراقه: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر.

وحين قال أبو جهل لسراقه ما قال عاتبا عليه تحوله عن قريش إلى الإسلام ومحاولة الرد عن رسول الله ﷺ أجابه سراقه قائلاً:

أبا حكم والله لو كنت حاضرا

لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمدا

رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

مواقف خالدة في هجرة الرسول ﷺ

الدكتور صبرى عبد الرؤوف محمد

فى

كل عام تمر بنا هجرة سيدنا رسول الله

١- إعداد العدة للهجرة: وتذكر على المسلمين مر الكرام مع أن الواجب على كل مسلم أن يأخذ من هجرة سيدنا رسول الله ﷺ انطلاقة جديدة إلى عالم أرحب ودنيا أوسع خاصة وأن الهجرة النبوية حولت مجرى التاريخ الإسلامى وجعلت المسلمين يزدادون إيماناً على إيمانهم ويزدادون الأعداء ثقة في تحقيق نصر الله عز وجل لجنده وحزبه وأن ما جاء به الرسول ﷺ وأمره يأتى إلى هو الحق وما وعد به هو الصدق وفى هجرة سيدنا رسول الله ﷺ بالخرج من مكة فى نفس سيدنا رسول الله ﷺ يستأذن فى الهجرة كان الرسول ﷺ يقول له: على رسلك يا أبا بكر لعل الله يجعل لك

صاحباً ورغم هجرة كثير من المسلمين إلى المدينة المنورة خاصة بعد بيعت العقبة إلا أن الرسول ﷺ لم يتعجل الهجرة وإنما ظل بمكة ينتظر الوقت المناسب لينتقل فيه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة. وكان سيدنا أبو بكر قد أعد راحلتين للهجرة واتفق مع دليل للصحراء هو عبد الله بن أريقط وظل الرسول ﷺ بمكة صابراً يتحمل الأذى من الأعداء حتى اجتمعوا فى دار الندوة وتآمروا على قتله ودبروا مؤامرتهم فى الخفاء حتى لا يعلم أحد بما يريدون لكنه سرّاً خرج ليلاً ولم يسلك الطريق إلى المدينة مباشرة لئلا يعلم أصحاب المبادئ وليرسم

الطريق السليم لكل مسئول يريد أن يعيش في أمن وأمان ليصل إلى تحقيق غايته لأبد له من إعداد العدة والتخطيط السليم قبل أن يتصرف تصرفاً قد يأتي بغير ما تشتهي النفس ويرغب في تحقيق الآمال على الإنسان أن يكون عاقلاً صبوراً متكئاً لأخباره ليصل إلى تحقيق المراد بسهولة ويسر من غير أن يكون الطريق مليئاً بالمخاطر.

والرسول ﷺ في هذا الموقف الخالد يؤكد عدم المخاطرة بالنفس وإنما لأبد من التخطيط الدقيق مهما كان الإنسان يطمئن على سلامة موقفه وكل الحقائق كانت تؤكد لسيدنا رسول الله ﷺ أن الله معه وناصره ومع هذا لم يتعجل الهجرة وإنما انتظر الوقت المناسب وخطط تخطيطاً دقيقاً حتى أمره الله عز وجل بالخروج من مكة. ومع أن الله قد أمره بالخروج إلا أنه لم يخرج نهائياً وإنما خرج ليلاً وهذا ليس من باب الخوف أو الجبن وإنما هو من باب الترتيب الدقيق والتخطيط السليم والتؤدة في اتخاذ القرار.

٢ - الانتماء إلى الوطن :

حينما أراد الرسول ﷺ الهجرة قال أثناء خروجه من مكة: اللهم إنني أعلم أنك أحب البلاد إلى الله وأحب البلاد إلى ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت أبداً.

وهذا موقف له أهميته فإنه أراد أن يعلم الناس معنى الانتماء إلى الوطن الذي يعيش فيه الإنسان على أرضه ويشرب من مائه ويتغذى من خيريه لأبد وأن يحب هذا الوطن ولا يفرض فيه أبداً.

٣ - الرفق بالآخرين :

بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة استقر به المقام ببیت أبي أيوب الأنصاري اختار الرسول ﷺ

الطابق الأرضي للإقامة به فقال له أبو أيوب يا رسول الله عليك أن تقيم بالطابق العلوي وأقيم أنا وأهلي بالطابق السفلي فقال له الرسول ﷺ لا يا أبا أيوب سأظل بالطابق السفلي وعلل ذلك بقوله:

ذلك أرفق بنا وبمن يأتي إلينا. هذا الموقف الخالد من سيدنا رسول الله ﷺ يؤكد رفق الرسول ﷺ بالناس ورأفته بهم فهو لا يريد أن يشق عليهم وفي نفس الوقت يرشد الناس إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه في التخفيف عن المريض والكبير وذوي الأعذار والعاهات فهو حقا كما وصفه ربه «بالمؤمنين رؤوف رحيم».

٤ - بناء المسجد :

حينما أراد الرسول ﷺ بناء المسجد اختار المكان المناسب ولم يتعجل ببناء المسجد وإنما سأل عن صاحب الأرض التي سببني المسجد فوقها فعلم أن الأرض يمتلكها غلامان يتيمان في المدينة فما كان منه إلا أن أرسل لولي أمرهما وعرض عليه شراء الأرض فقال الولي: خذ الأرض وابن عليها المسجد وأنا الذي سأرضيهما فقال له الرسول ﷺ لأبد من دفع الثمن وجاء الغلامان وقالوا يا رسول الله نهب لك الأرض لكن الرسول ﷺ أصر على دفع الثمن.

وهذا الموقف الخالد ينبه أولياء اليتامى بعدم التصرف في أموال اليتامى إلا بما يعود على اليتيم بما فيه الفائدة ولا يجوز إلحاق الضرر باليتيم لأن الإنسان كما يدين يدان وكما يزرع يحصد.

فعلى الولي أن يراعى الله ويتقى الله في مال اليتيم وأن يتصرف مع اليتيم بما يحب أن يعامل به أولاده من بعده قال تعالى: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله



وليقولوا قولاً سديداً. إن الذين ياكلون أموال اليتامى ظلماً إنما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سميراً».

سورة النساء: آية ١٠.

وكان الرسول ﷺ بهذا الموقف أراد أن ينبه الناس إلى وجوب المحافظة على مال اليتيم ولا يجوز لأحد أن يستولي عليه لأي سبب من الأسباب حتى ولو كان الغرض هو إقامة مسجد لأن بيت الله عز وجل لا يقام على أرض مفسوبة أو في مكان مملوك ليتيم فالله طيب لا يقبل إلا طيباً أما بناء المسجد على أرض مفسوبة أو تستولي على أرض مملوكة لليتامى فهذا أمر يرفضه الإسلام تماماً.

٥ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

كان من أول الأعمال التي قام بها رسول الله ﷺ بالمدينة: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ولقد بلغت درجة العلاقة بين المهاجرين والأنصار أن أحدهما إذا مات ورثه الآخر.

وهذا الموقف الخالد من سيدنا رسول الله ﷺ يؤكد لكل إنسان يعيش على الأرض أن الحياة لا يمكن أن تستقر إلا بالحب المتبادل بين أفراد المجتمع لأن الحب يزيل الحقد والغل من القلوب ويجعل الإنسان يسعى إلى الخير دائماً وأبداً ويتمنى لغيره السعادة وهذه السعادة لا يمكن أن تتحقق لأي مجتمع إلا إذا كان كل فرد من أفراد المجتمع يحب الخير لغيره ويتمنى له ما يتمناه لنفسه.

وقد أكد الله عز وجل هذا الحب والود الذي كان بين المهاجرين والأنصار بقوله: «والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» سورة الحشر: آية ٩

وفي هذا الموقف الخالد من سيدنا رسول الله ﷺ إرشاد لكل من يسعى لتحقيق الأمن والأمان لأي مجتمع.

فحب الإنسان لأخيه الإنسان هو الوسيلة الوحيدة لبناء المجتمع القوي المترابط المتماسك.

وبالحب الذي كان بين المهاجرين والأنصار استطاع الرسول ﷺ أن يبنى الدولة الإسلامية الجديدة التي استطاعت بعد ذلك أن تزلزل ملك كسرى وقيصر وأن تحقق الأمن والأمان العالمي مما جعل الناس بعد ذلك يدخلون في دين الله أفواجا عن رضا وطيب خاطر مما كان له أثره الخالد في انتشار الإسلام شرقاً وغرباً بحب المسلمين لبعضهم بعضاً ولم ينتشر بالسيف كما زعم أعداء الإسلام.

وكم يتمنى الإنسان أن يرتقى أبناء الإسلام في كل مكان وأن يتركوا الحقد والغل وراء ظهورهم وينشروا الحب والود بينهم ليعم الخير وينتشر السلام.

٦ - القضاء على العصبية القبلية:

كان يقيم بالمدينة قبيلتان هما: الأوس والخزرج وكانت بينهما حروب طويلة استمرت أكثر من مائة وثلاثين عاماً وكان العداء بين القبيلتين يثير الخلافات ويؤدي إلى الحروب بين الحين والحين وكانت حرب بعثت التي شيبت الولدان وأزهقت الأرواح وأقلقت الأمن وجعلت الكل يعيش في اضطراب وخوف وفزع وكانت الحروب تشتعل نيرانها لأتفه الأسباب فلما جاء الإسلام أراد أن يقضي على هذه الفتن فقضى على العصبية القبلية وجعل الكل أمة واحدة وأطلق الرسول ﷺ على أهل المدينة «يثرب» واستطاع سيدنا رسول الله ﷺ بحسن ذكائه أن يزيل الخلافات التي كانت بينهم وقضى عليها بلا رجعة لكي تستقر الأمور



ويمكن الإنسان من أداء واجبه نحو دينه ونحو مجتمعه ليكون عوناً على البناء والتعمير لتدور عجلة الحياة وتتقدم إلى الأمام ولتتمكن الأمة من رفع راية الإسلام عالية خفاقة.

ويفضل تعاليم الإسلام البناء استطاعت أمة الإسلام أن تنتشر وتتقدم وبعد أن أصبحت المدينة صفاً واحداً وجسداً واحداً تؤمن بدين واحد وتقننى نبى واحد عاشت على قلب رجل واحد وتناست ما كان بينها وبين الآخرين من حقد وعداوة. ومن هنا يظهر أثر الإسلام فى توحيد الصفوف وجمع الشمل قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾. سورة آل عمران: آية ١٠٣.

والله سبحانه وتعالى يذكر المسلمين بما كانوا عليه قبل الإسلام وما آل إليه أمرهم بعد الإسلام ويكنى أن الإسلام وحد صفوفهم وجمع شملهم وأنقذهم من النار وعذابها بسبب طهارة القلوب التى طبقوها قولاً وعملاً بعد أن عاشوا فى ظل الإسلام ينعمون بخيره ويستظلون بظله.

وهذا الموقف الخالد من سيدنا رسول الله ﷺ يذكر أمة الإسلام دائماً بفضل الله على عباده وأنه لا فلاح للأمم إلا بترك العصبية القبلية والالتزام بمبادئ الدين قولاً وعملاً.

٧ - معاهدة اليهود :

كان جماعة من اليهود يسكنون المدينة وهم يهود بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وهؤلاء اليهود هم الذين كانوا يثيرون نيران العداوة بين الأوس والخزرج لكن الرسول ﷺ بعد أن آخى بين المهاجرين

والأنصار وقضى على العصبية القبلية وأصبحت المدينة من الداخل صفاً واحداً أراد الرسول ﷺ أن يؤمن المدينة من الخارج فما كان منه إلا أن عقد المعاهدات بينه وبين اليهود ليؤمن الأعداء من الداخل والخارج.

ومع أن الرسول ﷺ يعلم تماماً أن اليهود لا عهد لهم ولا ميثاق فهم قتلة الأنبياء وسفاكو الدماء ولا عهد لهم ولا ميثاق ويكنى أن رب العزة تبارك وتعالى وصفهم بقوله: ﴿كانوا لا يتأهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ لكن الرسول ﷺ وقف من اليهود موقفاً خالداً فعاهدهم وأمنهم على أنفسهم وأموالهم ليعلم للإنسانية جمعاء أن الإسلام هو دين السلام وأنه لا يريد سفك الدماء وإنما يريد أن يحقق العدل والأمن والأمان لكل من يعيش على هذه الأرض وتمت المعاهدة وكانت صريحة واضحة لا تجلب ظملاً لأحد الطرفين وإنما تحقق العدل للجميع لكن اليهود وكعادتهم نقضوا عهودهم ومواثيقهم مع سيدنا رسول الله ﷺ وتناصوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من عهد وميثاق.

ففى السنة الثانية نقض يهود بنى قينقاع عهدهم مع رسول الله ﷺ حينما كانت امرأة مسلمة فى سوق اليهود تباع بعض حليها أراد يهودى أن يسخر من المرأة فطلب منها أن تكشف وجهها لكنها رفضت فأتى بشوكة ووضعها بذيل ثيابها فلما قامت انكشفت سواتها فضحك اليهود وصاحت المرأة وامسلمها فجاء مسلم فقتل اليهودى واجتمع اليهود على المسلم فقتلوه وعلم الرسول ﷺ بذلك وكانت الاجتماعات والمشاورات وفى النهاية أخرجهم الرسول ﷺ من المدينة وفى السنة الثالثة حاول يهود بنى النضير أن يقتلوا رسول الله ﷺ حينما كان يجلس إلى حائط لهم

وفكروا في إلقاء حجر فوق رأس سيدنا رسول الله ﷺ ليقتلوه لكن الله عز وجل أخبر رسوله بما يريد الأعداء فخرج من ديارهم وطلب منهم الخروج من المدينة وحاولوا أن يجددوا العهد والميثاق أو يخفف الرسول ﷺ عنهم الحكم عليهم لكن الرسول ﷺ عاقبهم بعقاب أشد من عقاب بني قينقاع وطردهم من المدينة وفي السنة الخامسة من الهجرة النبوية نقض يهود بني قريظة عهدهم مع رسول الله ﷺ أثناء غزوة الأحزاب مما جعل الخوف والاضطراب يقع بين صفوف المسلمين وبهذا يصف الله هذا الموقف فيقول: **﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾** سورة الأحزاب: آية ١١.

لكن سيدنا رسول الله ﷺ أخذ يطمئن المسلمين بنصر الله عز وجل وأن الله تبارك وتعالى لن يخذله أبداً ثم جاء الفرج من عند مفرج الكرب ومزيل الهموم وبين الله عاقبة الأعداء فقال جل شأنه: **﴿وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْنُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾** سورة الأحزاب: آية ٢٥ - ٢٧.

والإنسان يتساءل ماذا كان الحال لو لم يعاهد الرسول ﷺ اليهود والذين كانوا يقيمون بالمدينة؟ لقد كان العالم سيتهم الإسلام بالعداء لليهود وأنه جاء ليسفك الدماء ويثير الفوضى ويعلم الحرب على كل من خالفه.

لكن هذا الموقف الخالد من سيدنا رسول الله ﷺ لم يترك فرصة لمشكك أو لطاعن أن ينطق بكلمة

واحدة تسىء إلى سيدنا رسول الله ﷺ أو تسىء إلى الإسلام الذي جاء ليكون له من اسمه نصيب فهو الإسلام وهو السلام وهو الأمن والأمان.

ولهذا رأينا الرسول ﷺ لا يسئ إلى يهودى ولم يعلن الحرب على يهودى ولكن حينما نقض يهود بني قينقاع عاملهم بمقصودهم وعاقبهم دون غيرهم ولم يعاقب الآخرين بجرمهم وحينما نقض يهود بني النضير عهدهم وتآمروا على قتله عاقبهم على صنيعهم وكان على يهود بني قريظة أن يأخذوا عبرة وعظة ممن سبقهم لكنهم لم يعتبروا دائماً وأبداً فنقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ في وقت حرج ولم يهتموا بما صنعوا لهذا كان عقابهم أشد ممن سبقهم وهم حينما علموا بما يريد الرسول ﷺ قالوا له: يحكم بيننا وبينك صديقنا وحليفنا سعد بن معاذ ويطلب الرسول ﷺ حضور سيدنا سعد وكان قد أصيب في المعركة لكنه يحمل إلى رسول الله ﷺ ويخبره برغبة اليهود في التحكيم فيقول سيدنا سعد الرأي عندي يا رسول الله أن نحفر خندقاً ونقتل الرجال ونلقيهم في هذا الخندق أما النساء والأطفال فإنهم يكونون عبيداً للمسلمين وهنا قال له الرسول ﷺ لقد حكمت فيهم حكم الله من فوق سبع سموات وقتل الرسول رجالهم وسبى نساءهم وأطفالهم.

وبذلك تخلص المسلمون من شر خطير فلو ظل موجوداً بالمدينة لما استطاع المسلمون بعد ذلك أن ينشروا دعوة الإسلام خارج الجزيرة العربية.

هذه مواقف خالدة لسيدنا رسول الله ﷺ تستوجب العبرة والعظة والاهتمام من كل مسلم ليستفيد من حياة الرسول الكريم وليتدبر المواقف حتى يتصرف بحكمة ولا يتسرع بإصدار الحكم على أى موقف من المواقف **﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾** سورة ق: آية ٣٧

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

أسس المجتمع المدني كما ركزها رسول الله ﷺ بعد الهجرة

الأستاذ : محمد صلاح الدين المستاوى

استقبل الرسول عليه الصلاة والسلام وهو ما يزال في مكة المكرمة وفدين من أهل يثرب في سنتين متواليتين بايعوه على الإسلام ونصرته صلى الله عليه وسلم إن هو هاجر إليهم وحمايته مما يحمون منه أنفسهم وأموالهم .

سبحانه وتعالى (وانذر عشيرتک الأقربين) الآية ٢١٤ سورة الشعراء ، (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) وتحمل عليه الصلاة والسلام الأذى الشديد الذي سلطوه عليه ولكنه ثبت ولم يبدل ولم يغير وقال قولته الشهيرة (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته) كان يقول لهم (الرائد لا يكذب أهله أرايتم لو قلت لكم أن عيرا وراء هذا الجبل أمصدقى أتم؟ قالوا : نعم ؛ فقال أنى منذركم من عذاب يوم عظيم) وكان يقول لهم (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ولأن الدين الجديد

ثبات رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فى الدعوة إلى الله

فقد جاء الوفدان إلى مكة فى موسم الحج كما يقصدها كل العرب للحج وللتجارة . ولأن الدين الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو دين الناس أجمعين (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الآية ١٠٧ سورة الأنبياء ، فقد عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين الذى جاء به من عند ربه على الأقارب والأباعد ، ألح على الأهل والعشيرة عملا بقول ربه

هو للناس أجمعين كان لابد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبحث عن أناس آخرين قد يهديهم الله ويصطفيهم ويختارهم لاعتناق هذا الدين والانطلاق به نحو العز في الدنيا ورضوان الله في الآخرة والله تبارك وتعالى يفعل ما يريد ويهدي من يشاء (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) لأجل ذلك جرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبعد وكان توجهه إلي أهل الطائف ولكن موقفهم منه أنكى وأمر فقد أطلقوا عليه صبيانهم وكلابهم وأخرجوه في اليوم الشديد الحر وكانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المناجاة الخالدة لربه التي مطلعها (اللهم لك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت ربى أنت رب المستضعفين) ويختمها عليه الصلاة والسلام بالتسليم المطلق لربه مع طلب العافية التي هي أوسع يقول عليه الصلاة والسلام (إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لك العتيى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم).

بداية اليسر والفرج:

لقد جاء الفرج للرسول عليه الصلاة والسلام وبدأت تباشيره بتلك المكرمة الإلهية المتمثلة في الرحلة الأرضية والسماوية التي دعى للقيام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى بيت المقدس معجزة من عند الله ثم عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم على إثرها إلى السماوات العلى ليصل إلى مقام لم يصله قبله ولا بعده نبي مرسل أو ملك مقرب (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله). قاله تبارك وتعالى بجانب رسوله يراعه ويسدد خطاه ويعصمه من كيد

الكافرين ومكر الماكرين. كما أن وعد الله بالنصر والتمكين آت لا محالة ولكنه إبان وأوان لابد أن يتم.

كما بدت تبشير هذا النصر والتمكين وقرب الفرج من خلال ذلك الإقبال على الدين الجديد والإيمان به ومبايعة الرسول عليه الصلاة والسلام من طرف وفدى المدينة اللذين جاء إلى مكة لشهود الحج على غرار كل القبائل العربية وعاد الوفدان إلى يثرب (المدينة لاحقاً) وبواسطتهم وعن طريقهم انتشر الإسلام في المدينة بين الأوس والخزرج وهما قبيلتان ظلتا تتناحran وتتقاتلان بعصبية جاهلية يذكيها من كان معهم من اليهود. وتكاثر عدد المؤمنين بالدين الجديد في يثرب حيث مل الناس النزاعات والاختلافات والدماء والدموع والضغائن والاحقاد ووجدوا في الدين الجديد الأمن والسلام والطمأنينة والسكينة كما وجدوا فيه أسس العلاقات السليمة بين بنى الإنسان المبنية على الأخوة والمساواة والتعاون على البر والتقوى فدخلوا فيه أفواجا ذكورا وإناثا صغارا وكبارا فقراء وأغنياً وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما يزال في مكة المكرمة صاحبه مصعب بن عمير يعلمهم الدين الجديد فكان بذلك الداعية الأول الذى قام بمهمته على أحسن الوجوه وأتمها بحيث لم يبق بيت في المدينة إلا ودخله الإسلام حتى إن كل الأسرة قد دخلت في دين الإسلام أو أغلبها أو البعض منها على الأقل وبذلك يتجلى لنا أن معالم المجتمع الإسلامى الجديد والكيان البديل على مرحلة الضعف والقلّة والتكتم والسرية التى كانت في مكة المكرمة قبل الهجرة قد بدت جلية واضحة فالمدينة المنورة هى التى ستكون دار الإسلام ومستقره ومنطلقه وقد شرفها الله تبارك وتعالى وشرف أهلها وأعطاهم لسبقهم

واخلاصهم المكانة التي يغبطهم عليها سواهم.

فضل المدينة المنورة:

فالمدينة هي دار الإسلام والإيمان وهي دار الهجرة ومستقر الدين وهي مسكن الرسول عليه الصلاة والسلام ومدفنه فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهلها الأنصار يوم فتح مكة وهو يطمئنهم (المحيا محياكم والممات مماتكم) وللمدينة خصائص عدة فهي بهذا التكريم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه استحققت أن تكون على بعض الأقوال أفضل بقاع الأرض والإجماع حاصل على الأقل على أن المكان الذي يحوى جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريف الطاهر هو أفضل بقاع الأرض والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي المدينة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بنى من أول يوم على التقوى وفي المسجد النبوى روضة من رياض الجنة. والإيمان يأزر إلى المدينة كما تأزر الحية إلى جحرها والمدينة حرم لا يدخله الدجال.

هذه الفضائل والمحامد التي لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما استحققتها بفضل تفاني واخلاص أهلها وحبهم الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحب الذي عبرت عنه الكلمات والمبادرات قبل الأفعال التي لم يتأخر عن التنافس فيها أهل المدينة حبا لله ولرسوله وللدين الجديد أما الكلمات فيعبر عنها أصدق تعبير النشيد الخالد:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

والذي رددته النساء كما رددته الرجال ورددته الكبار كما رددته الصغار، الجميع على صوت رجل واحد في حماس واجماع تلقائي يعبر أصدق تعبير عن صادق التعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فسبحان الله مغير الأحوال، فبين الخروج متخفيا من مكة المكرمة إلى الوصول إلى المدينة مظفراً منتصراً مستقبلاً استقبال الفاتحين فرق كبير وبنون شاسع يبين أولاً وقبل كل شيء العناية والرعاية الإلهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لم تصل إليه يد البغي في مكة، فقد خرج من بين أيدي صناديد قريش ولم يروه وعندما لاحقوه لم يصلوا إليه سواء كان ذلك في الغار (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) الآية ٤٠ سورة التوبة، أو عندما اقترب منه سراقه، لقد نجى الله رسوله من كل مكر وكيد (ويكرون ويكر الله والله خير الماكرين).

البداية في المدينة تكون ببناء المسجد :

و عندما دخل عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وكان يركب ناقته القصواء كان الجميع يرحبون والكل يتمنون الجوار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا يقولون : هلم يا رسول الله ولأنه رسول الله إليهم جميعاً ولأنه رسول المساواة فقد قال لهم اتركوا الناقة فإنها مأمورة وحيث بركت الناقة نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة هو بناء المسجد، المسجد الجامع، أول مسجد أسس على التقوى من أول يوم ليكون المسجد قلب المجتمع النابض ومنطلق كل حركة، ففى المسجد تؤدي الصلاة التي هي عماد الدين وينادى لها في اليوم خمس مرات، إنها عماد الدين وفي إقامتها

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وما ترتب عليها من تلاحم :

أما الخطوة الثانية التي أقدم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بناء المسجد فهي القيام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فالرابطه الجديدة التي جعلها الإسلام حجر الزاوية في بنائه الاجتماعي وفي صرحه الجديد هي رابطة الأخوة الدينية، لقد ألغى الإسلام كل الروابط العنصرية الجاهلية المبنية على التناصر على الباطل وأبقى الإسلام كل الروابط الطبيعية ولم يدع إلى إلغائها أو عدم اعتبارها، وتلك واقعية يتميز بها الإسلام في كل أوامره ونواهيه، لقد اعتبر الإسلام روابط النسب والأصل ودعا إلى تميمها وجعل لها حقوقا لا بد من مراعاتها وألغى كل أنواع الروابط العنصرية العدوانية التي لا تستند إلى أصل معقول الاعتبار ومأمون النتائج، لقد أعلن الإسلام مبدأ الأخوة الدينية (إنما المؤمنون إخوة) وأخوة الإيمان مفتوحة وقابلة للتوسع لا تعتبر فيها المظاهر الشكلية من لون وأصل ومستوى اجتماعي أو مادي (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى وجوهكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (لا فرق بين أبيض وأسود ولا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى) والتقوى لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى فقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال (التقوى ههنا) والله وحده يعلم ما تخفى الصدور إنه يعلم (خائنة الأعين وما تخفى الصدور). وهذه الرابطة الجديدة بين الناس التي دعا إليها الإسلام سهلت عملية الامتزاج واقترب الناس من بعضهم البعض وتناسى كل الفروق الطبيعية (من لون وجنس وغنى وغيرها) ومثلما وجد بلال مكانه في هذا المجتمع

إقامة للدين، إنها أشبه ما يكون بالنهر الجارى الذى يغتسل فيه والذى لا يبقى من الدرن شيئا (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) سورة العنكبوت: آية ٤٥.

ففى المسجد يتعلم المسلمون من رسولهم ما يهديهم إلى الصراط المستقيم وما ينظم علاقاتهم ببعضهم البعض كمسلمين أولا وما ينظم علاقاتهم مع غيرهم ممن هم ليسوا على دين الإسلام فى حالتى الحرب والسلم.

لذلك ولغير ذلك بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد الذى هو المكان الذى يجمع ولا يفرق وهو المكان الذى يجد فيه المسلم الأمن والطمأنينة والسكينة ويبلغ فيه الدرجة العالية فى الخشوع والخشية والمراقبة لله تبارك وتعالى ويخرج منه متزودا بخير زاد (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى). والمرتاد للمساجد مشهود له بالإيمان وهو من السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله إنه الرجل الذى يتعلق قلبه بالمساجد، هو ضيف الله فى بيته وهو لا شك نائل من ربه التكرم والتبجيل والعناية والرعاية والحفظ والأمان.

وفى البداية ببناء المسجد وتشجيده توجيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بأهمية المسجد ومركزيته فى المجتمع الإسلامى وذلك للتذكير دائما وأبدا بالحقيقة الأزلية الله أكبر الله أكبر، وفى البداية بالمسجد توجيه إلى طبيعة مجتمع المسلمين انه المجتمع الذى يترج فيه الروحى بالمادى والمقدس بالزمنى فى توازن لا انخرام معه (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) سورة الجمعة / آية ١٠.

الجديد فقد وجد سلمان الفارسي مكانه، الجميع إلى جانب بعضهم البعض يمثلون مجتمع الإسلام وأمة الإسلام الواحدة التي هي كالجسد الواحد وكالبنين المرصوص، لذلك عندما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار إلى التآخي اثنين اثنين وجد منهم جميعا الاستجابة التلقائية والانصراف بحماس إلى تجسيم مقتضيات تلك الأخوة من تعاون وتضامن وتآزر وتعاون على البر والتقوى وكل ما يقرب إلى الله.

وقد ضرب الأنصار في هذا المجال أروع الأمثلة في الإيثار ومد يد العون لإخوانهم المهاجرين الذين تركوا في مكة الأهل والمال والدار، وهاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجد الأنصار من إخوانهم المهاجرين العفة والترفع والرغبة الجادة في التشمير عن الساعد والعمل بجدة وكدة. لقد طلب المهاجرون من الأنصار مجرد العون والتوجيه والإرشاد وكان لهم ما أرادوا لقد تقاسم الأنصار والمهاجرون الأموال والديار ولم تشهد المدينة أزمة سكنية أو اقتصادية بسبب العدد الكبير الذي قدم على المدينة من المهاجرين وما ذلك إلا لادراك الجميع بأن مقتضيات الأخوة هي التضامن والتآزر والتعاون على البر والتقوى. وإن سبيل الأحرار على مرضاة الله إنما تكون بأن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه وأن المسلم لا يبلغ درجة البر حتى ينفق مما عنده (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) سورة آل عمران / ٩٢.

• حقوق غير المسلمين محفوظة في مجتمع المدينة:

ولأن المدينة يسكنها المسلمون من أنصار

ومهاجرين ومعهم غير المسلمين من اليهود بالخصوص فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بادر إلى عقد معاهدة مواطنة بين كل ساكني المدينة على اختلاف دينهم حتى يتعايشوا في سلام وأمان يحترم بعضهم البعض ولا يعتدى على بعضهم البعض كل على دينه ولا يكره أحد على الدخول في دين الآخر (لا إكراه في الدين) وتحفظ حقوق الجميع فلا يعتدى عليها سواء كانت هذه الحقوق: أنفساً أو أموالاً أو أعراضاً. فالإسلام حرم الظلم وقال الله تعالى في الحديث القدسي (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) فالظلم ظلمات ولا ينبغي أن يظلم أحد في دين الإسلام وفي مجتمع المسلمين مهما كان الدين الذي يعتنقه.

وغير المسلمين من يهود ونصارى الذين يعيشون في مجتمع المسلمين هم في ذمة المسلمين يحمونهم من كل ظلم ويدافعون عنهم ولا يعتدون عليهم، ذلك هو توجيه الإسلام للمسلمين في التعامل مع الآخرين من غير المسلمين وهو توجيه إنساني وحضاري قوامه التسامح الصادق والرغبة الواضحة في مد جسور التعاون والتكامل والاحترام المتبادل. لقد جسد المسلمون في المدينة المنورة التعايش السلمي مع غيرهم. ويشهد التاريخ أن المسلمين لم ينكثوا عهداً ولم يغتصبوا حقاً ولم يكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام ولقد وقف غير المسلمين بجانب المسلمين أمام قضاة المسلمين وكثيراً ما أنصف هؤلاء القضاة غير المسلمين ومكنوهم من حقوقهم ولا تزال ترن في آذان البشرية تلك الصرخة العممية في وجه ابن عمرو بن العاص وقوله له: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).



الهجرة تخطيط بدقة وتنظيم بكفاءة

الشيخ منصور الرفاعي عبيد

الهجرة حدث ضخم من أحداث الإسلام.. وقد نجحت الهجرة لأنه تم التخطيط لها بكفاءة متميزة لم تعرف الدنيا لها مثيلاً. فالنبي محمد - ﷺ - تلقى دعوة ربه وأمر أن يبلغها إلى أهل مكة أولاً وفي بادئ الأمر حيث قال الله له: «وأنذر عشيرتك الأقربين» سورة الشعراء: آية ٢٢٤.

ويقول سبحانه: «لتنذر أم القرى ومن حولها» سورة الشورى: آية ٧.

ولقد أعلن سيدنا محمد - ﷺ - دعوة ربه وصارح قومه مصارحة من لا يرهب من أمرهم شيئاً. فهو يؤمن بربه ويثق في نصره. ويعتز بأنه عبد له يتلقى وحيه، وقد قال له: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» سورة المائدة: آية ٦٧.

ولقد انتقل هذا الشعور من النبي العظيم محمد - ﷺ - إلى أصحابه الذين رباهم على حسن العلاقة بالله والثقة بالنفس. لقد ربي النبي - ﷺ - أصحابه على قوة التحمل والصبر عند نزول الأذى واستمداد العون من الله. وهذه التربية كانت بالقدوة الحسنة متمثلة في شخص النبي العظيم. فزكت نفوس الصحابة وأصبحوا نماذج من البشر تمشي على الأرض بخلق السماء. وتطلع إلى السماء بحسن السعي في الأرض، وكان الواحد منهم بعد أن شرح الله صدره للإسلام لا يخشى إلا الله، ولا يرهب إلا ذنبه. ولا يبالي بعد ذلك أوقع على الموت أم وقع الموت عليه. لذلك نجحوا في

حياتهم وأسهموا في رقي المجتمع الإنساني. ونستعرض الدروس المستفادة من الهجرة لنعرف أن التخطيط يؤدي إلى النجاح. وإذا كانت الهجرة حدثاً عظيماً فإن هذا الحدث نشأ مع الدعوة ومن أول لحظة نزل فيها الوحي.. ذلك أن النبي - ﷺ - عندما نزل عليه الوحي في غار حراء وتلقى النبي أول آياته «اقرأ» وذهب إلى زوجته الوفية «خديجة» وأخبرها الخبر وقص عليها ما حدث، وذهبت مع النبي الكريم إلى ورقة ابن نوفل وكان من «الحنفاء» فما أن سمع ما تلقاه هذا الرجل الأمين الصادق إلا قال له: هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى ليتنى فيها جذعا إذ يخرجك قومك. قال: أو مخرجي هم؟ قال نعم. لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا أودى، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً» فالرسول - ﷺ - استقبل خبر الهجرة في الوقت الذي استقبل أمر الوحي. ومما لاشك فيه أن هذا الخبر يفيد أن أهل مكة وهم يستقبلون الدعوة كان هناك في يثرب لها صدى. ولا بد أن يلتقيا.



دروس نتعلمها من الهجرة

الهجرة انتقال من مكان مضيق فيه على صاحب الدعوة إلى مكان يجد فيه من يسمع لدعوته ويتقبلها ويتفاعل معها ويتعامل بمبادئها وينشرها في جو آمن. والمهاجر محب لوطنه. فحب الوطن من الإيمان. وهذا الحب للوطن تعلمناه من رسول الله - ﷺ - عندما ألقى بنظرة أخيرة على مكة وهو مشرف على تلالها ومنازلها. وفؤاده حزين. فنادى مكة بقوله: «والله إني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأكرمها على الله ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت» كلمات تفيض شجنا وأسى، تمتزج بالدمع وتقرن باللوعة. لأن مكة ملاعب صباه. ومقر ذكرياته وموطن الآباء.

الوطنية حب وصدق من القلب. وتضحية بالعرق والمال والدم. وتتجلى الوطنية عندما يقوم الشخص في عمله بإتقانه. ليكون هناك وفرة الإنتاج مع الجودة والابتكار في أسلوب الأداء. والتصدى للمغرضين والمعوقين لمصالح الشعب. والدعوة إلى الأخوة والمحبة والتسامح لكل من يعتز بوطنه، من أجل ذلك أحب الصحابة مكة لأنها كانت مصدر إيناسهم مع الأهل والأحباب. كما كانت نبع سكينه لقلوبهم فأشادوا بحبها وهتفوا باسمها عندما استقر بهم الحال في المدينة. تقول السيدة عائشة - رضى الله عنها - «لولا الهجرة لسكنت مكة. فإني لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة. ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة. ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة» هذه كلمات السيدة العظيمة أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - وهى من هى فقها وبلاغة تكاد الكلمات تكون شعرا فهى مملوءة برحيق الحب الخالص الذى يموج بالشوق. وبلال - رضى الله عنه - أول وزير إعلام فى الدولة الإسلامية هو الآخر يعبر عن حبه لوطنه الذى تربى فيه فيقول:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة

بفخ وحولى أذخر وجيل

وهل أردن يوما مياه مجنة

وهل يبدون لى شامة وطفيل

والرسول - ﷺ - دعى ربه قائلا: «اللهم حبب إلينا المدينة» وهى دفعة معنوية ليكافح هذا الوهم ويبعد عنهم الأزمات النفسية لترك الوطن الأم. وهذا درس أول.. والدرس الثانى ..

تخطيط + ثقة فى الله = نصر.

المسلمون عليهم أن يتعلموا هذا الدرس.. وهو أن المؤمن مهما بلغت به الشدة يجب أن يعلم أن له ربا، ولن تكون الشدة التى يواجهها المؤمن أقوى من الله الذى يؤمن به وتعتمد عليه. فالمسلم يخطط بكل عمل يريد أن يقوم به ويأخذ فى الأسباب. وهذه الأسباب مخلوقة لله ويد الله ممدودة بها إلينا فلا نهمل الأسباب. ونقول: يارب افعلى لى. إن الله يقول لك: أنا أعطيتك الأسباب فلم لا تتناولها. وهذا المثل طبقه رسول الله - ﷺ - قبل الهجرة، كانت السيدة خديجة - رضى الله عنها وأرضاها - نصيرة لمحمد - ﷺ - فى الداخل، وأبو طالب كان نصيره فى المجتمع فلما ماتا فقد النصير والمؤنس، فيشاء الحق سبحانه أن يأتى إليه نصير آخر: لأنه استنفد كل إمكاناته واستعمل عقله وبذل جهده. والنصير الذى أتى إليه أهل يثرب عندما بايعوه بيعة العقبة الأولى والثانية، وبعدها هاجر وهو قد أحكم التخطيط واستنفد كل الوسائل الممكنة لإنجاح الهجرة. وقد خطط لها فى تكتم شديد وسرية تامة «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» وهذا ما تم. لقد بلغ الاحتياط مداه فقد انتقى شخصيات عاقلة لتقوم بالمعاونة معه لإنجاح الهجرة، ويلاحظ أن هذه الشخصيات تتربط بصلة القرابة مما يجعلها متعاونة على إنجاح الهدف ثم وضع كل شخص فى عمل مناسب. فهذا الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ينأى مكان الرسول الأعظم وهى فكرة ناجحة ضللت القوم وخذعتهم. وأسماء ابنة أبى بكر حاملة التموين من مكة إلى الغار. وعبدالله ابن أبى بكر كاشف تحركات العدو وناقل الأخبار من مكة إلى الغار. وعامر بن فهيرة راعى الغنم يقدم اللبن واللحم لمن بالغار. ويبدد آثار أقدام المسيرة التاريخية

الحاضر ونؤسس بها للمستقبل. إنها هجرة القلوب. فالرسول - ﷺ - يقول: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه» البخاري. فالهجرة الأولى بقيادة سيدنا محمد - ﷺ - كانت منطلقاً لبناء عالم أفضل تنتصر فيه إرادة الحق، وترتفع راية الخير، وتظهر خصائص الإنسان وفطرته، وهجرتنا اليوم أن نهجر المعاصي، وأن نتمسك بقيم الإسلام، ولا نضعف أمام المغريات ودواعي الهوى، وقدوتنا صحابة رسول الله - ﷺ - الذين هجروا المعاصي وربوا أنفسهم على قوة العزيمة مع الصدق والصبر. فينبغي علينا أن نحارب السلبية وأن يكثّر حجم العمل الذي يقوم به كل شخص.

إن الإسلام دعوة إلى السلام النفسى والسلام الاجتماعى لذلك علينا أن نحارب التطرف مهما كان لونه وأن نضرب بيد من حديد على كل من يستعمل الإرهاب وسيلة للنيل من الشعب والمواطنين.

إن الهجرة دروس مستفادة فعلينا أن نتعلم منها مسالمة الناس وحبهم والتعاون معهم. من الهجرة أن نهجر تقاليد غيرنا التي لا تتفق مع قيم الإسلام وعاداته. علينا أن نهجر السوء وفعل الشر. وأن نهاجر إلى الله، ونعمل الخير ونسعى لإسعاد الناس فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» وهذا حديث عن نبي الإسلام رواه البخاري ومسلم.

إن الهجرة دروس مستفادة فلتعلم منها. ولنهاجر إلى الله. وأن نحب للناس ما نحبه لأنفسنا. ففي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وأن نتعاون مع الناس لبناء مجتمعنا والنهوض به على أسس من التسامح والصبر والتضحية والبذل والفداء، فالله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ولنجعل شعارنا «ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط». «ولينصرن الله من ينصره.. ومن أعان مسلماً أعانه الله».

لأسماء، وعبدالله. وهناك عبدالله بن أريقط.. الخبير بالصحراء ليكون دليل المهاجر العظيم وصحبه الكريم. هذا التخطيط رائع وتنظيم دقيق ووضع كل شخص في موضعه المناسب. فهل قصر الرسول - ﷺ - أم أخذ بالأسباب؟ والإنسان إذا بذل جهده قدر استطاعته. فإن الله سبحانه يتولى الباقي ويكون النجاح والفلاح.

خذ مثلاً آخر :

عندما اشتد الأذى على المؤمنين الصادقين نصحهم رسول الله - ﷺ - أن يتفرقوا في الأرض حتى يجعل الله لهم فرجاً. فلما سألوه أين نتجه؟ بسط خريطة الدنيا أمامه وفكر إلى أى مكان يوجههم. واختار الحبشة، لماذا؟ لأنهم لو رحلوا إلى أى مكان في الجزيرة العربية سيكون هناك من يتطوع ليجامل قريشا ويمسك بالمسلمين ويدفع بهم إلى المشركين. هناك فارس لكنها وثنية تعبد النار فاستبعداها. وهناك الروم وهم أهل كتاب إلا أن السلطة الحاكمة فيهم ظالمة. وبعد فحص وتمحيص استقر رأيه على أن تكون الهجرة الأولى والثانية للمسلمين المعذبين إلى أرض الحبشة، وقد أثبتت الأيام حسن تخطيطه وصواب رأيه. لأنه لا خاب من استخار. ولا ندم من استشار.

إن التخطيط المنظم والأخذ في الأسباب مع حسن الاعتماد على الله كل ذلك يوصل إلى النجاح والفلاح.

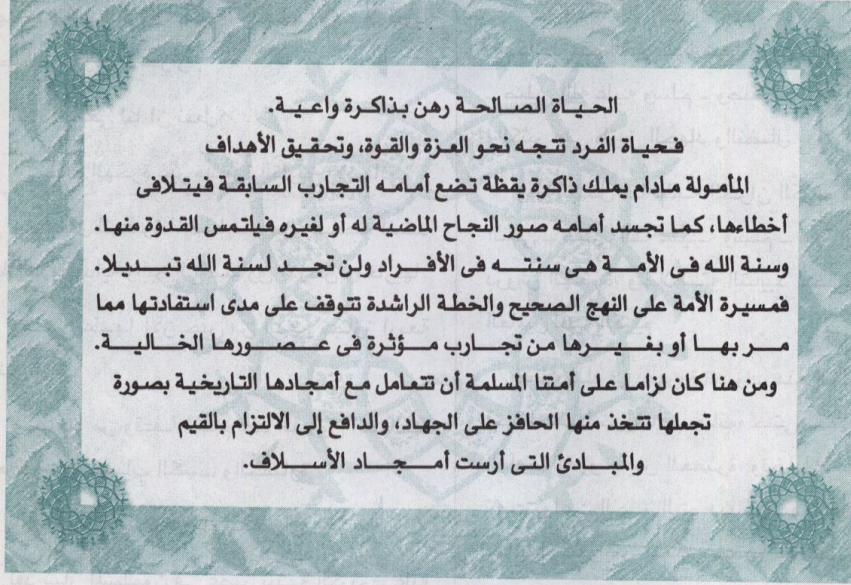
الهجرة الدائمة

إن الهجرة بذل وتضحية وعطاء. لأنها كانت أملاً في غد مشرق بالخير لهذا تحمل الصحابة أعباءها بصدق وصبر واحتمال. لأنه في سبيل العقيدة الصحيحة والمبدأ النبيل تهون الصعاب.

الهجرة درس في التخطيط البارِع المؤسس على المعرفة والعلم مع تهيئة النفوس لترتفع بالتخطيط وتعمل به؛ لأنه في سبيل الوصول إلى النجاح والرقى تهون الصعاب. ونحن الآن مطالبون بهجرة نصلح بها

هل من وقفة متأملة أمام القرون الماضية ؟ وماذا أعد لنا لمستقبل أمتنا ؟

أ.د. السيد رزق الطويل



الحياة الصالحة رهن بذاكرة واعية.

فحياة الفرد تتجه نحو العزة والقوة، وتحقيق الأهداف

المأمولة مادام يملك ذاكرة يقظة تضع أمامه التجارب السابقة فيتلافى

أخطائها، كما تجسد أمامه صور النجاح الماضية له أو لغيره فيلتمس القدوة منها.

وسنة الله في الأمة هي سنته في الأفراد ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

فمسييرة الأمة على النهج الصحيح والخطا الراشدة تتوقف على مدى استفادتها مما

مر بها أو بغيرها من تجارب مؤثرة في عصورها الخالية.

ومن هنا كان لزاما على أمتنا المسلمة أن تتعامل مع أمجادها التاريخية بصورة

تجعلها تتخذ منها الحافز على الجهاد، والدافع إلى الالتزام بالقيم

والمبادئ التي أرسى أمجاد الأسلاف.

كما قال سبحانه لنبيه: «أولئك الذين هدى الله

فبهداهم اقتده» سورة الأنعام: آية ٩٠.

وقال للأمة الخاتمة: «لقد كان لكم في رسول

الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم

الآخر وذكر الله كثيرا» سورة الأحزاب: آية ٢١.

ومن الأمجاد التي يحفظها تاريخ أمتنا، وتتردد

ذكرها كلما حل ميقاتها - الذي وعها في سالف

والأمجاد التاريخية في مسيرة أمتنا المسلمة

كثيرة وعظيمة. وفي منهج الإسلام الدعوة إلى أن

يكون حاضر الأمة موصولا بماضيها، وأن نضع

نصب أعيننا أخطاء السابقين لتتلافها كما نعمل

بجد وعزم لإحراز مجد كالذي فعلوا، وقد قال رب

العالمين: «قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف

كان عاقبة المكذبين» سورة الأنعام: آية ١١.



الزمان - الهجرة المباركة للرسالة الخاتمة والرسول الكريم من مكة إلى المدينة.

لقد تعودنا أن نذكرها مع بداية العام الجديد ومشرق هلال المحرم وإن كانت أحداثها الكبار وقعت في شهر ربيع الأول وأياً ما كان الأمر فالذي يعيننا هو أسلوب الذكرى، إذ هو الذي يجعل من هذا الحدث مصدر عطاء سخي يبعث في الأمة الهامدة الحياة والحيوية، ويصلها وصلاً قويا بمصادر القوة والاعتزاز.

فماذا ينبغي لنا أن نفعل؟

إن حدث الهجرة غير مسيرة التاريخ الإنساني.

إنه جعل للدعوة المضطهدة دولة قائمة امتد عطاؤها بالهداية والبر إلى مشارق الأرض ومغاربها. ومضى عليها الآن حين من الدهر تجاوز أربعة عشر قرناً.

ولابد لنا من وقفة أمام هذه القرون الخالية نتعرف منها حساب الكسب والخسارة.

وأسباب الكسب وعوامل الخسران.

لقد سار المسلمون في عصر نبيهم الكريم - عليه الصلاة والسلام - وفي عصر الخلفاء الراشدين من بعده على طريق الدعوة والعمل الإسلامي بروح الهجرة، فكانوا - كما أراد لهم الله - خير أمة أخرجت للناس وأعنى بروح الهجرة ما ارتبط بأحداثها من قيم ومبادئ.

منها ضرورة التضحية في سبيل المبادئ والقيم، وأن الإيمان الصادق بذل وعطاء.

ومنها أهمية الأخذ بالأسباب، وتدبير الخطة الراشدة التي تنبع من الإيمان بالسنة الكونية.

ومنها الثقة في الله تبارك وتعالى واليقين بوعده.

ومنها صدق الصحبة، والوفاء بالتزاماتها.

ومنها أن السلوك الديني بما يتسم به من استقامة ورشد، هو في منهج الإسلام يشمل أمور الدين وأوامر الدنيا جميعاً.

كانت هذه القيم كلها مدداً زاهراً تعلم منه النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه الأبرار الكثير والكثير على طريق الجهاد والنضال.

ومن أجمل ما علمه القرآن الكريم لأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الدرس من دروس الهجرة، وخلاصته التأييد الحتمي من رب العالمين لنبيه الكريم.

كان ذلك في غزوة تبوك، هذه الغزوة التي أحاطت بها ظروف صعب، حتى سمى الجيش الذاهب للغزو جيش العسرة، وتخاذل بعض الناس تحت بواعث الحر الشديد، وعدم توافر المؤن مما جعل كثيراً من المالكين ضنيناً بما عنده.

وهنا يأتي الدرس للمتخاذلين سواء منهم المنافقون والصادقون، يُعلمهم أن تخاذلهم لن يحجب النصر عن نبيه، وأمامهم درس الهجرة، لقد انتصر الله لنبيه وصاحبه وهما في الغار وأحاطت بهما قریش، وصرّهم الله عنهما وهو اللطيف الخبير قال سبحانه: «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته على رسوله وأيده بجنود



لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم». **سورة التوبة: آية ٤٠.**

إنه درس حرك بلا ريب ذاكرة الأصحاب، إلى أن يضعوا نصب أعينهم ما مر بهم من أحداث وليقيموا سلوكهم في دنياهم على هذا الأساس، سواء فيما يتصل بعلاقتهم بالله تبارك وتعالى أم بعلاقتهم بالناس.

وتوالت الانتصارات في ظلال قيم الهجرة، ولاسيما أن النبي - عليه الصلاة والسلام - علمهم أن الهجرة بعبائنها الذي لا ينضب لم تتوقف بعد فتح مكة، وإنما هي مستمرة على نحو آخر هو العمل الصادق، والجهاد الواعي، والنفرة دفاعاً عن الحق وذوداً عن حماء، وصيانة للقيم والمبادئ التي جاء بها الدين الحق فقال - عليه الصلاة والسلام - : «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا**» أخرجه البخاري.

وبلغت دعوة الإسلام المشارق والمغارب.

ثم ران على القلوب وباء التخاذل.

أصبحنا مؤمنين بلا عطاء.

متوكلين بلا عمل ولا خطة، فنسينا السنة الكونية وتعلقنا بالدجل والأوهام، ضعفت ثقتنا بالله فتخلينا عن شريعته السمحة ورحنا نستورد النظم البشرية من هنا ومن هناك.

وضاعت قيم الهجرة فضاعت معها من أمتنا معاني الكرامة والقوة والاعتزاز وليس من حقنا أن ننسى، وما ينبغي لنا أن نكون على هذه الغفلة وذكرى الهجرة تصافح الأذان وتطوف بالأذهان كل عام.

لكن ذكرانا لها هزيلة، إنها مجرد كلمات نسمع بها حكاية الهجرة التي تهز مشاعرنا لحظة وينتهي الأمر، وننصرف وكأن لم يحدث شيء، أو كأن لم يتردد في خاطر أمر حدث عظيم.

ولأجل ذلك، ولكي تستفيد أمتنا من ذكريات أمجادها، لأبد لها من أن تصطنع لنفسها مسلكاً آخر تواجه به ذكريات الأمجاد.

وعلينا أن نسأل أنفسنا في صراحة وصدق: ماذا علينا أن نفعل ونحن في رحاب ذكرى الهجرة؟ نحن مطالبون بعمل نقدمه إن كنا أمة حريصة على استعادة قوتها وكرامتها.

الإيمان عطاء وبذل، فهل نحن على استعداد للتخلي عن أهوائنا لتستعيد أمتنا وحدتها وتماسكها؟

هل لنا أن نعلن استمساكنا بشرع الله وحكمه، وبقيم الدين الحق وسلوكياته، ليمنحنا الله النصر الذي وعد به المؤمنين؟

التخطيط والأخذ بالسنة الكونية منهج إسلامي وهو من قيم الهجرة، فهل نحن على استعداد للتخلي عن العشوائية والاتكالية واللامبالاة في مواجهة النكبات العظام والأحقاد السوداء التي تتراد بأمتنا.

هل لأمة الإسلام أن تجتمع مع ذكرى الهجرة على جديد مفيد يقوم المسيرة ويهدها سواء السبيل؟

أقول هذا وربى من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حديث الهجرة

د. محمد السعدى فرهود

فى الناس خطيبا بهذا الحديث، عتابا لهذا الرجل،
وتعريضا به وبأمثاله.

ولا ينبغى أن نتوقف عند خصوص هذا السبب،
فإن لنا من عموم لفظ الحديث ما يقنعنا أن نعتبر
به، ونتخذ منه منارة لسلوكنا، ونبراسا لطريقنا،
فإن فيه تربية لنا - نحن المسلمين - أن نجعل
أعمالنا خالصة لوجه الله - تعالى شأنه - وأن
نقصد بأعمالنا القربة والطاعة، بعيدا عن الرياء،
وآلا تفتننا الدنيا، ولا تصرفنا عن خلوص
ضماثرنا، ولا تلفتنا عن استقامة القصد، ولا
تحول بيننا وبين رضا الله ورحمته.

وإذ يقول رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال
بالنيات»؛ فإنما هو مقال صريح قاطع فى أنه لا

فيما رواه الشيخان، البخارى
ومسلم، عن سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ
يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما
لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت
هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى
الله ورسوله، ومن كانت هجرته
لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها
فهجرته إلى ما هاجر إليه»

هذا هو ما عنيته من حديث الهجرة، بالنظر
إلى أن النية هى رأس كل الأعمال وأساسها،
فالعبد عليه أن يحسن نيته، ويجعلها خالصة لوجه
الله - سبحانه وتعالى - وأن يتوجه بها إليه؛ طاعة
لله، وعبادة وامثالاً لأمره، وتطلبا لمثوبته، بمقدار
إخلاصه فى نيته.

وفى مناسبة هذا الحديث : حكى أنه فى أثناء
هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة فرارا بدينهم،
وهربا من الفتنة، كانت فيهم امرأة تدعى «أم
قيس» تقدم رجل من أهل مكة يخطبها، فتأبى
عليه، إلا أن يهاجر.. فهاجر من أجل إرضائها،
هجرة ظاهرها أنه يفر بدينه ويهرب من فتنة
الكفر، بينما هو يضمّر فى نفسه الهجرة إلى «أم
قيس» هذه، فلما علم الرسول ﷺ بهذا الأمر قام

الطاعات مرتبطة بالنيات في أصل صحتها بعيدا عن الرياء

اليدين، وكالاغتسال بمصادفة السباحة في النهر، أو لإنقاذ شخص يشرف على الغرق، وعند الحنفية أن هذه الأعمال - إذا لم تكن مقصودة لذاتها - تصح بدون النية ولا تحتاج إليها فهذا الوضوء وضوء وليس صورة وضوء، وهذا الاغتسال اغتسال وليس صورة اغتسال، وإلى رأيهم أميل.

أما الأعمال المقصودة لذاتها فهناك اتفاق على ضرورة احضار النية فيها، كالصلوات المفروضة، والزكاة، والحج، وصيام شهر رمضان.

والنية عنصر وسيط بين الإدراك والممارسة، فالعبد - أولا - يدرك الشيء وتكون له به معرفة وعلم، ثم ينويه ويريده ويقصد إليه، ثم يقدر على فعله ويباشر إيجاده أو تركه.

يقول الإمام «أبو حامد الغزالي»^(٢): اعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد، وهو حالة وصفة للقلب، يكتنفها أمران: علم، وعمل، والعلم يقدمه لأنه أصله وشرطه، والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه؛ وذلك لأن كل عمل - أعنى كل حركة وسكون - أمر اختياري، فإنه لا يتم إلا بثلاثة وسائل، علم، وإرادة، وقدرة، إذ أنه لا يريد الإنسان شيئا لا يعلمه، فلا بد أن يعلم، ولا يعمل ما ليس يريده، فلا بد من إرادة ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقا للغرض، إما في الحال وإما في المآل، فلقد خلق الإنسان بحيث

يصح عمل من الأعمال الشرعية إلا إذا كان مصحوبا بالنية. والنية في أصلها وحقيقتها عزمة من عزمات القلب، وليست ترجمتها إلى ألفاظ يلوها اللسان، شرطا لتحقيقها، وإن كانت الترجمة اللسانية لا تفسدها. ويكون استحضارها حال العمل مدرجة لثوابها إذا قصد بها وبالعقل رضا الله وثوابه ورحمته، وإذا على كل من أراد شيئا من الطاعات والقربات - وإن قل - أن يحضر نيته، قاصدا الطاعة والقربة، ويدخل في هذا جميع العبادات^(١): من وضوء وتيمم وصلاة وصوم واعتكاف وحج وعمرة وصدقة، إلى عيادة مريض، واتباع جنازة، وابتداء بالسلام، ورد السلام، وتشميت العاطس، وإنكار المنكر، والأمر بالمعروف، وإجابة الدعوة، وحضور مجالس العلم، والقرآن، والأذكار، والنفقة على الأهل، وإكرام الضيف، والجار، وذوى الأرحام.. الخ... الخ. وما أشبه من كل قول أو عمل قصد به وجه الله وطاعته، أو التقوى على طاعته والتشيط لها، وكذلك منه: إفضاء الزوج إلى زوجته قصد أداء الواجب الأسري، والصيانة من الحرام، وتحصيل ولد صالح يدعو الله على شريعة الإسلام.

ولقد توجد الأعمال من غير نية، أو توجد غير مصحوبة بنية، وعند الجمهور أن هذه الأعمال لا تقيم طاعة، ومن أمثلتها ما يفعله العبد على سبيل العادة، كالوضوء في مناسبة غسل الوجه أو

يؤادعه بعض الأمور ويلائم غرضه، ويخالفه بعض الأمور، فهو يحتاج إلى جلب الملائم الموافق إلى نفسه، فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك للشئ المضر والنافع، حتى يجلب هذا ويهرب من ذلك، فإن من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناوله، ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها، فخلق الله للعبد الهداية والمعرفة، وجعل لها أسبابا هي الحواس الظاهرة والباطنة، ثم لو أبصر الغذاء وعرف أنه موافق له لا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه، إذ المريض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه تناول لعدم الرغبة والميل، ولفقد الداعية المحركة إليه، فخلق الله - تعالى - له الميل والرغبة والإرادة، وأعنى بهذا نزوعا في نفسه إليه، وتوجها في قلبه إليه. ثم ذلك كله لا يكفيه، فكم من مشاهد طعام راغب فيه مشتهٍ تناوله لكنه عاجز عنه لكونه زَمَنًا، فخلقت له القدرة والأعضاء المحركة، حتى يتم له تناول، والعضو لا يتحرك إلا بالقدرة، والمقدرة تنتظر الداعية الباعثة، وهذه الداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد، وهو أن يقوى في نفسه كون الشئ موافقا له، فإذا جزمت المعرفة بأن الشئ موافق ولا بد أن يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف، انبعثت الإرادة وتحقق الميل، فإذا انبعثت الإرادة انتهضت القدرة لتحريك الأعضاء، وحينئذ تكون القدرة خادمة للإرادة وأداة لها. والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة، فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة، وهي الإرادة وانبعثت النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق

للغرض، إما في الحال، وإما في المآل. وجعل بعضهم للنية سبعة مباحث، نظمها على طريقتهم في نظم العلوم، فقال:

حقيقة، حكم، محل، وزمن، كيفية، شرط، ومقصود حسن

فحقيقتها: هي الحقيقة الشرعية، وهي قصد الشئ، مقترنا بفعله.

وحكمها: هو الوجوب.

ومحلها: هو القلب.

وزمنها: أول العمل المقصود.

وكيفيتها: لم يحددها، وتركها للناوي.

وشرطها: إسلام الناوي، وتمييزه، وأن يكون المنوي من مكتسباته.

ومقصودها: إما تمييز العبادات من العادات، سواء اختلفتا في الشكل أم اتفقتا، وهذا كالاغتسال، قد يكون عبادة، وقد يكون عادة - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - وقد يكون المقصود تمييز رتب العبادات، كالاغتسال قد يكون واجبا وقد يكون سنة، وقد يكون المقصود تمييز العادات، كالاغتسال يكون لمجرد النظافة، وقد يكون لما هو فوق النظافة كالتخلص من الرائحة المؤذية للناس قرينة به وطاعة.

والأعمال ثلاثة أقسام: طاعات، ومباحات، ومعاص (٣):

من هاجر إلى الله ورسوله فهجرته هي الهجرة الربانية الدينية

أما المعاصي: فإنها لا تتغير بالنية عن موضعها أو صفتها، فلا تتقلب طاعة بالنية أبداً. كالذي يغتاب إنساناً بنية الرياء إلى غيره، وكذلك يطعم فقيراً أو مسكيناً من مال غيره، أو يبني مسجداً بمال حرام وإن قصد الخير من ذلك، فإن قصد الخير بالشر يأتي على خلاف مقتضى الشرع، وإن جهل العاصي ذلك فهو عاص بجهله، ولا يُعذر فيما قصد إليه من الخير بمعصية عن جهل، إلا إذا كان قريب عهد بالإسلام.

ويقول الرسول ﷺ في الحديث: «**إنما لكل امرئ ما نوى**»، ومعناه: إن لكل امرئ جزء نيته، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وجاءت هذه العبارة من حديث الرسول الكريم ﷺ تنمة للعبارة السابقة: «**إنما الأعمال بالنيات**» وتقريراً لها، وتشبيهاً لأمر النية وضرورة حضورها والتوجه إلى الله بها عبادة وقربى، وكلتا العبادتين تؤسس لضرورة حضور النية في العمل - كل عمل مقصود به القربى والطاعة.

وفضلاً على ذلك: لا يجوز أداء طاعة بنية طاعة أخرى، فلا تصح - مثلاً - صلاة الظهر بنية صلاة العصر، ولا صلاة العصر بنية صلاة الظهر. وكذلك: يباشر العبد نيته بنفسه، ولا يقيم وكيلاً عنه. وقد تسامح بعضهم في إقامة الوكيل في النية مع قدرة الموكل عليها في تفريق الزكاة

فالمطاعات: مرتبطة بالنيات في أصل صحتها، وفي تضاعف فضلها، وأصل صحتها أن ينوى بها العبد عبادة الله - تعالى - لا غير. فإن نوى الرياء بها صارت الطاعة معصية، وإنما يكون تضاعف فضل الطاعة بكثرة النيات الحسنة فيها. والطاعة الواحدة يمكن أن ينوى العبد بها خيرات كثيرة، فيكون له بكل نية ثواب أو أكثر من ثواب، ومثلاً لذلك: القعود في المسجد، فإنه وحده طاعة، ويمكن أن تتوى فيه نيات كثيرة، حتى يصير من فضائل أعمال المتقين، وتبلغ به درجات المقربين، كأن تعدت نفسك في المسجد زائراً لله، أو مرابطاً في انتظار الصلاة، أو متجرداً لذكر الله، أو لاستماع ذكره، أو تاركاً للشواغل الصارفة عن ذكره، أو معتكفاً لسُؤيَّات.

والمباحات: يمكن بالنية أن تكون من محاسن القربات، وتقال بها أعلى الدرجات، ولا ينبغي أن يحقر العبد شيئاً من الخطرات، أو الخطوات، أو اللحظات؛ فإن كل أولئك مسئول عنه العبد يوم القيامة. والمباحات كثيرة، ولا يمكن إحصاء النيات فيها. ويقول أحد العارفين: إنني استحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكل، وشرب، ونومي؛ تقرباً بذلك إلى الله تعالى؛ لأن كل ما هو سبب لبقاء بدني وفراغ قلبي هو من مهمات الجسد، وهو في النهاية معين لي على أمر الدين.

والصدقات وفى ذبح الأضحية بمقولة: أن العبد صاحب نية أصل التزكية والتضحية، فتكون نية الوكيل مؤسسة على نية المزكى والمضحى، وهو رأى وجيه.

ويجب أن نعلم أن النية خير من العمل. يؤيد هذا حديث الرسول ﷺ: «نية المؤمن خير من عمله». رواه الطبرانى - والسر فى ترجيح النية على العمل أن كل طاعة تتنظم بنية وعمل، والنية من جملة الخيرات، وكذلك العمل من جملة الخيرات، ولكل منهما أثر فى المقصود، ولكن أثر النية أكثر من أثر العمل، فهما اثنان، والنية خيرهما، وفى هذا يقال أيضا: إن أجر النية خير من أجر العمل بلا نية، ويقال: إن النية المجردة خير من العمل المجرد عن النية، وقيل: إن النية تمتد فى الزمان آمادا بعيدة كأن ينوى العبد أن يعبد الله لو عاش ألف سنة أما عمله فلا يبلغ ذلك. وقيل النية سر والعمل ظاهر، والسر لا يطلع عليه إلا الله ولهذا فضلت النية.

وقيل: النية تدوم إلى نهاية العمل والأعمال لا تدوم.

ويروى عن رسول الله ﷺ قوله: «إن العبد ليعمل أعمالا حسنة، فتصعد الملائكة فى صحف مختمة، فتلقى بين يدى الله - تعالى - فيقول - سبحانه: ألقوا هذه الصحيفة، فإنه لم يرد بما فيها وجهى. ثم ينادى الملائكة: اكتبوا له كذا وكذا، اكتبوا له كذا وكذا، فيقولون: إنه لم يعمل شيئا من ذلك، فيقول الله - تعالى - : إنه نواه» رواه

الدارقطنى - وفى بعض الأخبار: أن العبد يدفع إليه يوم القيامة كتابه، فيأخذه بيمينه، فيجد فيه حجاً وجهادا وصدقة ما فعلها، فيقول: ياربى، ليس هذا كتابى: لأنى ما فعلت شيئا مما فيه، فينادى: بل هذا كتابك؛ لأنك عشت دهرًا وأنت تقول: لو كان لى مال حججت منه، لو كان لى ما أحمل عليه جاهدت، لو كان لى مال تصدقت به. وفى حديث «أنس بن مالك» رضى الله عنه: لما خرج رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك قال: «إن بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا، ولا وطئنا موطنًا يغيظ الكفار، ولا أنفقنا نفقة، ولا أصبنا مخصصة، إلا شاركونا فى ذلك وهم بالمدينة». قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا؟ قال: «حبسهم العذر وما شاركونا إلا بحسن النية». وفى حديث أبى بكر: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقتتل المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار». قيل: يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «لأنه أراد قتل صاحبه». وفى حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله - تعالى - كتب الحسنات والسيئات، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعلها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة». ومن هذا كله نتبين أن النية عماد العمل، وأن العمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيرا، وأن النية فى ذاتها خير. قال «بلال بن سعد»^(٤): إن العبد ليقول قول مؤمن، فلا يدعه الله - عز وجل - وقوله، حتى ينظر فى عمله، فإن عمل لم يدعه الله حتى ينظر فى ورعه، فإن تورع لم يدعه

النية عنصر وسيط بين الإدراك والممارسة

حتى ينظر ماذا نوى، فإن صلحت نيته فبالحرى أن يصلح ما دون ذلك. وعن بعض السلف: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية. وأقول: أنت بخير كلما نويت خيرا، فانوَ الخير ترشد إن شاء الله.

واعلم أن العمل بغير نية عناء، وأن النية بغير إخلاص رياء، وأن الإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء. والناس هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم. والإخلاص أن تكون سكنات العبد وحركاته لله - تعالى - خاصة، لا يريد بها إلا وجهه الكريم. وهذا غير متصور إلا ممن يحب الله، بحيث لم يبق فى قلبه قرار للحظوظ الدنيوية، حتى إنه لا يشتهى الطعام - كمثال - لأنه طعام، بل لأنه يقويه على عبادة الله، ويتمنى أن لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل، فلا يبقى فى قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة، ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده، لأنه ضرورة دينه، فلا يكون له هم إلا الله. وعلاج الإخلاص: يكون بكسر حظوظ النفس، وقطع الطمع عن الدنيا، والتجرد للآخرة؛ بحيث يغلب ذاك على القلب، فإذا ذاك يتيسر الإخلاص بإذن الله.

وقال رسول الله ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت

هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». وتقديرها: فمن هاجر إلى الله ورسوله فهجرته هى الهجرة الربانية الدنيوية العظيمة المقبولة، ومن هاجر إلى الدنيا فهجرته هى الهجرة الدنيوية الحقيرة المرفوضة. وتقديرها أيضا: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته إلى الله ورسوله حكما وشرعا، أو فهجرته إلى الله ورسوله أجرا وثوابا، ومن كانت هجرته إلى الدنيا نية وقصدا فهجرته إلى الدنيا حكما وهوى، أو فهجرته إلى دنياه مكافأة ونصابا.

وأيا كان الأمر ففى الهجرة معنى التوجه، فمن توجه إلى الخير وجده عنده، ووجد الله عنده، ومن توجه إلى ما سوى الخير حجب الخير عن نفسه، ومكن للشيطان فى قلبه، وعبد له مساكن، ولا يستوى الخبيث والطيب، وقد قال الله - سبحانه: «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون» سورة الجاثية: الآية ٢١.

فالذين رشدوا تتعلق بالله أفئدتهم وتطمئن إلى ما عنده نفوسهم، فيرضون عن الله، ويرضى الله عنهم. أما الذين لم يرشدوا فيتعلقون بالدنيا، ويحجون إليها، ويجعلونها همهم، فيأخذونها، وليسوا بأخذين منها إلا حطاما فانيا وشهوة عاجلة. وإذا كانت الحنيفية السمحاء تحض على

ابتغاء الآخرة، فإنها - في الوقت نفسه - لا تمنع من طلب الدنيا، لا لذاتها، بل للاستعانة بها على الطاعة والعبادة، ويقول الله تعالى - فيما حكاه القرآن على لسان قوم قارون: «لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة. ولا تنس نصيبك من الدنيا. وأحسن كما أحسن الله إليك. ولا تبغ الفساد في الأرض. إن الله لا يحب المفسدين». سورة القصص: الآيتان ٧٦، ٧٧.

واعلم أن نيات الناس في الطاعات درجات ومراتب، فمنهم من يطيع الله حبا في الله، وتكون سائر أعماله مؤكدات وروادف. ومنهم من يطيع الله لباعث الرجاء عنده وهو حب الجنة، ومنهم من يطيعه لباعث الخوف وهو اتقاء النار، والأولون أرفع درجة ورتبة وأعظم أجرا؛ لأنهم لم يقصدوا إلا طاعة الله وتعظيمه لذاته وجلاله فحسب، ومن عداهم أقل من الأولين شأنًا، ولكن نياتهم من جملة النيات الصحيحة، إذ مالوا إلى الموعد لأمثالهم من الجنة والرضوان، ورغبوا عن عذاب الله ومقته^(٥).

وقد اتفق الأئمة على أن هذا الحديث - حديث الهجرة - واحدٌ من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، وجملتها تسعة وعشرون حديثًا - ساقها «الإمام النووي» في (بستان العارفين). وعد بعض الأئمة هذا الحديث نصف العلم؛ لأنه يجمع أعمال القلب والطاعة المتعلقة به وعليه مدارها، وهي تقابل أعمال الجوارح، فكانت نصف الأعمال، فكان الحديث نصف العلم، بل زاد على هذا

النصف، لأن أعمال القلب أعظم شأنًا. وقيل: لأن النية عبودية القلب، والعمل عبودية القلب، وهما نصفان. وقيل: العمل ظاهر الدين، والنية باطنه، وهما نصفان أيضا.

وعده بعض الأئمة ثلث العلم، قالوا: لأن كسب العبد بقلبه أو بلسانه، أو بجوارحه، فالنية إحدى الثلاثة وأرجحها أيضا؛ لأن اللسان والجوارح تابعة للقلب صحة وفسادا. وقيل: لأن الأحكام تدور على هذا الحديث، وعلى حديث: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ». رواه البخاري ومسلم - وعلى حديث «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه. ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه. ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله. ألا وهي القلب» - رواه الشيخان - والله ورسوله أعلم.

الهوامش

(١) الإمام النووي في بستان العارفين.

(٢) إحياء علوم الدين - آداب النية والإخلاص والصدق.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين - الموضع السابق.

(٤) إحياء علوم الدين - الموضع السابق.

(٥) إحياء علوم الدين - الموضع السابق.

المنهج النبوي والتغيير الحضاري

عرض : فتحي الإيباري

للباحث الجزائري برغوث عبد العزيز مبارك

النهضة والتقدم.. ألا وهى قيم العلم النافع، والعمل المنتج، والحرية المسؤولة التى تشجع الإبداع وتطلق المواهب. وتجعل العقول والأفئدة مفتوحة، لتعدد الآراء، وتنوع الرؤى، وتحض على احترام حقوق الآخرين.

انطلاقاً من الإيمان بأن تعدد الآراء، وتباين الرؤى هما من سنن الله سبحانه وتعالى فى الكون، فكما قال تعالى: ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات﴾ سورة المائدة: آية ٤٨.

ولذلك تقوم رؤية الكاتب والباحث الجزائري «برغوث عبد العزيز مبارك» فى كتابه «المنهج النبوي والتغيير الحضاري» والذي يرى فيه أننا فى أشد الحاجة من أى وقت مضى إلى اللجوء إلى المنهج النبوي، والاحتماء والتشبث به خوفاً من الاقتلاع والضياغ، وحتى تتصدى الأمة الإسلامية والعربية للتحدي.. ضد الهيمنة الأمريكية، والمخططات الصهيونية.

إن الباحث برغوث عبد العزيز مبارك من مواليد رأس العين ولاية باتنة بالجزائر حصل على دراسات

.. فى كلمات عظيمة أكد الرئيس حسنى مبارك فى خطابه الهام للأمة العربية والإسلامية.. أننا فى حاجة إلى مراجعة أنفسنا وأحوالنا حتى نحدد لأنفسنا وأوطاننا معالم الطريق إلى المستقبل. وحتى نحدد موقفنا بين الأمم التى تتسابق اليوم بكل ما أوتيت من قوة للوصول إلى مواقع الريادة، والتفوق، وهم مسلحون بالعلم، والقدرة على الإبداع.

وقال.. لن يستطيع المسلمون أن يحملوا أمانة الإسلام، إلا إذا بدأوا بأنفسهم، فأخذوا بأخلاق الإسلام وقيمه ومبادئه، والا إذا رأى الناس فيهم ترجمة أمينة وصادقة لكل ما تنطق به آيات القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ وسيرته المباركة. ولذا كانت الخطوة الأولى للدعوة إلى الإسلام فى هذا العصر، هى إصلاح النفس، وإصلاح مجتمع المسلمين، وإحياء القيم والمبادئ الإسلامية، التى تفتح الطريق إلى

كتابه إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة تناول في الفصل الأول الإطار المنهجي العام الذي يجب أن يدرس فيه المنهج النبوي مركزاً على أهمية النظرة الكلية إلى السنة النبوية وإلى طبيعتها الحضارية أما الفصل الثاني فقد خصص لمعالجة قدرة المنهج النبوي على فهم واستيعاب الظاهرة التغيرية في العصر العالمي.

وأثار الكاتب في الفصل الثالث قضية من أهم قضايا الفكر الإسلامي وهي المنهج النبوي وقدرته على تركيب حضارة في العصر العالمي وهنا تطرق التحليل إلى بعض القوانين التي تحكم التغيير الاجتماعي ومنها قوانين التوجيه وفلسفة الانطلاق والثقافة.

إن المنهج النبوي الذي اعتبرناه مدخلاً أساسياً لأى بناء حضارى يقوم على أساس «النظام التوحيدي القرآني» ويساهم في تحديد المفتاح المدخلى للبناء الحضارى الجديد.

إذ من المعروف في علم الاجتماع التغيري أن حل أى مشكلة تواجه المجتمع مهما كان نوعها «ثقافية أو تاريخية أو حضارية». مشروط بفقه هذه المشكلة في تركيبها الواقعي وتشكيلها الاجتماعي أى هي في حياة الناس قال رسول الله ﷺ:

«يوشك أن تداعى الأمم عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها».

قال الصحابة: أو من قلة يومئذ يا رسول الله؟ يقول الرسول ﷺ: لا بل أنتم كثير ولكم غناء كفاء السيل ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن.

علينا في علوم الوحي والعلوم الإنسانية وشارك في العديد من الدراسات المنهجية في الصحف والمجلات، وله دراسات حول أفكار ابن خلدون ومالك بن نبي وعمل محاضرات في الجامعة الجزائرية في قضايا الاقتصاد والحضارة.

وقد تكون الحاجة اليوم أشد من أى وقت مضى وقد اشتدت الفتن وكثر الغناء والادعاء الثقافي وشاع مناخ التضليل والضلال وتقطيع الرؤية الإسلامية لإيجاد المسوغات للسقوط الحضارى.

قد تكون الحاجة اليوم أشد من أى وقت مضى إلى اللجوء إلى المنهج النبوي والاحتماء والتشبث به خوفاً من الاقتلاع والضياع.

إن العودة إلى بعض مراحل السيرة فيما قبل مرحلة الاكتمال والكمال للمجتمع والقدوة ومحاولة الاستضاءة بها لحل المشكلات المتشابهة من واقع المجتمع فإذا كان المنهج المقصود هو نظام مسيرة الحياة في هذه الدنيا والأهداف هي سعادة الإنسان وكرامته وحياته الطيبة في الدنيا والآخرة وما يتطلب من الوسائل التربوية والأوامر والنواهي لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ (المائدة: الآية ٤٨).

وهنا نقول إن الأزمة التي نعاني منها ليست أزمة منهج وإنما أزمة فهم للمنهج فالإسلام بمصدره الكتاب والسنة والسيرة كتنزيل عملي وانموذج هو المنهج وقد قسم الباحث برغوث عبد العزيز بن مبارك

قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟

قال الرسول ﷺ «حب الدنيا وكراهية الموت!!»
(صحيح أبي داود للألباني).

ويرى الباحث أن الحديث النبوي الشريف يعتبر من
المدخل الأساسية التي يمكننا أن تعيننا على الانطلاق
في التغيير الحضاري الراهن للعالم.

فهذا الحديث يحدثنا عن أمم متنوعة سوف
تتكالب على أمتنا وهذا هو واقعنا اليوم وهذا التداعي
يكون في سياق التدافع الاجتماعي بين النموذج
الإسلامي والنماذج الأجنبية الأخرى. ويقدم الرسول
ﷺ العلة الحقيقية للظاهرة المرضية مرجعا إياها إلى
مصدرين أساسيين هما:

أولاً: التحولات الجارية في نفسية الأعداء أي
المجتمعات والثقافات التي تعادى الإسلام قديما
وحديثا والتي سعت وتسعى إلى إنهاء الوجود
الحضاري للإسلام كما قال الرسول الكريم:

«ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم».

ثانياً: التغييرات الجارية في نفسية الأمة «فردا
ومجتمعا» بحيث أصيبت هذه النفسية «بمركب الوهن»
الذي أرجعه النبي ﷺ إلى فاجعة العصور والدهور
ومعضلة النفوس والعقول وآفة الحضارات والثقافات
وهي «حب الدنيا وكراهية الموت».

يارب. إننا أمة أغفّت وهبت ثانية

وجموعنا وحشودنا تدعوك ربى

•• ويستمر الباحث في كتابه «المنهج النبوي
والتغيير الحضاري».

في سرد السنة النبوية وكيف أنها مصدر للثقافة

الإسلامية وأن المنهج النبوي يواجه قضية تركيب
حضارة وبناء ومجتمع انطلاقا من واقع معين ومثال
لذلك عندما أجاب جعفر بن أبي طالب النجاشي
قائلاً:

«كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة
ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار...».

فهذه هي مجموعة الموارث المعطلة للطاقة البشرية
ثم واصل كلمته قائلاً:

«فدعانا رسول الله ﷺ إلى الله لنوحده ونعبد
ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه... وهذه هي
مجموعة الأهداف والمبررات الجديدة التي تمثل
مصدر الطاقة الحيوية الجديدة ثم يضيف قائلاً:

«فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله
فعبدنا الله وحده فلم نشرك وحرمنا ما حرم الله
وأحللنا ما أحل».

•• فالدلالة واضحة هنا على تمام عمليات الربط
الحضاري بشكل مستوف للشروط وذلك على صعيد
العينات الفردية التي ستتحول فيما بعد إلى مجتمع
حضاري هو «مجتمع المدينة».

•• وعز من قائل «لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة». سورة الأحزاب: آية ٢١.

وسوف ينصرنا الله سبحانه وتعالى على الهيمنة
الأجنبية، والمخططات الصهيونية، إذا ما استمسكنا
بالمنهج النبوي الشريف، وبالقرآن الكريم. «إن تنصروا
الله ينصركم ويثبت أقدامكم». سورة محمد: آية ٧.

الحرب النفسية ووعي المواطنين

لواء: محمد جمال الدين محفوظ

المعروف أن الإيجابية في العمل وروح الإبداع والابتكار، وأن السلبية واليأس، والهزيمة والاستسلام هي كلها «حالات عقلية» تنشأ في عقل الإنسان تحت ظروف معينة، فتولد لديه «الدوافع النفسية» التي تدفعه نحو السلوك الذي يعبر عن تلك الحالات. وفي مجال الصراع بين الأمم، فإن كل جانب يحرص على أن ينشئ في خصمه «الحالة العقلية» التي تحقق له أهدافه، وهنا يأتي دور «الحرب النفسية» أو «الدعاية» التي يجمع الخبراء على أنها أقوى أسلحة الصراع وأخطرها:

١ - فالحرب بالسلح : تستطيع أن تدمر القوات المقاتلة ومعداتها.

٢ - والحرب الاقتصادية : تحرم الخصم من الموارد الحيوية.

٣ - أما الحرب النفسية : فهي تفعل ما هو أخطر وأعمق أثرا، إنها تُجرّد الإنسان من «أثمن» ما لديه وهو «إرادته وروحه المعنوية»، فالإنسان هو «العنصر الحاسم في بناء أمته والدفاع عنها».

٤ - وإذا كانت الحرب بالسلح تستأثر بالاهتمام والانتباه لما يصاحبها من قفعة وضجيج على الصعيدين المحلي والعالمي، إلا أنه لا ينبغي أن تغفل الأمة عن الحرب النفسية أو تقلل من شأنها، لأن القتال له نهاية يوما ما، أما الحرب النفسية فليس لها نهاية، بل هي «مستمرة» في السلم والحرب على حد سواء.

٥ - ويمكن القول أن الإنسان في هذا العصر «يتنفس» الدعاية والحرب النفسية كما يتنفس الهواء مع فارق كبير بين الحالين، فهو حين يتنفس الهواء «يأخذ ما ينفعه» (الأوكسجين) «ويلفظ ما يضره»

وهو (ثاني أكسيد الكربون)، أما حين يتنفس الدعاية والحرب النفسية، فهو لا يستطيع أن يفعل ذلك في أغلب الأحوال، وقد يتعرض للإصابة «بالعلة العصبية والنفسية» التي قد تدمر فيه الإرادة والإيجابية وقوته المعنوية «تدميرا تاما»، وذلك ما يعبر عنه قول القائد الألماني روميل: «إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم»، وقول تشرشل: «كثيرا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ» ويروى التاريخ أن كثيرا من الأمم استسلمت لأعدائها في الحرب قبل أن تطلق طلقة واحدة نتيجة لشدة الحرب النفسية التي واجهتها.

ماهية الحرب النفسية وأهدافها:

تعرف الحرب النفسية بأنها: «هي الاستخدام المخطط للدعاية^(١) أو ما ينتمى إليها من الإجراءات الموجهة إلى الدول المعادية أو المحايدة أو الصديقة بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة (التي توجهها) أهدافها. ونستخلص من هذا التعريف مايلي:

١ - أن الحرب النفسية لا توجه إلى الدول المعادية فحسب بل توجه أيضا إلى الدول المحايدة والصديقة، ولعل هذا هو ما جعل الخبراء يفضلون لفظ الدعاية بدلا من الحرب النفسية.

٢ - أن أهداف الدعاية تختلف باختلاف وضع الدولة في العلاقات الدولية، فإذا كانت الدولة معادية كان الهدف تحطيم الروح المعنوية وإرادة القتال وتوجيهها نحو الاستسلام والهزيمة، وإذا كانت محايدة كان الهدف توجيهها نحو الانحياز للدولة الموجهة أو التعاطف معها، أو على الأقل إبقائها في وضع الحياد ومنعها من الإنحياز إلى الجانب الآخر، وإذا كانت الدولة صديقة كان الهدف توجيهها نحو تدعيم أو اصر الصداقة ونحو المزيد من التعاون والتأييد.

٣ - المقصود من «الإجراءات» التي تنتمى إلى الدعاية كما ورد في التعريف هو الأعمال التي تنطوي على التهديد والتخويف ومن ذلك تحريك الأساطيل والمناورات الحربية وإعلان التعبئة الجزئية للقوات وغير ذلك.

الصور والأساليب :

وثمة عدة صور وأساليب للدعاية والحرب النفسية نذكر منها ما يلي :

١ - الكلمة المسموعة أو المقروءة أو المرئية التي نجدها في الكتب والصحف والمنشورات والإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح وغيرها.

٢ - الشائعات وهي أخبار «مشكوك في صحتها»، ويتعذر «التحقق من أصلها أو مصدرها»، وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجهة إليهم، ويؤدي «تصديقهم لها» إلى تحقيق الهدف منها.

٣ - الخداع عن طريق الحيل والإيهام.

٤ - الإغراء والتضليل والوعد لاستدراج الجانب

الآخر لتغيير موقفه.

٥ - الضغط النفسي من خلال إظهار القوة كتحريك الأساطيل والمناورات كما ذكرنا.

ألوان الحرب النفسية :

ومن المفيد أن نعرف أن جهد الحرب النفسية أو الدعاية يوجه في ثلاثة ألوان جرى العرف على تسميتها بحسب مصدرها بالأسماء الآتية :

١ - الدعاية البيضاء (أو الصريحة).

وهي نشاط الدعاية المعلن والصريح الذي يحمل إسم الدولة التي توجهه مثل الإذاعة الرسمية ووكالات الأنباء والتصريحات الرسمية.

٢ - الدعاية الرمادية (أو غير المحددة).

وهي الدعاية واضحة المصدر ولكنها تخفى إلتجهاثاتها ونواياها وأهدافها، أي التي تدعو إلى ما تريد بطريق غير مباشر، كالكتاب الذي يحتوى على رواية أدبية، لكنه يدعو - بين السطور - وبطريق غير مباشر إلى إعتناق مذهب سياسى معين أو التعاطف معه.

(٣) الدعاية السوداء (أو المستترة).

وهي الدعاية التي لا تكشف مطلقا عن مصدرها، فهي عملية سرية تماما ومن أمثلتها الصحف السرية والمنشورات السرية والإذاعات السرية، والخطابات التي ترسل إلى المسؤولين غفلا من التوقيع أو باسم أشخاص مجهولين أو منظمات وهمية أو سرية، وتستطيع الدولة التي توجهها أن تنكر علمها بها أو مسئوليتها عنها.

الرمادية أخطر ألوان الدعاية :

وتكشف لنا المقارنة بين تلك الألوان الثلاثة للدعاية عن أن الدعاية الرمادية أخطرهما على الإطلاق، فالإنسان يستطيع بقليل من «الوعى والفطنة» أن يكشف بسرعة ما وراء الدعاية البيضاء

والسوداء، أما الدعاية الرمادية فهو «يتجرعها» قبل أن يتكشف أهدافها، ويتعرض لتأثيرها دون أن يشعر لأنها «تتسلل» إلى عقله مستترة وراء «أمر ظاهري لا غبار عليه»، أي أنه «يتناول السم في العسل».

والمعروف أن حملات الدعاية تضم عادة تلك الألوان الثلاثة، لكننا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن الدعاية الرمادية تحظى بالنسبة الأكبر، وأنها هي الأكثر استعمالاً والأوسع انتشاراً، وفي ذلك تأكيد لكونها أقوى أثراً.

خذوا حذرکم

فعلى الأمة الإسلامية أن تتنبه إلى تلك الحقائق بكل الوعي والفتنة وخاصة في هذا العصر التي تقدمت فيه وسائل الإعلام والنشر والاتصال إلى الحد الذي انعدمت فيه الفواصل والمسافات بين أجزاء العالم.. وإذا كانت الدولة تستطيع أن تغلق حدودها وتسد المنافذ التي تؤدي إلى داخلها، وإذا كان المواطن يستطيع أن يغلق على نفسه باب داره، ونوافذها، فلا الدولة ولا المواطنون بمستطيعين أن يمنعوا أجواءهم من حمل ونشر ما تبثه موجات الأثير من صور الدعاية المختلفة التي تتسلل إلى وجداننا.

وقد نشاهد حلقة أجنبية تحكي قصة «بوليسية» لعملية سطو على أحد البنوك تتلوها مطاردة الشرطة لعصابة اللصوص الذين فروا بغنيمتهم حتى يتم القبض عليهم. إنها - لأول وهلة - قصة عادية تنطوي على كثير من التشويق للمشاهدين، لكنها «تنطوي على عدة سموم» تنفثها في نفوسهم نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

١ - التشجيع على الجريمة والإرشاد إلى وسائلها، ولعلنا سمعنا وقرأنا عن الشباب الذين اقترفوا الجرائم

بعد مشاهدتهم لمثل تلك الحلقات أو الأفلام.

٢ - تعميق الشعور بالإحباط وغرس الإحساس بالتدنى وتنمية عقدة النقص في قلوب أبنائنا في مواجهة «تفوق» الدول الأجنبية العلمية أو التقني وذلك من خلال ما يشاهده المتفرج من صور التقدم والتطور في إجراء الاتصالات وفي شبكات الطرق والحسابات الالكترونية والإسعاف إلى غير ذلك مما ساعد على القبض على المجرمين بسرعة فائقة.

وعلى المواطنين

والحق أن الإسلام «يسد منافذ الحرب النفسية» ويرشدنا إلى أساليب «تحصين» المسلمين ضدها ويوضح أن «معرفتهم» بأهدافها وأساليبها هي خير عاصم من الوقوع في براثنها، كما يرشدنا إلى اتخاذ أقوى الإجراءات الفعالة في مواجهة أعداء الأمة من القوى المضادة التي تعمل في الخفاء والتي يكون خطرها - إذا غفلت عنها الأمة أو لم تتصد لها - أفدح بكثير من خطر العدو الظاهر، وهذا ما يفهم بوضوح من قول الله تعالى : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم» (الأنفال ٦٠).. وقد فسر السابقون الفئة الثالثة (آخرين من دونهم) بالمنافقين الذين يلبسون ثوبا ظاهرا الرحمة وباطنة العذاب، إلا أنها تنطوي بلغة العصر على القوى المضادة التي تنفث سمومها في الخفاء بأساليب الحرب النفسية.. وقد كشف الرسول ﷺ عنها حين قال : «من شر الناس ذو الوجهين، يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه» (متفق عليه)، وقد حذرنا الله جل شأنه منهم فقال : «.. يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون» (المنافقون ٤).

(١) الدعاية : أو «البروباجاندا» يتضح مفهومها الصحيح من كونها مشتقة في الأصل اليوناني من كلمة Propago اللاتينية ومعناها حرقيا : «كل ما ينبغي نشره».

مفهوم وحدة الأمة الإسلامية من خلال القرآن والسنة

د. محمود حمدي زقزوق

محاضرة أقيمت في إطار

الموسم الثقافي للأزهر الشريف

بقاعة الإمام محمد عبده

مفهوم وحدة الأمة الإسلامية من خلال القرآن والسنة

د. محمود حمدي زقزوق

ينقسم بحثنا حول « مفهوم وحدة الأمة الإسلامية من خلال القرآن والسنة » إلى قسمين، نتحدث في القسم الأول منهما عن بعض النقاط التمهيدية والمقدمات العامة التي نهدف بها للقسم الثاني الذي نتناول فيه المقومات الأساسية والأبعاد المختلفة لوحدة الأمة الإسلامية، وذلك في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم نختم حديثنا بالإشارة إلى بعض المخاطر التي تهدد وحدة الأمة الإسلامية ونتناول في هذا الصدد أيضا واقع الأمة الإسلامية وآفاق المستقبل.

القسم الأول: مقدمات عامة

١ - مفهوم الأمة الواحدة في القرآن:

إذا بحثنا عن كلمة وحدة في المعاجم فسنجد أن الوحدة (بفتح الواو) تعني الانفراد، تقول: رأيتُه وحده أى منفردا، ووحدَه توحيدا جعله واحدا، ورجل متوحد أى منفرد، ولابن باجة الفيلسوف كتاب بعنوان: «تدبير المتوحد» والتوحيد الإيمان بالله وحده، والمسلمون موحدون لأنهم أفردوا الله بالعبادة دون غيره، وتوحد الله إنسانا بعصمته أى عصمه ولم يكله إلى غيره (١).

والملاحظ أن كلمة الوحدة مضافة إلى الأمة أى وحدة الأمة لم ترد في القرآن الكريم، ولكن ورد وصف الأمة بأنها واحدة، فالتركيز في القرآن قد جاء - إذن - على مفهوم الأمة التي توصف بأنها أمة واحدة، وليس على مفهوم الوحدة التي تضاف إلى الأمة. وهذا يعنى أن الأمة الواحدة هي الأصل، أما مسألة توحيد الأمة ووحدها فقد كانت متأخرة في الزمان بعد أن طرأ

الاختلاف على الأمة، مما استدعى القيام بجهود كبيرة لإعادتها إلى أصل نشأتها عن طريق الرسائل السماوية المتعاقبة.

فنحن نقرأ في القرآن الكريم وصف الأمة بأنها واحدة في موضعين:

في سورة الأنبياء (آية ٩٢): «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون»

وفي سورة «المؤمنون» (آية ٥٢): «وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون».

وباستعراض كتب التفسير نجد أن السياق الذي وردت فيه هاتان الآيتان يدل على أن المراد بالأمة الواحدة هي أمة الأنبياء. فهي «أمة واحدة تدين بعقيدة واحدة وتنهج نهجا واحدا هو الاتجاه إلى الله دون سواه، أمة واحدة في الأرض، ورب واحد في السماء لا إله غيره ولا معبود إلا إياه، أمة واحدة وفق سنة واحدة تشهد بالإرادة الواحدة في الأرض والسماء» (٢).

(١) راجع القاموس المحيط ومختار الصحاح.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب طبعه دار الشروق مجلد ٤ ص ٢٣٩٥ وما بعدها، وكذلك ص ٢٤٦٩.

ومن ذلك يتضح أن الوحدة هنا تعني وحدة المقاصد والغايات ولا يلزم بالضرورة أن تكون وحدة في الشرائع أو الوسائل، وما يدل أيضا على التأكيد على وحدة الدين بصرف النظر عن اختلاف الشرائع قوله تعالى في سورة الشورى (آية ١٣): «شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» وذلك بجانب قوله تعالى في آية أخرى: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا» (سورة المائدة: الآية ٤٨).

٢- منشأ الاختلاف في الأمة الواحدة :

وإذا كانت هذه الآيات التي تتحدث عن وحدة الأمة في الدين الذي جاءت به الرسل جميعا، فإن هناك أسبابا ذكرها القرآن الكريم للاختلاف في داخل هذه الأمة الواحدة تتجاوز الاختلاف في الشرائع، وهناك مفاهيم أخرى للأمة تتسع أو تضيق على حسب الأحوال، فالراغب الأصفهاني مثلا يقول في تعريفه للأمة: «الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما: إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييرا أم اختيارا» (٤).

وقد كان الناس في الأصل أمة واحدة على الحق ثم اختلفوا بسبب الحسد والبغى بدءا من قتل قابيل لأخيه هابيل، والأمر ذاته ينطبق على من بقى في السفينة بعد الطوفان، إذ كانوا جميعا على الحق والدين الصحيح ثم اختلفوا بعد ذلك، ويدل على هذا قول الله تعالى: «وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا» (سورة يونس الآية ١٩).

وقوله تعالى: «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» (سورة البقرة الآية ٢١٣).

ويرى بعض المفسرين أن الإشارة بالأمة الواحدة في سورة الأنبياء تنصرف إلى الأمة المحمدية، فهي ملتكم التي يجب أن تتمسكوا بها ولا تنحرفوا عنها.. هي ملة واحدة كما عرفت من الأمم مع أنبيائهم، أي ملة واحدة غير مختلفة في الأصول والعقائد (١).

ويقول الزمخشري في تفسيره «الكشاف»: إن الأمة بمعنى الملة، والإشارة هنا بالأمة الواحدة في هاتين الآيتين إلى ملة الإسلام. والمعنى: «إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها، يشار إليها بأنها ملة واحدة غير مختلفة» (٢).

ولعل هذا التفسير يلتقي أيضا مع تلك الدعوة التي دعا بها إبراهيم وإسماعيل ربهما وهما يرفعان القواعد من البيت الحرام: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» (سورة البقرة: آية ١٢٨).

وفي تفسير الفخر الرازي لآيتي سورة (المؤمنون): «يأيتها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم. وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون» يرد على اعتراض قد يرد على الأذهان يقول: كيف يكون دين الأنبياء واحدا (المعبر عنه هنا بالأمة الواحدة) مع أن شرائعهم مختلفة؟

ويقول في رده على هذا الاعتراض: «إن المراد من الدين ما لا يختلفون فيه من معرفة ذات الله تعالى وصفاته. وأما الشرائع فإن الاختلاف فيها لا يسمى اختلافا في الدين، فكما يقال في الحائض والطاهر من النساء: إن دينهما واحد وإن افترق تكليفهما فكذا هنا. ويدل على ذلك قوله: «وأنا ربكم فاتقون» فكأنه نبه بذلك على أن دين الجميع واحد فيما يتصل بمعرفة الله تعالى واتقاء معاصيه، فلا مدخل للشرائع وإن اختلفت في ذلك (٣).

(١) راجع التفسير الواضح للشيخ محمد محمود حجازي ج ١٧ ص ٣٤.

(٢) راجع: تفسير الكشاف للزمخشري ص ١٠٥ ج ٣

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي - مجلد ١٢ ج ٢٣ ص ١٠٥ - دار الفكر.

(٤) نقلا عن أحمد محمد شاكر في تعليقه على مادة «أمة» في دائرة المعارف الإسلامية.

والعقلية بين أعضائها فكل ميسر لما خلق له. ووحدة المجتمع لا تعني القضاء على اختلاف وجهات النظر فيما هو محل اجتهاد، ولا تعني طمس معالم ذاتية الأفراد واعتبارهم أدوات صماء أو نسخا مكررة، فذلك وحدة لا يمكن أن تبني مجتمعا متماسكا.

والشيء نفسه ينطبق على وحدة الأمة الإسلامية بصفة عامة، إذ ليس معنى هذه الوحدة طمس الخصائص التي تتميز بها شعوب الأمة الإسلامية وجعلها بلا لون. فقد خلق الله الناس شعوبا وقبائل لتتعارف وتتألف لا لتذوب خصائصها كلية، وإلا لم يكن هناك داع في الأساس لجعلهم شعوبا وقبائل.

وكمثال بسيط يعبر عن احترام الإسلام لما تتميز به كل طائفة أو قوم من خصائص مادامت لا تتناقض مع مقررات الدين، مارواه الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت جارية يتيمة كانت في حجرها لرجل من الأنصار. فدخل رسول الله ﷺ ولم يسمع الغناء. فقال: يا عائشة ألا بعثت معها من يغني فإن الأنصار قوم يحبون الغناء - أو يحبون الغزل - فلو بعثتم معها من يقول:

أتيناكم أتيناكم *** فحيونا نحييكم

لولا الذهب الأحمر *** ما حلت بواديكم

لولا الحنطة السمرا *** ما سمت عذارىكم (٢)

فوحدة الأمة الإسلامية لا تصادم أية خصائص يتميز بها كل شعب من شعوب الأمة الإسلامية، مادامت في الإطار المشروع، ومادام الجميع ملتزمين بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويؤكد جمال الدين الأفغاني على هذه النقطة قائلا:

« لا أتمس بقولي هذا - في الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية - أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصا

أى بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين بعد أن حدث الاختلاف كما تنص على ذلك الآية الأولى.

ولكن هذا الاختلاف بين البشر الذى نشأ بسبب الانحراف عن الدين ليس أمرا خارجا عن المشيئة الإلهية، وإنما هو أمر يتفق مع سنة الله في خلقه. فالله سبحانه كان يستطيع لو شاء أن يجعل الناس جميعا أمة واحدة إلى قيام الساعة، ولكنه سبحانه أراد أن يختبر خلقه ليميز الحبيث من الطيب، وذلك مصداقا لقوله تعالى: «ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن لیبلوکم فیما آتاکم فاستبقوا الخیرات» (سورة المائدة الآية ٤٨).

وقوله تعالى: «ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن یضل من یشاء ویهدى من یشاء ولتستلن عما کنتم تعملون» (سورة النحل الآية ٩٣).

فهو سبحانه یضل من یشاء ممن رأى فی سابق علمه أنه لو ترك ونفسه لما فعل إلا الضلال والبهتان، ویهدى من یشاء ممن اطلع علیه فی سابق الأزل فرآه یبیل إلى الخیر ولو ترك وشأنه لما فعل إلا الخیر (١).

وهناك آیات أخرى فی نفس المعنى فی سورة هود (آية ١١٨) وفي سورة الشورى (آية ٨).

٣- الوحدة والخصائص المميزة:

وبعد هذا التمهيد الذى طال بعض الشيء، نستطيع أن نتبين من خلاله فيما يخص الأمة الإسلامية - بالمعنى التاريخي - أن وحدة الأمة الإسلامية لا ينبغى أن يفهم منها نفى الخصائص المميزة لكل شعب من شعوب الأمة الإسلامية داخل هذه الوحدة. فالوحدة هي الإطار العام تنفى التناقض، ولكنها لا تنفى الاختلاف فيما هو خارج نطاق الأصول العامة.

فوحدة الأسرة ليس معناها إذابة كل الفروق النفسية

(١) التفسير الواضح ج ١٤ ص ٦٥، انظر أيضا ج ١٢ ص ٦٠، ج ٢٥ ص ١١.

(٢) راوه البخاري وابن ماجة والحاكم فى المستدرک.

واحد، فإن هذا ربما كان عسيرا، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع فإن حياته بحياته وبقائه ببقائه» (١).

٤ - الوحدة الكمية والوحدة النوعية:

والإسلام عندما يتحدث عن وحدة الأمة الإسلامية ويبحث عليها ويدفع المؤمنين دفعا إليها، فإنه لا يركز بأية حال من الأحوال على مجرد الكثرة العددية. فالوحدة الكمية لا يمكن أن تكون هي الأساس المتين لبناء الأمة وقوتها. فإذا بنيت مثل هذه الوحدة على أساس من الكثرة العددية فقط فسيكون البناء بناء هش لا قيمة له ولا قوام، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه - بمصطلحات العصر - أنه وحدة شعارات خالية من المضمون.

وينطبق على مثل هذه الوحدة الهشة التي تعد جسدا بلا روح ما عبر عنه النبي ﷺ بغثاء السيل. فقد روى أبو داود في سننه والإمام أحمد في مسنده، أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت» (٢).

وعندما نظر المسلمون في غزوة حنين إلى كثرة عددهم وأصابهم شيء من الغرور وقالوا: لن تغلب اليوم عن قلة، دارت عليهم الدائرة وفي ذلك يقول القرآن الكريم: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين» (سورة التوبة الآية ٢٥)

ومن أجل ذلك يركز الإسلام على الوحدة النوعية. فالنوعية المؤمنة القليلة العدد تستطيع - بوحدتها وتماسكها وقوة إيمانها وثقتها بنصر الله - أن تغلب على الكثرة الكاثرة الخاوية من الإيمان. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» (سورة البقرة الآية ٢٤٩).

فبناء وحدة الأمة لابد أن يقوم على أسس راسخة حتى يكون بناء متينا شامخا ولا بد أن تكون عناصر هذا البناء قوية متينة. ومن هنا نجد النبي ﷺ يؤكد على أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وأن «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (٣).

القسم الثاني

المقومات الأساسية لوحدة الأمة الإسلامية

١ - البعد الديني:

يمثل البعد الديني أهم عناصر وحدة الأمة الإسلامية، فالدين هو الركيزة الأساسية التي تنبنى عليها بقية العناصر. فوحدة الأمة الإسلامية تمثل بناء متكامل له أساس ثابت في الأرض هو الذي يحمل البناء كله، أو هي كالشجرة لها جذور ضاربة في الأرض وبدونها لا يكون للشجرة كيان ولا حتى وجود، ومن هذه الجذور يمتد الساق والفروع والأغصان.

ويتمثل البعد الديني في العقيدة الواحدة بإله واحد ونبي واحد وكتاب واحد وعبادة واحدة. فالجميع يتجهون في صلاتهم في مواعيد محددة إلى الله نحو قبلة واحدة أيا كانوا في أى مكان من العالم، ويجمع بينهم الصيام في شهر معين، ويجمع الحج بينهم من كل الأجناس والأقطار طائفتين حول كعبة واحدة في حرم الله الأمين، تنجذب إليها أفئدتهم من كل فج عميق

(١) د. محمد البهي: الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٧٩ نقلا عن مجموعة العروة الوثقى ص ١٩٢.

(٢) سنن أبى داود وكتاب الملاحم ٥/ج ٤ ص ٤٨٣ (طبعة اسطنبول للكتب الستة مجلد ١٠)

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

«ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات» (سورة الحج : الآية ٢٨).

وهذا التجمع الكبير في الحج يعد رمزا حيا لوحدة الأمة الإسلامية كلها، فهولاء ممثلوها من كل مكان يجمعهم هدف واحد ويربط بين قلوبهم رباط واحد، يجعل منهم جميعا إخوة متحابين متآلفين بأمر الله.

ويعبر القرآن الكريم عن هذا البعد الديني بقوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعا» (سورة آل عمران : الآية ١٠٣).

وهذه الوحدة الروحية من شأنها أن تقضى على كل ما يعكر صفو وحدة الأمة أو يعمل على تقطيع أوصالها، فمادام الرب واحدا، والدين واحدا، والقرآن واحدا فلا مجال للتناقض في أمور الدين. والاعتصام بحبل الله ليس مجرد شعار يرفعه المسلمون، وإنما له مقتضيات لا يتحقق بدونها ولا يقع عند الله موقع القبول إلا إذا تحققت، وقام المعتصمون بتبعاتها على الوجه الذي رسمه الله في كتابه طريقا لكمال الإنسانية ورقيا، فهو يقضى بتنحية الشهوات والأهواء التي تثيرها بينهم العصبية القبلية والجنسية والمذهبية، ويقضى بالنظر السريع في تنقية العقائد والعبادات وسائر التعاليم الإلهية مما يشوبها ويكدر صفوها من صور الشرك والابتداع، الذي هيأ لخصوم الإسلام أن يقولوا بتعددية الإسلام ويزعموا أن الإسلام ليس ديننا واحدا، وإنما هو أديان متعددة تختلف باختلاف الأقاليم والمذاهب «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا» (١).

٢ - البعد الإنساني:

ويتضح البعد الإنساني لوحدة الأمة الإسلامية جليا

في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. فالله سبحانه وتعالى يلفت نظرنا إلى وحدة الأصل الإنساني فالتناس جميعا قد خلقهم الله من نفس واحدة «يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة» (سورة النساء الآية ١). ورسول الله ﷺ يؤكد هذا المعنى أيضا في قوله: «يأيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وأباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى» (٢).

والإسلام لا يفصل هذا البعد الإنساني عن البعد الديني الذي أشرنا إليه، كما كانت تفعل - ولا تزال - بعض الأيديولوجيات والفلسفات في القديم والحديث التي تصل بالإنسان إلى حد التأليه وتجعله صاحب السلطان الأوحد في هذا الكون. ويبين لنا القرآن الكريم أن الإنسان الذي ينكر أصله أو يجحد خالقه هو إنسان يعمل ضد طبيعته وفطرته التي فطره الله عليها، فالله سبحانه قد أخذ عليه ميثاقا لا يجوز له أن يتجاهله أو يغفل عنه لأنه مركوز في أصل فطرته. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» (سورة الأعراف: الآية ١٧٢).

ومن بين القلائد من فلاسفة الغرب الذين أكدوا هذا المعنى كان الفيلسوف الفرنسي ديكارت الذي قال: «والحق أنه لا ينبغي أن نعجب من أن الله حين خلقني غرس في هذه الفكرة (أي فكرة وجود الله) لكي تكون علامة للصانع مطبوعة على صنعة» (٣).

وهذا الارتباط الوثيق بين كل من البعد الديني والبعد الإنساني في وحدة الأمة الإسلامية له دلالة

(١) من توجيهات الإسلام للشيخ محمود شلتوت ص ٥١٢ مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر ١٩٥٩.

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٤١١ - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت، وقد رواه الترمذي أيضا في سننه ج ٤ ص ٣٨٩ (مجلد ١٤ من طبعة اسطنبول للمكتب الستة).

(٣) التأملات لديكارت ترجمة د. عثمان أمين ص ١٥٥ القاهرة ١٩٥١.

هامة، إذ يعنى أن هذه الأمة التى أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس من شأنها أن تكون عنصر أمان واستقرار فى هذا العالم. فهى أمة ترتبط بخالقها بعلاقة العبودية له سبحانه، وترتبط بغيرها من بنى البشر بعلاقة الإنسانية التى لا تنسى عبوديتها لخالق الكون كله. وهذه الصلة الوثيقة بالله إذا استقامت فإنها كفيلة بتصحيح مسار الأمة الإسلامية فى هذا الوجود وبذلك تتحقق خيريتها - إنها أمة تسع الإنسان أينما كان وأنى كان، وتشمل برعايتها وأمنها كل من يعيش على أرضها. أمة يرى خليفته عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - شيخاً يهودياً يتكفف الناس فى شوارع المدينة، فيفرض له من بيت مال المسلمين ما يكفيه ذل السؤال.. أمة يفرض عليها دينها حقاً للجار غير المسلم على جاره المسلم. أمة يؤكد كتابها الكريم المعنى الإنسانى الشامل الذى يؤكد كرامة الإنسان وحرمة فى قوله تعالى: «من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعاً» (سورة المائدة الآية ٣٢)

٣- البعد الاجتماعى :

إذا كانت الأمة الإسلامية ترتبط فيما بينها بروابط العقيدة والإنسانية، فإن محصلة هذين البعدين هى الأخوة التى هى أقوى من أخوة النسب، ومن هنا كان قول القرآن الكريم: «إنما المؤمنون إخوة» (سورة الحجرات: الآية ١٠).

وعندما أراد النبى ﷺ أن يؤسس قواعد المجتمع الإسلامى فى المدينة بعد الهجرة، أخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فتألفت قلوبهم بفضل الله. وقد امتن الله على المؤمنين بهذا التأليف فقال: «فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً» (سورة آل عمران: ١٠٣).

وهذه الأخوة لها حقها فهى تتضمن بعداً عاطفياً

يتمثل فى المشاركة الوجدانية. فكل فرد من أفراد الأمة الإسلامية يشعر بالآلام وآمال أمتة لأنه جزء منها؛ يحس بإحساسها ويسعد لسعادتها ويتألم لألمها. ومن هنا كان قول النبى ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (١).

ولكن مجرد المشاركة الوجدانية - مع أهميتها - لا تكفى، ولا بد أن يترجم هذا الشعور الداخلى إلى عمل فعال يكون من شأنه النهوض بالأمة وبأفرادها. ومن هنا كان مبدأ التكافل فى الإسلام بمثابة ترجمة عملية لذلك الشعور الباطنى لدى المسلم، وقد جعل الإسلام هذا المبدأ عبادة مفروضة يتعبد بها المسلم ويتقرب بها إلى ربه وهى فريضة الزكاة.

فالزكاة إذن ليست مجرد تبرع يوجد به المسلم أو لا يوجد، وإنما هى حق المال وهو حق إلزامى واجب الأداء من طيبات ما كسبنا، وهو حق لا يجوز التهاون فيه بأى حال من الأحوال. فالله سبحانه قد استخلف الإنسان فى المال الذى هو مال الله وأمره بالإتفاق منه، وفى ذلك يقول القرآن الكريم: «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» (سورة الحديد: الآية ٧).

ومن هنا نفهم لماذا حارب أبو بكر رضى الله عنه مانعى الزكاة؟ لأنها ضرورة من ضرورات المجتمع الإسلامى فضلاً عن أنها أحد أركان الإسلام الأساسية. فالأمة الإسلامية أمة متكافلة ولا تتم وحدتها بدون هذا التكافل، ولا يتم إيمان المسلم بدونه. وفى ذلك يقول الرسول ﷺ: «ما آمن بى من بات شبعاً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم» (٢).

وهذا أمر لا ينطبق على محيط التجمعات السكنية الصغيرة أو القرى أو المدن أو محيط كل دولة إسلامية على حدة، وإنما هى مبادئ مقرررة تلتزم بها الأمة

(١) رواه مسلم والإمام أحمد (راجع فيض القدير للمناوى ج ٥ ص ٥١٤. دار المعرفة بيروت).

(٢) رواه الطبرانى والبزار وإسناده حسن (راجع: الترغيب والترهيب للإمام الحافظ المنذرى ج ٣ ص ٣٥٨).

الإسلامية كلها حتى لا يكون هناك فقير أو محتاج على مستوى الأمة الإسلامية. فهموم هذه الأمة ينبغي أن تشغل بال كل مسلم وكل حاكم في العالم الإسلامي.

وقد أن الأوان ليخرج المسلمون من دائرة المشاركة الوجدانية السلبية إلى المشاركة الإيجابية الفعالة المؤثرة، وذلك بوضع الخطط المفصلة لإقامة بنيان التكافل بين أبناء الأمة الإسلامية. وقد أن الأوان للأمم الإسلامية أن تنصهر في بوتقة الوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية بتحقيق مبدأ التكافل، والخروج من سجن الفرديات المنعزلة والقوميات المنفصلة إلى محيط الجماعة الكبرى التي أرادها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وتقيم التعاون فيما بينها على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

٢ - البعد الجغرافي :

لقد جعل الله للأمة الإسلامية من وضعها الجغرافي الذي تتميز به في هذا العالم وحدة طبيعية جامعة، تمتد في رقعة مترامية الأطراف متلاحمة الأجزاء . وقد صور العالم الجليل الراحل الدكتور محمد عبدالله دراز هذه الوحدة الجغرافية تصويرا طريفا معبرا، نقتبسه هنا لأهميته في إعطاء صورة واضحة المعالم لهذا البعد الجغرافي يقول رحمه الله: «إنها صورة جمل ضخمة قد برك على الأرض بمؤخرته ولكنه أخذ يهم بالنهوض فنصب ساقيه الأماميتين ورفع رأسه ومد عنقه، وقد سحب إلى الأمام من مشفره بحبل وتدلّى من عنقه حبل ثان، واجتذب إلى الوراء من منكبه بحبل ثالث كأنه المقود في يد الراكب. أما مبرك الجمل فهو الجزء الأعظم من القارة الإفريقية، أعنى كتلتها العظمى المحصورة بين المحيط والبحر الأبيض والبحر الأحمر، وأما ساقاه الأماميتان فهما الصومال وأوغنده، وأما صدره فهو جزيرة العرب وما يليها من الشمال، وأما عنقه ورأسه الممتدان في قلب القارة الآسيوية فهى بلاد إيران وأفغانستان وباكستان وما فوقهن، وأما الحبلان

الممدودان من مشفره ومن عنقه فهما سلسلتان من الأقاليم الآسيوية، تمتد إحدهما إلى أقصى الشرق على المحيط الهادى أمام الجزر اليابانية، وتمتد الأخرى إلى الجنوب حتى تعبر القارة الآسيوية عند ملتقى المحيطين الهادى والهندي، وهناك تؤلف مجموعة الجزر الإندونيسية، وأما المقود الذي يجذبه من منكبه إلى الوراء فهو سلسلة من الأقاليم الأوروبية تبتدئ من الأقطار التركية وتسير في اتجاه شمالى غربى حتى تصل إلى بحر البلطيق».

وهذه الوحدة الجغرافية التي تتضح لنا من خلال هذه الصورة الملموسة من شأنها أن تمحو بين أقطار العالم الإسلامى تلك الحواجز الإقليمية المصطنعة في شئون الاقتصاد والإنتاج. ومن شأن هذه الوحدة الجغرافية أيضا: أن تيسر توزيع ثرواتها المادية بينها توزيعا ينشر فيها الرخاء ويحقق لها الاكتفاء الذاتى والاستغناء عما سواها (١).

٥ - البعد الحضارى:

الإسلام ليس دين طقوس تعبدية جامدة، إنه دين للحياة بكل أبعادها، والأمة الإسلامية أراد الله لها أن تكون صاحبة رسالة دينية وحضارية في هذا العالم، ومن هنا كان وصفها بأنها خير أمة أخرجت للناس.

وقد رسم القرآن الكريم للإنسان الإطار العام في كل أموره الدينية والدنيوية، واستخلف الله الإنسان في الأرض وكلفه بعمارتها وصنع الحضارة فيها، ووعد المؤمنين العاملين بالتمكين لهم في الأرض وكتب لهم العزة والنصر. وتحقيق ذلك كله أمر منوط بالإنسان ويتأيد من الله.

وقد أدرك المسلمون الأوائل ذلك كله وعملوا على تحقيقه، وقد تحقق لهم بالفعل ما أرادوا وما أراد الله منهم. وبذلك أقاموا صرحا شامخا لحضارة كانت من أطول الحضارات عمرا في التاريخ، وقد اشترك علماء

(١) في الدين والأخلاق والقومية للدكتور محمد عبدالله دراز ص ١٤٨ وما بعدها، القاهرة ١٩٦٧م.

كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»
(سورة الصف: الآيتان ٢، ٣).

٦ - البعد المصيري :

وإذا كانت الأمة الإسلامية ترتبط فيما بينها برباط ديني واحد، وتجمعها وحدة جغرافية طبيعية ولها رسالة نورانية حضارية في هذا الوجود، فإن ذلك يعني غايات واحدة وأهدافا مشتركة ويعني في النهاية مصيرا واحدا.

ومن أجل حماية هذا المصير الواحد وصونا للمبادئ السامية والمثل العليا التي تقوم بها ومن أجلها الأمة الإسلامية، فلا بد من إعداد القوة اللازمة لدرء الأخطار التي تحيط بها سواء كانت هذه الأخطار قائمة بالفعل أو محتملة الوقوع، أي سواء كانت منظورة أو غير منظورة. فالقوة في كلا الحالتين ضرورية. وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » (سورة الأنفال : الآية ٦٠).

والهدف الذي من أجله يدعو القرآن الكريم إلى هذا الاستعداد الحربى بكل ما أوتينا من قوة، لا يرمى إلى التخريب والتدمير أو الاستعباد والاستعمار أو سلب الآخرين أموالهم وأوطانهم وأمنهم، وإنما يرمى إلى دفع شر الأعداء وتخليص المستضعفين من أيدي الظالمين المعتدين، وإفساح الطريق أمام دعوة الخير الذي يريده الله لعباده.

وقيام هذه القوة يعد من أقوى وسائل السلم الذي أمر الله به، ومن هنا كان التأكيد في الآية على قوله تعالى : « ترهبون به عدو الله وعدوكم »، فهي قوة تحمى السلم والأمان والاستقرار.

ومثل هذه القوة لا تتأتى إلا بوحدة الأمة الإسلامية. فهذه الوحدة هي السد المنيع والحصن الحصين في وجه

الأمة الإسلامية من كل جنس ولون في إقامة هذا الصرح الحضارى، بدافع من الإسلام الذي رفع من شأن العلم والعلماء واعتبر مداد العلماء مساويا لدماء الشهداء، وجعل العلماء أخشى الناس لله.

وسارت جهود علماء المسلمين في مجالات العلوم الدينية والدنيوية جنبا إلى جنب في تكامل رائع، فقد أدركوا أن الحضارة تعنى تقدما ماديا وروحيا وأخلاقيا، وبذلك قدموا للإنسانية خدمة كبرى، في الوقت الذي كان فيه العالم غير الإسلامى لا يزال يعيش في جهالة جهلاء. وترك لنا الأسلاف تراثا ضخما يعد أغنى تراث في العالم، يعبر عن وحدة جهود علماء الأمة الإسلامية بصورة رائعة. ويشترك المسلمون اليوم في كل مكان في العالم الإسلامى في الاعتزاز بهذا التراث.

وقد آن الأوان للأمة الإسلامية أن تتوحد جهودها مرة أخرى، في سبيل النهوض بالأمة والارتقاء بها حضاريا بما يؤكد شخصيتها المتميزة ويحافظ على ذاتيتها، مسترشدين في ذلك بتعاليم الإسلام الشاملة وبالجوانب الإيجابية المشرقة في تراثنا. فلا يليق بالأمة الإسلامية أن تظل في عالمنا المعاصر قابضة في مقاعد المتفرجين، الذين لا يشاركون في صنع الحضارة، ويكتفون بدور المستهلك لما تنتجه الحضارة التي يصنعها غيرنا. في الوقت الذي لا تعرف البشرية فيه دينا آخر غير الإسلام يشتمل على كل المقومات والأسس التي تحقق للبشرية أفضل المستويات الحضارية ماديا وروحيا وأخلاقيا.

والرسالة الدينية الحضارية المنوطة بالأمة الإسلامية لا يمكن تأديتها والقيام بحققها إلا إذا توحدت جهود الأمة الإسلامية دينيا وفكريا وحضاريا، وواجبها يفرض عليها في هذا الصدد أن تقدم للعالم هذه الرسالة الدينية الحضارية في صورة أنموذج متحقق في عالم الواقع. فليس بالأقوال تؤدي الرسائل الكبرى ولكن بترجمة الأقوال إلى برامج عمل. ومن هنا كان اللوم والمقت للمؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون : « يأيتها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون *

كل الأطماع التي تستهدف إضعاف الأمة الإسلامية وإثارة الفتن والخصومات بين أبنائها.

وعلى الأمة الإسلامية - صاحبة المصير المشترك - أن تعيد النظر في قائمة الأولويات للقضايا والهموم التي تحيط بها في عالمنا المعاصر، فتشغل نفسها لا بالقضايا الهامشية بل بالقضايا المصيرية، وعلى رأسها قضية التخلف التي تمثل الهم الأكبر للأمة الإسلامية اليوم. والتخلف الذي أعنيه يشمل المجالات الروحية والمادية والأخلاقية والعلمية والحضارية بصفة عامة. وتلك قضية مصيرية لا يجوز التهاون فيها أو التفريط في معالجتها بما تستحقه من اهتمام وعناية.

المخاطر التي تهدد وحدة الأمة الإسلامية

بعد أن ألقينا نظرة سريعة على أهم المقومات التي تركزت عليها وحدة الأمة الإسلامية، لابد لنا من التنبيه إلى المخاطر التي تهدد صرح هذه الوحدة، وقد حذر الإسلام من الوقوع في شراكها. وتتلخص هذه المخاطر في عنصرين أساسيين، يمكن أن ترد إليهما جميع الأسباب الفرعية الأخرى التي تستهدف إضعاف الأمة الإسلامية وكسر شوكتها.

وأول هذه العناصر يتمثل في الفرقة والتنازع والصراعات المدمرة، التي تعد مدخلا خطيرا لانهيار وحدة الأمة الإسلامية. سواء كان هذا التنازع والتفرق في أمور الدين، أو السياسة والملك، أو بسبب الفوارق الطبقية الصارخة، أو بسبب الصراعات القبلية أو العرقية التي تحيى ما كان قائما في الجاهلية. وقد جاء التحذير الإلهي من ذلك حاسما قاطعا في عبارة قصيرة، تبدأ بالحث على التمسك بالوحدة وتحذر في الوقت نفسه من التفرق، وذلك في قوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» (سورة آل عمران: الآية ١٠٣).

وفي آية أخرى يأتي التنبيه إلى نتيجة التفرق

والتنازع وذلك في قوله تعالى: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» (سورة الأنفال: الآية ٤٦).

وهكذا تؤدي الفرقة والتنازع والتناحر إلى الفشل، الذي تكون نتيجته النهائية هي ذهاب قوة المسلمين وضياح عزتهم ومنعتهم. وبذلك يكونون لقمة سائغة في أيدي أعدائهم تداعى عليهم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها - كما جاء في حديث رسول الله ﷺ.

أما العنصر الآخر الذي يحذر الإسلام منه فيتمثل في موالة الأعداء، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: «يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبلا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون» (سورة آل عمران: الآية ١١٨).

وختام الآية أمر في غاية الأهمية لمن يتأمل. فالله قد وضح لنا الطريق وكشف لنا عن مخاطره وعثراته وعلينا أن نتدبر أمرنا بعقولنا التي منحها الله لنا لنميز بها الخبيث من الطيب «قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون».

وفي آية أخرى يقول القرآن الكريم: «يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء» (سورة الممتحنة: الآية ١).

ولا يخفى على أحد أن هناك كثيرا من الممالك الإسلامية في القديم والحديث، قد ضاعت بسبب موالة الأعداء والركون إليهم والوثوق بهم والاستعانة بهم على حرب المسلمين بعضهم بعضا، ولم يكن ذلك السلوك إلا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

خاتمة:

واقع الأمة الإسلامية وآفاق المستقبل

إن الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم يعد

واقعا مؤلما - كما يجب أن نعترف بذلك جميعا - وهو واقع يسير في اتجاه مضاد لكل مثاليات وحدة الأمة الإسلامية. فالنزاعات القائمة اليوم بين أبناء الأمة الإسلامية كأكثر منها في أى مكان آخر في العالم، ومؤسسات العمل المشترك في العالم الإسلامى ليست أكثر من واجهة تحمل شعارات طنانة لا تعنى شيئا، وأمور المسلمين المصرية يقررها غيرهم.

وهذا الواقع المؤلم يدفع إلى طرح تساؤلات عديدة.

هل يجهل أبناء الأمة الإسلامية في عالم اليوم الأبعاد الحقيقية لوحدة الأمة الإسلامية، ومن هنا يعملون في اتجاه معاكس لها؟ أم أنهم يدركون تماما كل ما تعنيه هذه المقومات بالنسبة لحاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها ومع ذلك فهم لا يصنعون شيئا؟.

إنه إذا كانت الأولى فتلك مصيبة، وإن كانت الثانية فإن المصيبة أعظم.

ما لنا نرى هذا البون الشاسع بين النموذج والواقع؟ وما لنا نرى الأمة الإسلامية قد تفرقت السبل بأبنائها؟

أين الخلل؟ هل هو في المشروع الحضارى الإسلامى؟ أم هو في الواقع المحير والمشحون بالتناقضات الحادة والذي يعيشه أبناء الأمة الإسلامية؟

أم أن الخلل في الفهم السقيم والمعوج لقيم وتعاليم الإسلام؟

ما سبب هذا التبدل الذى أصاب الأمة الإسلامية فى عالمنا المعاصر؟

أين ذلك كله من تلك الأمة التى وصفها القرآن الكريم بأنها خير أمة أخرجت للناس؟

لسنا نريد الدخول فى تفاصيل ذلك كله الآن، لأن

موضوعنا ينصب فقط على توضيح مفهوم وحدة الأمة الإسلامية. ولكننا نستطيع أن نقول باختصار - كما قال الراحل مالك بن نبي أيضا فى الرد على خصوم الإسلام الذين ينسبون تخلف المسلمين إلى الإسلام - « إن التخلف الذى تعاني منه الأمة الإسلامية اليوم يعد عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين ».

ومن ناحية أخرى فإن صلاح حال الأمة الإسلامية لن يتم إلا بإرادة أبنائها ولن ينزل علينا من السماء، فإذا صحت إرادة الأمة وصدقت العزائم وخلصت النيات، فلا شك أن الله سبحانه وتعالى سيكون مع هذه الأمة بالتأييد والنصر. وهذا قانون قرأنى ثابت تعبر عنه الآية الكريمة: « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (سورة الرعد: الآية ١١).

وعلى الرغم من كل السحب الكثيفة السوداء التى تغطي سماء الأمة الإسلامية فنحن لسنا يائسين، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

ولازلنا نأمل فى تيقظ وعى الأمة وصحو ضميرها وتحديد شباب عقيدتها ونقاء فكرها، حتى تأخذ مكانها اللائق بها بين الأمم فى عصر التكتلات الدولية.

فلا يليق بكرامة هذه الأمة أن تعتمد فى غذائها بنسبة سبعين فى المائة على غيرها من دول العالم، ومن المعلوم أن من لا يملك غذاءه لا يملك قراره. لازلنا نأمل أن تعود هذه الأمة صاحبة قرارها ومقررة مصيرها، وأن تسهم إسهاما حقيقيا فى تقرير مصير هذا العالم.

لازلنا نأمل فى غد مشرق للأمة الإسلامية، تتوحد فيه جهودها وتتفق - على الأقل - على قضاياها المصرية. ونرجو أن تتحول هذه الآمال عن قريب إلى برامج عمل لمصلحة هذه الأمة، حتى تحقق ما أراد الله لها، أن تكون خير أمة أخرجت للناس قولاً وفعلاً. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل..

مظاهرة في حب مصر

القيادات الدينية تؤكد:

أخبار العالم الإسلامي

الادعاء باضطهاد الأقباط

في مصر افتراء وكذب

إعداد: منير ييومي

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر أن المسلمين والمسيحيين في مصر يرتبطون برياط، وثيق يدركه العامة والخاصة وأن الادعاء باضطهاد الأقباط في مصر ليس إلا محض افتراء وكذب.

التي تتمع بها مصر. وأكد الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن هذا اللقاء تأكيد للعالم كله على كذب ما يشاع عن مصر في الخارج من فتنة وجفاء بين المسلم والمسيحي لأن شعب مصر نسيج واحد فما يسعد به المسلم يسعد به المسيحي. وقال د. نصر فريد واصل مفتي الجمهورية إن أبناء مصر يقدمون للعالم نموذجا عمليا يعبر عن مدى التسامح الديني الذي تشهده مصر وهو خير دليل على نبذ مصر لكافة صفوف التعصب والفرقة والانقسام ووصف لقاء قيادات الإسلام مع قيادات المسيحية بأنه تجسيد لروح المحبة ووحدته الهدف بين المصريين جميعهم. أكد قداسة البابا شنودة الثالث بطريرك الكرازة المرقسية إن الحب والود بين المسلمين والمسيحيين حقيقة ملموسة وواضحة بين أبناء مصر، وقد عشنا معا على أرض مصر منذ أربعة عشر قرنا نعطي أمثوله للتعايش السلمي بين أبناء الوطن الواحد.

وأوضح أن علاقة الإسلام بالديانات الأخرى تقوم على التعاون والاحترام، وأن المسلمين والمسيحيين في مصر يمارسون شعائهم بحرية تامة مما يجعل الإرهاب في مصر يلفظ أنفاسه الأخيرة في ظل تضافر جهود أهل الأديان. جاء ذلك خلال لقاء فضيلته مع قداسة البابا شنودة للتهنئة بعيد القيامة المجيد والذي شارك فيه الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف والدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية والشيخ فوزي الزقزاف وكيل الأزهر الشريف وعدد من قيادات العمل الإسلامي في مصر. قال شيخ الأزهر إن هذا اللقاء يعبر عن الإخاء الصادق والمحبة الخالصة لوجه الله وهما السمتان اللتان تربطان شعب مصر من المسلمين والمسيحيين حيث لا عداوة ولا بغضاء بين أي مسلم أو مسيحي في مصر. وأضاف: إن لقاء القيادات الدينية من علماء الأزهر والأوقاف مع قداسة البابا شنودة الثالث وقيادات الكنائس المصرية هي أكبر دليل على الترابط ودحض كل المفتريات ضد وحدتنا الوطنية

وزير الأوقاف فى افتتاح الدورة التأهيلية للدعاة

ضم جميع الزوايا إلى الأوقاف أسوة بالمساجد الأهلية

افتتح الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف الدورة التأهيلية الحادية عشرة للدعاة الجدد التى يحضرها ١٢٠٠ إمام جديد من القاهرة والغربية والشرقية وأسيوط بهدف تدريبهم على العديد من المهارات لمباشرة عملهم الدعوى الجديد بعد تخرجهم من جامعة الأزهر وتمييزهم بالأوقاف فى مساجد الجمهورية.

يعرضون على اللجنة المشكلة من الأزهر والأوقاف بالمحافظات لهذا الغرض. وأعلن الوزير أن قرار وزير العدل بمنح بعض مفتشى الأوقاف الضبطية القضائية يخدم الدعوة بالمساجد ويحميها من الاستغلال وقال: أنه يجرى حاليا عقد دورة تدريبية تساهم فيها وزارة العدل لهؤلاء المفتشين لمعرفة دورهم وإكسابهم المهارات المطلوبة لنجاح عملهم.

الجمعة والدروس والرد على الأسئلة والفتاوى من رواد المساجد بالإضافة إلى دراسة بعض القضايا المعاصرة التى تتصل بأحداث الساعة على أيدي أساتذة الجامعات والمتخصصين. وقال: إن الوزارة انتهت من صرف ٢٣ ألف تصريح للخطابة بالمساجد تطبيقا لنص القانون، ويجرى فحص بقية الرغبات تمهيدا لمنحها التصريح مشيرا إلى أن خريجى الأزهر لا يمنحون ترخيصا للخطابة لأنهم مؤهلون ذلك بخلاف غيرهم الذين

وأكد وزير الأوقاف خلال اللقاء أنه لا رجعة فى ضم جميع الزوايا إلى الأوقاف أسوة بالمساجد الأهلية وأنه يجرى حاليا حصر جميع هذه الزوايا على مستوى الجمهورية واعتبارها ملحقات للمساجد الكبرى الواقعة فى دائرتها. كما أكد مسئولية الدولة عن اختيار مقيمي الشعائر والأئمة والعاملين بتلك الزوايا.

وصرح الوزير بأن مدة الدورة شهران وتشمل أساليب الخطابة وعمليات تحضير وإعداد خطبة

الانتهاء من توسعة
مسجد السيدة
زينب فى منتصف
عام ١٩٩٩م

أكد الدكتور محمد إبراهيم سليمان وزير الإسكان والمرافق أنه تم وضع برنامج زمنى ينتهى فى منتصف عام ١٩٩٩ لإنهاء أعمال توسعة مسجد السيدة زينب - رضى الله عنها - بعد أن تم الانتهاء من أعمال الأساسات، بحيث تكون التشطيبات على نفس النسق المعماري للنقوش الإسلامية بالمسجد، وستضيف التوسعة الجديدة التى تمت أعمالها الأساسية مساحة ثلاثة آلاف متر مربع للمسجد لتصل مساحته الإجمالية إلى سبعة آلاف متر مربع بالإضافة إلى مصلى للنساء ودار للمناسبات.

تزايد مستمر لمسلمي أمريكا

أن تميز اليهود في قطاع المال والأعمال ساعدهم على ممارسة تأثيرهم

على السياسات الأمريكية تجاه إسرائيل والشرق الأوسط، ويرى المراقبون أن المسلمين يحاولون الآن تحقيق موقع متقدم في مجال الأعمال والمال، حيث بدأوا يشكلون حضوراً في قطاع المهن مما يجعل منهم قوة انتخابية كبيرة يجب أن يحسب لها ألف حساب.

جدير بالذكر أن هذه الاتجاهات الديمغرافية في تزايد عدد المسلمين لاحظها البيت الأبيض، ففي شهر رمضان المبارك الماضي قام الرئيس الأمريكي «بيل كلينتون» بإرسال رسالة تهنئة للمسلمين الأمريكيين وللدول الإسلامية بمناسبة عيد الفطر، كما قام الجيش الأمريكي بتعيين أول مفت للمسلمين في الجيش قبل عدة أعوام. وأقام بالتعاون مع المجلس الإسلامي الأمريكي حفلة إفطار جماعي للجنود المسلمين.

عدد المسلمين في الولايات المتحدة في تزايد مستمر، هذا ما كشفت عنه

تقارير إعلامية بريطانية وأمريكية. قالت مجلة «نيوزويك» إن المسلمين سيتفوقون خلال عقد من الزمان على تعداد اليهود الذي سجل تراجعاً كبيراً في الأعوام القليلة الماضية. وأشارت المجلة إلى أن عدد المسلمين قد تزايد من أربعة من عشرة في المائة إلى واحد وأربعة من عشرة من إجمالي عدد السكان في الولايات المتحدة ومن المنتظر أن يتضاعف هذا العدد في الأعوام القليلة المقبلة.

أرجعت المجلة تزايد عدد المسلمين إلى الهجرات المتزايدة لهم من شبه القارة الهندية وشمال إفريقيا في الستينيات والسبعينيات إضافة إلى زيادة اتجاهات الأقلية السوداء نحو اعتناق الإسلام الذي تتزايد عاماً بعد عام وحسب أرقام المجلة فإن عدد المسلمين يشكل نسبة النصف من مجمل عدد السكان المسلمين في الولايات المتحدة. ومن المعروف

لأول مرة مركز إسلامي ثقافي في بلجيكا وجامعة أوروبية إسلامية لإعداد الدعاة

وهناك جوائز تمنح لأولياء أمور الطلبة المتفوقين في حفظ القرآن الكريم عبارة عن رحلات حج وعمرة. ويأتي بناء هذا المركز في إطار المحافظة على الهوية الإسلامية لأبناء الجاليات المسلمة وإعطاء صورة صحيحة عن الإسلام. كما تمت الموافقة على تسجيل أول جامعة أوروبية إسلامية في بلجيكا وهي جامعة حرة تدرس الفقه المقارن والقانون والشريعة والتربية بهدف تكوين جيل من المعلمين والدعاة.

استفاد ٦٥٠ ألف مسلم في بلجيكا بخدمات المركز الإسلامي الثقافي الذي أقامته الجالية المسلمة هناك. يقع المركز الذي يحمل اسم (بيت القرآن) على مساحة ثلاثة آلاف متر بمدينة لاندنر والتي يبلغ تعداد المسلمين فيها ٢٧٠ ألف مسلم منهم أكثر من ١٥٠٠ شاب وفتاة عمرهم أقل من ١٤ سنة. وهذا ويضم مجلس أمناء المركز ٣٠ دولة مسلمة وغير مسلمة مما يعد أكبر دليل على تحقيق التعاون والتكامل بين المسلمين وغير المسلمين.

قربان سجدتى

دكتور سعد ظلام

ينفرد بالأشواق أحيان صَبُوة
لَحُونِ السَّيْمَا فِي كُلِّ أَيْكٍ... ودوخة
وينبضُ بالآياتِ فِي كُلِّ سَرَحَةٍ
وياكم عراها الوجْدُ... حَتَّى تَعْنَتِ

فؤادى على البطحاء، فِي كُلِّ خَفَقَةٍ
هتوفُ بألحانِ الجلال... وعازفُ
يُحَوِّمُ مَشْتاقاً على كل ربوة
وياكم هفتُ روحى.. وياكم تَمَنَّتِ

☆☆☆

وتغْدُو بِي الأَحْلامُ فِي كُلِّ غُدُوَةٍ
إِذَا ذَكَرُوا «البطحاء» حَتَّى.. وَغَنَّتِ

تَراوِ حُنَى الأَحْلامِ فِي كُلِّ رَوْحَةٍ
كَأَنَّ فؤادى نغمةً فوق مزهر

☆☆☆

وفى طيفها المأمول ذُتِبَتْ مُهْجَتِي
فَظَلَّتِ الدَّمْعَاتُ فَرَعِي.. وَسَرَحَتِي
وَأَشْرَقَ وَجْدَانِي بِأَلْحَانِ صَبُوتِي
وهذى منائرُها السَّيْمَا أَطْلَتِ
وَأَشْرَقَتْ الأَحْنَا حَتَّى تَجَلَّتِ

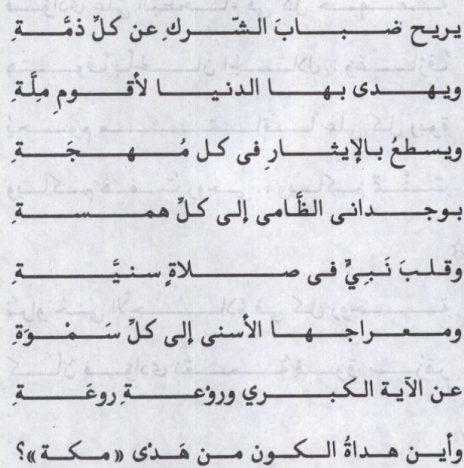
سَمَوْتَ لَهَا.. وَالشُّوقُ فِي مَهْرَجَانِهِ
سَلاماً.. وَلَمَّا أَمْلَكَ شَعُورِي.. وَقَرَحَتِي
فِيَا فَرَحَتِي.. لَمَّا لَمَحْتُ.. ضِيَاءَهَا
وَقَالَ رَسُولُ الشُّوقِ: هَاهُنَا «مَكَّةُ»
فَأَجْهَشْتُ الأَعْمَاقَ حَتَّى تَعَالَتْ

☆☆☆

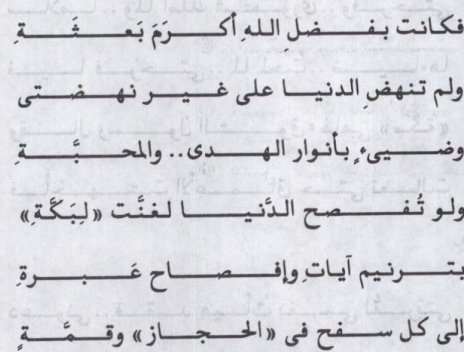
وَذَوَيْتُ إِحْسَاسِي بِرَوْعَةِ قُرْبَتِي
وَأَقْدَسُ مُحَرَّابٍ.. وَأَشْرَفُ كَعْبَةٍ

دَعُونِي.. فَقَدْ هَيَّأْتُ نَفْسِي لِثَرَبَتِي
هَنَا «الكعبة» الغراء والنور.. والهدى

هنا.. يا رفاق النور مهـد «محمـد»
وهذا «حرّاء» النور أشـعلـه السـنـا
وهذا رسـولـه . جـمّ المودّة
تلقى مع الآيات حُـثْـمَ النبـوّة



تَبْلَجُ فِي الدُّنْيَا سِرَاجاً مُجَاهِداً
وَيُغْرَسُ فِي الْأَكْبَارِ.. أَسْمَحُ مِلَّةً
وَيَقْلَعُ غَيْمَ الْحَقْدِ مِنْ كُلِّ مَهْجَةٍ
وَهَذَا سَنَاءُ الْمَعْجَزَاتِ.. أَعْبُودُهُ
تَمُوتُجَتِ «الْبَطْحَاءُ» حُبًّا.. وَمُصْحَفًا
هَنَا مَنبَعُ الْأَنْوَارِ.. وَالطُّهْرُ وَالسَّنَا
إِذَا سَأَلْتَ الدَّهْرَ.. وَهُوَ غِلَامٌ هَا
يَقُولُ بِكُلِّ الْفَخْرِ: هَامِي «مَكَّةُ»



نمت في « حراء » النور أكرم بفضة
فلم تُبعث الأكوان إلا ببعثتي
فتاريخها الفؤواح تاريخ عالم
فلو يفصح التاريخ.. قال « محمد »
ولو تفصح الأكوان عن فيض شوقها
لرُزِلَت الدنيا .. هُتِافاً .. وصبوة

الدعوة والدعاة



- من أحداث شهر المحرم
- التواضع زينة المؤمن
- من آداب الدعاء
- من لم يقف بعرفة

شهر المحرم هو مطلع الشهور القمرية وهو الشهر الأخير من الأشهر الحرم المتتالية : ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، وفي شهر المحرم يعود الحجيج إلى ديارهم بعد أداء فريضة الحج .
وقد حدثت أحداث مهمة في شهور المحرم عبر السنين، وسنذكر فيما يلي أهم هذه الأحداث مما لم نذكره في شهر المحرم من العام الماضي .

من أحداث شهر المحرم

الدكتور أحمد شلبي

غزوة خيبر :

في مطلع الحديث عن غزوة خيبر نورد قوله تعالى :
«لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا» سورة المائدة : آية ٨٢ .

والمعنى الذى ذكرته هذه الآية الكريمة تحقق عبر القرون من مطلع الإسلام حتى الآن، فقد برهنت الأحداث طوال القرون على شدة عداوة اليهود للمسلمين، لقد أساء يهود المدينة للمسلمين حتى عندما أحسن المسلمون إليهم، وبعد يهود المدينة جاء دور اليهود في الشمال، وقد وجد الرسول - ﷺ - أن جانب هؤلاء ليس مأمونا، فلم يكن بد من القضاء على هذا الخطر الداهم، فیهود الشمال هم الذين سببوا غزوة الأحزاب، وهم الذين بدءوا يدبرون المؤامرات الأخرى للهجوم على المدينة بعد أن فشلوا في غزوة الأحزاب، ولذلك نجد الرسول يعدُّ العدة للزحف على يهود خيبر ووادي القرى وفدك وتيماء، وكانت خيبر أقوى حصون اليهود بالشمال وأخطرها؛ لقد كان بها يهود من قبل، ثم انضم لهم يهود بنى النضير، فأصبحت خيبر أكثر بلاد اليهود في الجزيرة العربية

عددا وأعظمها قوة وأكثرها تحديا للمسلمين، ولذلك بدأ الرسول - ﷺ - بها عندما اتجه للزحف على يهود الشمال، وكان ذلك في العام السابع للهجرة بعد أن هدأت العداوة بين المشركين بمكة وقريش، وعقد بينهما صلح الحديبية، وحاصر المسلمون خيبر وامتد الحصار وطال، وأخذت حصون اليهود تتساقط بسهولة أو بصعوبة في يد المسلمين (ابن هشام ٢ : ٢٣٩ - ٢٤٠).

ولم يجد اليهود بدا من الاستسلام، واتفق معهم المسلمون اتفاقا سمحا، فقد تركهم الرسول يزرعون الأرض التي أصبحت ملكا للمسلمين بحكم الفتح الذى جاء ردأ لعدوان، وبقي لليهود شطر الزرع والثمار نظير عملهم (أبو عبيدة : الأموال ص ٩) كما صار للمسلمين الإشراف على اليهود حتى لا يعودوا إلى ألوان الغدر مرة أخرى.

ولما تهادت حصون خيبر، طلب يهود فدك الصلح فصالحهم الرسول - ﷺ - على نصف الثمار ونصف الأرض، وبقي النصف الآخر للرسول بوجه خاص إذ لم يحدث قتال ولا إيجاز خيل (الأموال ص ٩) أما يهود وادي القرى وتيماء، فقد امتنعوا وقاتلوا فهزمهم

المسلمون ثم تركوهم على نظام خيبر، وانكسرت بذلك شوكة اليهود، وان كانت الشوكة لم تزُل نهائياً، وبقيت قليلة حيناً، ومدمية كلما وجدت سبيلاً إلى الإيذاء.

ومما يتصل بخيبر أنه بعد الانتهاء منها قدمت امرأة يهودية اسمها زينب بنت الحارث بن سلام شاة مشوية للرسول - ﷺ - ودست السم فيها وأكثر منه في ذراعي الشاة لعلمها أن الرسول يحب من الشاة ذراعها، فلما وضعت الشاة بين يدي الرسول تناول قطعة من الذراع وبدأ يمضغها، ولكنه سرعان ما لفظها وقال إن هذه الذراع تخبرني أن الشاة مسمومة.

وكان مع الرسول بشر بن البراء الذي وضع في فمه قطعة من اللحم وابتلعها، ولما تحرك السم في معدته قال: واللّه إنني لأحسست أن الشاة مسمومة ولكني ما كان لي أن أعيش إذا مس الرسول سوء من هذا اللحم، وما كان لي أن أكرّه له طعاماً أقبل عليه.

ومات بشر بن البراء، من جراء السم، ويقال إن الرسول - ﷺ - قتل زينب قصاصاً من أجل بشر، وفي رواية أنه صفح عنها لأنها أسلمت ولما سئلت: ما حملك على هذا؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت إن كان ملكاً استرحنا منه، وإن كان نبياً فسيأتيه الوحي من السماء، وإنني أستغفر الله وأشهد أنك رسوله (ابن هشام ٢: ٢٤٠ - ٢٤٢).

نهاية اليهود بالجزيرة العربية :

ابتداء من العام السابع للهجرة بدأت الآمال تتطلع إلى نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، وبدأت وفود الرسول - ﷺ - تحمل رسائله إلى أكثر الجهات حول الجزيرة العربية، وأصبح واضحاً أن بقاء اليهود خلف وفود المسلمين للخارج خطر على هذه الوفود والمبعوثين، ولذلك روى عن الرسول قوله: «لأخرجن اليهود من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً».

وفي عهد الخلفاء الراشدين امتد الإسلام وتجاوز أرض خيبر في طريقه إلى الشام، وأصبح يهود خيبر في ظهر المسلمين فخاف عمر - رضي الله عنه - غدرهم وخشى أن يضربوا المسلمين من الخلف كما فعل يهود بني قريظة في غزوة الخندق. ورأى عمر ضرورة ضمان السلامة والوحدة في الجزيرة العربية قبل أن تتعمق جيوشه خارج هذه الجزيرة، وزيادة على ذلك يروى البلاذري أن يهود خيبر عاثوا في الأرض فساداً، وألقوا ابن عمر من فوق بيت وفرغوا يديه، لكل ذلك استقر رأى عمر على إجلائهم من الجزيرة (فتوح البلدان ص ٣٦، ٤٢).

وقد عاملهم عمر طبقاً للشروط التي كانت بينهم وبين المسلمين فأهل فداك كانت لهم نصف الأرض فاشتراه منهم، وفي بعض الروايات أن الرسول - ﷺ - كان قد اشترى هذا القدر منهم قبل وفاته ليكونوا على قدم المساواة مع باقي يهود الجزيرة، وأذن لهم عمر ببيع ما يريدون، وقدم ما كان لهم من متاع لم يستطيعوا حمله ورفع ثمنه لهم وأجلاهم.

المستشرقون واليهود :

المستشرقون هم أولئك الغربيون الذين اشتغلوا بالدراسات الإسلامية والشرقية، وبعض المستشرقين أدى لهذه الدراسات خدمات لا تنكر، ولكن مع الأسف كان المستشرقون اليهود كثيرون التحامل على الإسلام، ورسول الإسلام فاستعمل بعضهم أقسى الألفاظ وهو يتحدث عن الدين الإسلامي وعن الرسول محمد - ﷺ - وهاجموا الإسلام في جميع مسائله سواء منها ما اتصل باليهود أو ما لم يتصل بهم، وكانت دراسة بعضهم سلسلة من النقد أو القذف أو الهجاء، وذلك صورة من النضال الفكري الذي نشره اليهود ضد الإسلام في مطلع الإسلام، ليشككوا الناس في هذا الدين إذ أثاروا مسائل القضاء والقدر وخلق الأفعال،

وقد حكى القرآن الكريم ذلك الموقف بقوله «وَدُّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ» سورة البقرة: آية ١٠٩.

وليس لنا أن نجاريهم في القذف والتعصب، وإنما نقولها كلمة قوية قالها المنصفون من المستشرقين هي أن مبادئ الإسلام تعد أرقى المبادئ في شعوب الدين وإدارة الدنيا، وإن معاملة المسلمين لغير المسلمين كانت دائما سلسلة من التسامح واليسر، وكان هذا طابعها حتى مع من فتكوا بهم واستحلوا دماءهم وليست الحروب الصليبية وموقف صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين ببعيد.

وفاة الظاهر بيبرس (١٨ محرم سنة ٦٧٦)

انتصر السلطان قطز على المغول في موقعة عين جالوت ولكن من الحق أن نذكر أن قائد جيشه الظاهر بيبرس شاركه في تحقيق هذا النصر، ولذلك فقد كان للظاهر بيبرس مكانة عظيمة في التاريخ، فقد كان قمة بين سلاطين المماليك فبالإضافة إلى بروز مكانته في عين جالوت كان اسمه أيضا بارزا في النضال ضد الصليبيين، ثم كان مؤسسا للخلافة العباسية في القاهرة، وكان طموحا لاسترداد بغداد من التتار.

وكان بيبرس - بالإضافة إلى الجانب العسكري - إداريا حازما - وذائب العمل لترقية شعوب بلاده وتنمية مواردها؛ حفر الترعة وأصلح الحصون، وأسس المعاهد وبنى المساجد، وكان له مقام كبير بين أمراء مصر حتى هابوه وخشوا بأسه، ولم يكن أحد منهم يجزئ على الدخول عليه بغير إذنه، وكان شجاعا ضربت الأمثال ببطولته وشجاعته، وكان مثالا للحاكم العادل، يجلس للنظر في المظالم بنفسه، ويعطف على الفقراء والمعوزين، وكانت حكومته استبدادية ولكنها كانت رشيدة، وقد وضع بيبرس أسس دولة المماليك،

وابتدع طرقا لحكمها، واستحدث كثيرا من الوظائف المهمة، ووجه عنايته للجيش، ورفع شأن الأسطول المصري بعد أن اضمحل في أواخر عهد الدولة الأيوبية، وأصلح نظام القضاء بأن عين قضاة من المذاهب الأربعة للفصل في الخصومات، وأصدر عدة قوانين لرفع مستوى الأخلاق في مصر، ومن ذلك أن أمر بمنع بيع الخمر وأقفل الحانات ونفى كثير من المفسدين.

ومن أعماله المجيدة القضاء على الحشاشين بسوريا، تلك الفرقة التي عبثت بالمبادئ القيم، وامتد نشاطها في الدس والاعتتيال حتى أصبحت خطرا جسيما، وقد تم لبيبرس سحق هذه الفرقة في سوريا إلى الأبد.

وفي سنة ٦٧٤هـ استدار الظاهر بيبرس إلى بلاد النوبة التي بدأ بها نوع من التمرد على المعاهدة التي تربطها بمصر وهي معاهدة «البقط» وقد استطاع بيبرس أن يقضي على هذا التمرد، ويرغم الثائرين على الخضوع لنصوص هذه المعاهدة.

وقد امتد ملك مصر في عهد بيبرس من الفرات إلى الحجاز وجنوب الجزيرة العربية وشمل كذلك بلاد الشام وبيت المقدس وسواكن وغيرها على البحر الأحمر، وخضع له عرب الصحراء وكثير من سلاطين المغول، وتبادل السفراء مع امبراطور الروم وشيد مسجدا في الاستانة، وأرسل له خان المغول ابنته ليتزوجها.

وقد عنى بيبرس عناية كبيرة بالعلوم، والمعارف، وإصلاح الري والزراعة، ولم يبالغ في فرض الضرائب مع كثرة حروبه، بل خفضها إلى أصغر حد كاف للقيام بمشروعاته العظيمة.

ومن آثاره مسجده بالحسينية، المعروف بجامع الظاهر والمستشفى المعروف بمستشفى قلاوون

بالنحاسين .

أما ما عرف عنه أحيانا من القسوة والميل إلى الغدر فيمكن أن يُعد نتيجة طبيعية للظروف المحيطة به، والفوضى التي كانت طابع الممالك.

الظاهر بيبرس والسيد أحمد البدوي :

وهناك حاكم شهير عاصر الظاهر بيبرس، ويقال أنه اتصل به، وهو السيد أحمد البدوي، وينسب الرواة لهذا الولي ألوانا من الكرامات يتصل بعضها بالحرب وأسرى الحروب التي ميزت تاريخ هذه الحقبة، ولسنا هنا نتحدث عن كرامات الأولياء، فلهذه حديث مفصل في مكان آخر (أنظر كتاب «الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي» للمؤلف)، ولكن هنا نقرر أن التاريخ الصحيح لم يرو شيئا عن صلات السيد أحمد البدوي بهذه الحروب ولا بتناججها، ويرى بعض الباحثين أن السيد أحمد البدوي مفترى عليه، وأن رواية الأخبار وخدم الضريح على مر الزمان اختلقوا كثيرا مما نسب إليه لتنهال عليهم الذور (دكتور سعيد عاشور: السيد أحمد البدوي : شيخ وطريقة) ص ١٤٥ .

زحف محمود الغزنوي على الهند :

ومن أحداث شهر المحرم سنة ٣٩٢ أن محمود الغزنوي زحف على الهند، ذلك الزحف الذي ضم للمسلمين ملايين البشر من الهنود، وقد غزا محمود الغزنوي الهند سبع عشرة مرة خلال حكمه الطويل، فكانت كل سنة تقريبا تشهد إحدى غزواته لتلك البلاد حتى خضع له شمال شبه القارة الهندية من غزنة إلى نبارس، ومن الهمالايا إلى الركن، وامتدت بذلك مملكة محمود الغزنوي من بلاد فارس إلى بهار في شرق الهند .

صنم «سومنا»

ومن أشهر معارك السلطان محمود بالهند معركته

في «سمنات» وكانت هذه الغزوة خاتمة غزواته في بلاد الهند، وفي هذه الغزوة استولى محمود على عدة مدن وحصون، ثم اقتحم المدينة المقدسة «سومنا» ودمر صنمها الهائل، وقد حاول بعض الهنادكة أن يعرض على السلطان محمود أموالا طائلة حتى لا يهدم هذا الصنم، ولكنه رفض قائلا: إنه يفضل أن ينعتبه الناس بأنه محطم الأصنام على أن يصفوه بأنه بائع الأصنام .

ويوضح القزويني (آثار البلاد وأخبار العباد ص ٩٦ - ٩٧) أن هذا الصنم كان اسمه «سومنا» وقد سمي باسم البلدة أو سميت البلدة باسمه، ويذكر القزويني أنه كان يوجد بهذه البلدة هيكل ضخم وقبة يوجد بها هذا الصنم، وكان الصنم معلقا وسط الهيكل دون حامل يحمله من أعلى أو قوائم تحمله من أسفل مما يجعل من الممكن أن يسمى «الصنم الطائر» وكان الكهنة يشيرون أن الملائكة تحمله، وكان الهنود يحملون له أعظم الهدايا والقرابين، فلما اقتحم السلطان محمود هذه المدينة وسيطر على الهيكل استولى على الحلي والجواهر التي كانت تزين الهيكل، ووقف السلطان محمود في دهشة أمام الصنم المعلق، وتأكد أنه ليس هناك حامل من أعلى أو من أسفل، وحينئذ جمع السلطان علماء عصره من المسلمين ليرى رأيهم في هذا الأمر، فقال أحد العلماء: إن القبة بالهيكل من حجر المغناطيس، وإن الصنم من الحديد، والصانع بالغ في تدقيق صنعته، وراعى تكافؤ قوة المغناطيس من كل الجوانب، فوقف الصنم في الوسط يخدع الناس، وبرهن على ذلك بأن رفع بعض الحجارة من الهيكل فمال الصنم إلى الجانب الآخر، ولما رفعت أحجار كثيرة من القبة سقط الصنم ثم تمّ تدميره .

وفي المحرم القادم إن شاء الله ندون المزيد من الأحداث المرتبطة بهذا الشهر.. فإلى اللقاء .

التواضع زينة المؤمن

الدكتور مصطفى رجب

عن عياض

رضى الله عنه قال : قال

رسول الله ﷺ : «إن الله أوحى إلى

أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد ولا

يبغى أحد على أحد» رواه مسلم.

فقال:

«سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير

الحق» (الأعراف / ١٤٦). قال الإمام الألوسي ضمن

شرحه لهذه الآية (ج ٩ ص ٩١) إن المراد أنهم يتكبرون

على من لا يتكبر كالأنبياء عليهم السلام لأن التكبر

بحق ليس إلا لله تعالى كما في الحديث القدسي الذي

أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه «الكبرياء ردائي

والعظمة إزارى فمن نازعنى فى واحد منهما قذفته

فى النار».

أسباب التكبر وسمات المتكبر :

للتكبر أسباب كثيرة كلها تدور حول ما يسمى فى

علم النفس الحديث بالشعور بالنقص، فالتكبر شخص

ضعيف الثقة بنفسه، مهتز الشخصية، يحاول بالوهم

أن يشعر الآخرين بأنه قوى خطير. وقد يؤدي به ذلك

يخضع الإنسان للحق حيثما وجده، فهذا تواضع محمود لأنه يقع امتثالاً لإرادة الحق سبحانه وتعالى، أما التذلل للظالمين والطفافة فهذا سلوك شائن وهو الضعة وليس التواضع، والضعفة لا تلازم إلا الكفار والمنافقين. أما المؤمنون فإن الإيمان إذا تمكن فى قلوبهم أنبت فيها العزة السامية.

الموقف من المتكبرين :

وقد جرى على ألسنة الناس قول مأثور هو «الكبر على أهل الكبر صدقة» وهو قول لا يخالف صحيح الدين، لأن الكبرياء صفة خالصة لله وحده لا شريك له فيها. فمن تكبر على الناس فمعنى ذلك أنه يحس داخل نفسه بشئ من العظمة والغطرسة. فإذا واجهه من يردده إلى حقيقته المهينة فإنه بذلك يساعده على أن يفيق من غيبوبة الإحساس الزائف بالعظمة. وكأنه

إلى الظلم الفاحش أو أكل أموال الناس وحقوقهم بالباطل، وهى من أسباب التكبر التى ترتبط بالشعور بالنقص ووضاعة الأصل، فإذا بحثت عن أصول من تراهم حولك متكبرين متغطرسين فستجد كثيراً منهم قد نبتوا فى بيئات وضعية أو عانوا من وضاعة أصلهم كأن يكونوا من قبائل أو جماعات أو عائلات مضطهدة أو تشفى فيها الموبقات الاجتماعية. ومن أسباب التكبر الغرور الذى يجعل دماغ المتكبر منتفخاً كأنه يوشك أن ينفجر من ثقل إحساسه بذاته.

فإذا أردت أن تعرف سمات المتكبر فستراها لا تخرج عن الآتى:

١ - إنه يعز عليه الرجوع إلى الحق. فقد روى مسلم عن ثابت بن قيس قال: يا رسول الله إني امرؤ قد حُبب إليَّ من الجمال ما ترى. أفمن الكبر هو؟ قال ﷺ: «لا، ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس».

٢ - إن المتكبر لا يعترف بفضل غيره عليه بل لا يعترف بأى فضل لأحد، وكأنه هو الوحيد ذو الفضل فى الدنيا كلها.

٣ - يحاول المتكبر دائماً إشعار الآخرين بصفات ليست فيه فإن كان نصف متعلم أوحى إلى الآخرين أنه منيع العلم، وإذا كان بواباً أمام مبنى البرلمان أوحى للآخرين أن فكره الثاقب وراء كل التشريعات، وإذا كان حارساً لأحد أصحاب النفوذ، أعطى لجلسائه إحساساً بأنه هو الذى يسيّر أمور الدولة من الباطن، وشكى إليهم من كثرة مشغوليته وعظم مسؤولياته. وهكذا يغلب عليه الادعاء فى كل شئونه.

٣ - المتكبر ينفر من النصيحة فإذا وجدت ذا منصب أو مكانة يتكبر على غيره وحاولت نصحه أبى أن يسمع النصيح لأنه مصاب بالجهل المركب الذى يوصف من يصاب به بأنه (جاهل ويجهل أنه جاهل).

٥ - ومن سمات المتكبر التفاخر بما عنده وما ليس عنده من الحسب والنسب والمال والجاه والمتاع، وهذه الأشياء قد تكون فى ذاتها أسباباً للكبر أو أعراضاً له فى آن واحد، ومن هنا جاء حديث النبى ﷺ الذى صدرنا به هذا المقال بالأعلى يفخر أحد على أحد.

وإن وعد الله حق، فكم من بيوت قد أودى بها البطر، وكم من مناصب زالت عن أصحابها فأذاقهم الله فى الدنيا لباس الجوع والذل والخوف والهوان لقاء ما كانوا يفعلونه بعباده المحتاجين الذين كانوا يلجأون إليهم إذا نزلت بهم النوازل أو ادلهمت بهم الخطوب، ويقوا فى نهاية حياتهم ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

السلف الصالح وخلق التواضع :

لقد كان رسول الله ﷺ خير مثال للعظمة الإنسانية فى سموها، والمعلم الأول للبشرية فى سلوكه الرفيع، فكان يرتقى ثوبه بنفسه، ويحمل أشياءه بنفسه ضارباً لأصحابه المثل الأعلى للقائد المعلم، وعلى هدى من سلوكه الرفيع سار صحابته النجوم الهداة رضوان الله تعالى عليهم وتابعوهم وتابعو تابعيهم ودوت كلماتهم فى أعماق التاريخ لأطمة وجوه المغرورين الضعاف، قاصمة ظهور المتكبرين الأجلاف من ذلك قول سيدنا الحسن بن على رضى الله عنهما «التواضع

أن تخرج من بيتك فلا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً».

وسئل العالم الزاهد الفضيل بن عياض - رحمه الله - عن صفة المتواضع فقال: إن المتواضع من «يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله»، وقد قال العلماء في التواضع فأكثرُوا وتحدث الخطباء عن التواضع فأفاضوا بحيث نستطيع أن نقول باطمئنان: إن خلق التواضع أصبح من أكثر السلوكيات التي حث عليها الإسلام دائماً ويغضض أضدادها إلى النفوس في كل حال.

التواضع لمن؟

لمن يتواضع المؤمن؟ هذا سؤال يطرح نفسه الآن وهو سؤال مهم للغاية لأن هناك فروقا أشرنا إليها بين التواضع والضعف، وخفض الجناح والذلة، فمن الجدير بالمؤمن أن يعرف متى يتواضع ولمن يتواضع حتى لا يلبس عليه الشيطان أمره فيتذلل للمخلوقين ويسمى ذلك تواضعاً.

والبداية تتمثل في آية جامعة ذكر الله تعالى فيها أولئك الذين ينبغي للمسلم أن يتواضع لهم بأن يحسن إليهم فقال تعالى: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً، وبذي القربى واليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم. إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً» (النساء/ ٣٦).

فإذا تدبر الإنسان هذه الآية حق التدبر وجد أنه

مأمور بأن يحسن إلى من يلازمونه معظم الوقت ويشاركونه حياته ليل نهار. فهو مأمور بأن يبر والدیه ويطيعهما ولا يرفع صوته عليهما، ثم هو مأمور بأن يحسن إلى أقربائه من أعمام وأخوال وذرياتهم ثم هو مأمور بأن يحسن إلى اليتامى والمساكين لأنه بحاجة إلى من يعطف عليهم لا إلى من يتكبر عليهم، كما أنه مأمور بالتواضع للجيران سواء أكانوا أقارب أم أجنب، ثم هو مأمور بالإحسان إلى «الصاحب بالجنب» وقد قيل: إنه هو الصديق المقرب أو الرقيق في السفر وكلا القولين عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وختم الله تعالى الآية بقوله: «إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً» وهي جملة تعليلية تفسر الأمر السابق في أول الآية.

قال الإمام الخازن رحمه الله في تفسيره (ج ١ ص ٣٧٤): «وإنما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لأن المختال الفخور يأنف من أقرابه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن إليهم ولا يلوى بنظره عليهم ولأن المختال هو المتكبر ومن كان متكبراً فلا يقوم بحقوق الناس».

ثم إن هناك فئة أخرى وردت بها أحاديث تحض على التواضع لأصحاب تلك الفئة وهي تضم كبار السن، والأئمة والعلماء والحكام، فالتواضع لله ولمن أمر الله ورسوله بالتواضع لهم هو المطلوب وما سواه فمذموم. والله تعالى أعلم.

من آداب الدعاء

رجب عبدالمنصف

الدعاء من أعظم القربات وأجل الطاعات، فلا غرو أن يصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مخ العباد^(١) وأشرفها^(٢). وأمر به رب العزة سبحانه وتعالى ووعد بإجابته فقال جل شأنه: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)^(٣) وقال: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)^(٤)

قريب من العبد يسمع دعاءه ويعلم اضطرابه فيجيب بما شاء وكيف يشاء.

٣- وقيل: إن الاستجابة على إطلاقها، فالله تعالى يجيب كل دعاء فلما أن تظهر الإجابة في الدنيا، وإما أن يكفر عنه، وإما أن يدخر له في الآخرة على ما قاله ابن عباس رضي الله عنه: «كل عبد دعا استجيب له فإن كان الذي يدعو به رزقا له في الدنيا أعطيه وإن لم يكن له رزقا في الدنيا دخر له»^(٥)

٤- وقيل: إن معنى الآية أجيب دعوة الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل، ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لأنه إن كان صلاحا فعل ما دعا به وإن لم يكن صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضا مجاب إلى ما دعا به^(٦).

آداب الدعاء

أ- التوبة:

والتوبة - كما قال الراغب: ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار. وعرفها بأنها الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك

ومن هنا فإن الدعاء مستجاب لا شك في ذلك وإن تنوعت هذه الاستجابة وتعددت^(٧). ومما يؤكد هذه الاستجابة ويعجل بها أن يتحلى الداعي بآداب الدعاء وأن يحسن اختيار أوقاته واغتنام أحواله وملابساته ومن قبل ذلك تجنب محظوراته.

ولذلك قال زياد بن أبي زياد: أنا من أن أمنع الدعاء أكثر خوفا مني من أن أمنع الإجابة^(٨).

وقد تعددت آراء المفسرين في المراد بالدعاء في قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)^(٩)، وقوله سبحانه: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)^(١٠).

فذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد هنا بالدعاء العبادة، وبالإجابة المثوبة^(١١) وإن جوزوا أن يكون الدعاء على بابيه وعلى حقيقته وهو الصحيح^(١٢) وإن تعددت معاني الإجابة عندهم على الصور التالية:

١- إن المعنى: «أجيب إن شئت» فهو كقوله تعالى: (فيكشف ما تدعون إليه إن شاء)^(١٣) فهو من باب حمل المطلق على المقيد.

٢- إن المقصود هو تعريف جميع المؤمنين أن هذا هو وصف ربهم وأنه يجيب دعاء الداعين في الجملة وأنه

المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة^(١٤).

ومن هنا يقول الطرطوشي: (فمن آدابه أن تعلم أن سيرة الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين إن أرادوا استقضاء حاجة عند مولاهم أن يبادروا قبل السؤال فيقوموا بين يدي ربهم فيضعوا أقدامهم ويبسطوا أكفهم ويرسلوا دموعهم على خدودهم فيبدأوا بالتوبة من معاصيهم والتنصل من مخالفتهم)^(١٥).

فمن يرغب في الدعاء ويأمل في الاستجابة فعليه المسارعة إلى التوبة النصوح، إذ هي الأصل كما يقول حجة الإسلام الغزالي: (الأصل في الإجابة التوبة ورد المظالم وإن ذلك هو السبب القريب)^(١٦).

وعلى الحافظ ابن حجر أحاديث الاستغفار والتوبة في أوائل كتاب الدعوات بأن الإجابة تسرع إلى من لم يكن متلبساً بالمعصية فإذا قدم التوبة والاستغفار قبل الدعاء كان أمكن لإجابته. فملازمة المعصية مقتضية لعدم الإجابة إلا إذا تفضل الله على عبده^(١٧). وما أطف قول ابن الجوزي وقد سئل: أسيح أو أستغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور^(١٨). ومن هنا قيل التخلية مقدمة على التحلية. وقد أشار إلى هذا الأدب قول الحق سبحانه وتعالى (إنما يتقبل الله من المتقين)^(١٩).

ومن السنة الشريفة:

ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الرجل يطيل الشعر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب، يارب، ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام.

ويقول القشيري في تفسيره: ويقال: ادعوني بشرط الدعاء وشرط الدعاء الأكل الحلال إذ يقال: الدعاء مفتاح الحاجة وأسبابه اللقمة الحلال^(٢٠).

وقيل للثوري: ادع الله فقال: إن ترك الذنوب هو الدعاء. يعني أن الدعاء باللسان ترجمة عن طلب الباطن، وأنه إنما يصح لصحة التوجه وترك المخالفة

فمن ترك الذنوب فقد سأل الحق بلسان الاستعداد وهو الدعاء الذي يلزمه الإجابة ومن لا يتركها فليس بسائل، وإن دعاء سبحانه وتعالى ألف مرة^(٢١). ولا تعني هنا إجابة الثوري أنه يقول بترك الدعاء أو لا يحبذه وإنما يلفت الانتباه إلى أهمية ترك الذنوب والابتعاد عن المعاصي.

٢- الإخلاص:

وهو صدق التوجه إليه سبحانه وحسن الإقبال على أفراده وحده بالسؤال والطلب وما أحسن قول القشيري: تعليق القلوب بدون الرب في استدفاع الشر واستجلاب الخير تحقيق للوقت فيما لا يجدى وإذهاب للعمر فيما لا يغنى إذ المتفرد بالإيجاد برى، عن الأنداد^(٢٢).

وذكر أبو البقاء أن الإخلاص هو القصر بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده^(٢٣).

ومن التعبيرات الموحية في هذا المعنى ما يقوله المناوي من أن الإخلاص هو:

- ١- عمل يعين على الخلاص.
 - ٢- الخلاص عن رؤية الأشخاص.
 - ٣- تصفية العمل من التهمة والخلل^(٢٤).
- ومن تعبيرات الصوفية في الإخلاص قولهم:

- ١- أن لا تطلب لعملك شاهداً غير الله تعالى.
- ٢- ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله^(٢٥).

ويقول الطرطوشي في تفسيره للإخلاص: وخلوصه تصفيته من الآفات والوساوس وهو أن لا يشوبه شيء من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى، كما قالوا الإخلاص: خروج رؤية الخلق في معاملة الحق سبحانه فيبرأ من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الخلق أو محبة أو مدح^(٢٦).

والآيات الموجبة للإخلاص هي لب القرآن وقلبه وأساس دعوته وركيزته منهجه. قال تعالى: (واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له

(الدين) (٢٧).

(فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) (٢٨).

(هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين) (٢٩).

وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في إيجاب الإخلاص أكثر من أن يذكر، نكتفي هنا بقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (يا غلام إنني أعلمك كلمات يا غلام احفظ الله يحفظك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف) (٣٠).

ومن الإخلاص في الدعاء كما يقول القشيري: ألا ترى الإجابة إلا منه وألا ترى لنفسك استحقاقا إلا بفضلته وأن تعلم أنه إن بقيت في سؤالك عن مطلوبك الذي هو حقك - لا تبق عن عبادة ربك التي هي حقه. فإن الدعاء مخ العبادة (٣١) وضد الإخلاص الشرك في الاعتقاد والرياء في العمل.

الهوامش

- (١) إشارة إلى ما أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الدعاء مخ العبادة.
- (٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، (أشرف العبادة الدعاء).
- (٣) سورة غافر (آية ٦٠).
- (٤) سورة البقرة (آية ١٨٦).
- (٥) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له فيما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يؤخر له في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بائنا أو قطيعة رحم أو يستعجل بقوله: قد سألت وسألت فلم أعط شيئا) رواه الترمذي. فإذا كانت الإجابة بتحقيق حين المدعو به فإن تأكيد الإجابة تكون على الوجوه التالية: إما سرعة تعجيله، وأن يخلص له وينعم به دون أن تلحقه منقصات أو تكدره شوائب. أما إذا كانت الإجابة بمعنى ادخار نفع له فتكون الاستجابة مزيدا من الثواب والإكرام، أو دفع مزيد من الضرر عنه.

(٦) الدعاء المأثور وأدابه. أبو بكر الطرطوشي ص ٤١.

(٧) سورة البقرة (آية ١٨٦).

(٨) سورة غافر (آية ٦٠).

(٩) قال القرطبي: الدعاء العبادة كذا قال أكثر المفسرين، وقال النيسابوري: أكثر المفسرين على أن الدعاء هنا بمعنى العبادة والاستجابة بمعنى الإجابة. وقد دفعهم إلى ذلك تخلف الإجابة في كثير من الأحيان عن الدعاء وهي لا يعطف الشيء على نفسه مع أن العطف يقتضي المغايرة في قوله تعالى: (ادعوا ربكم تضرعا وخفية). وقد أجيب عن مسألة العطف هذه بأن الآية الأولى بيان شرط صحة الدعاء والثانية بيان فائدته ومنفعته كما قال الرازي أو أن كل آية تبين شرطين من شروطه كما قال الجمل في حاشيته.

(١٠) انظر حاشية الجمل على الجلالين وكذا الألوسي في تفسير آية غافر.

(١١) سورة الأنعام.

(١٢) انظر القرطبي في تفسير آية البقرة.

(١٣) أمالي المرتضى ج ١ ص ٦٠٤.

(١٤) مفردات القرآن ويقصد الراغب بالتدراك ما يتعلق بحق الغير من رد المظالم وإيصال الحقوق إلى أهلها ما أمكنه ذلك.

(١٥) آداب الدعاء ص ٤١.

(١٦) الإحياء ج ١ ص ٣٠٩ ط الحبي.

(١٧) فتح الباري ج ١١ ص ١٠٦.

(١٨) تحفة الذاكرين للشوكاني ص ٤١.

(١٩) سورة المائدة (آية ٢٧).

* خلس الشيء - بالفتح - يخلص خلوصا وخلصا إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم. وأخلصه وخلصه وأخلص لله دينه (فحصه).

والمخلصون: الذين أخلصوا العبادة لله، والمخلصون: الذين أخلصهم الله (أي اختارهم). انظر لسان العرب: مادة خلص.

(٢٠) لطائف الإشارات تفسير (ادعوني أستجب لكم).

(٢١) الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم).

(٢٢) لطائف الإشارات ج ١ ص ٥٤١.

(٢٣) الكلبيات ص ٦٤.

(٢٤) التوقيف ص ٤٢.

(٢٥) انظر مصطلحات الصوفية د. عبدالمعزم الحفني ص ٢.

(٢٦) آداب الدعاء ص ٧٥.

(٢٧) سورة الأعراف: ٢٩.

(٢٨) سورة غافر: ١٤.

(٢٩) سورة غافر: ٦٥.

(٣٠) أخرجه الترمذي.

(٣١) لطائف الإشارات ج ٣ ص ٢٩٩ - ص ٣٠٠.

من لم يقف بعرفة

د. سعود عبدالله الروقي

روى عن النبي ﷺ قال لأبي أيوب لما فاتته الحج «اصنع ما يصنع المعتمر ثم قد حلت، فإن أدركت الحج قابلاً فحج وأهد ما استيسر من الهدى».

وروى مالك رحمه الله في الموطأ أن حبار بن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه. فقال يا أمير المؤمنين أخطأنا العدد وكنا نظن أن هذا اليوم يوم عرفة فقال له عمر اذهب إلى مكة فطف بالبيت أنت ومن معك واسعوا بين الصفا والمروة وانحروا هدياً إن كان معكم ثم احلقوا أو قصروا ثم ارجعوا فإن كان عام قابلاً فحجوا واهدوا فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع».

وروى الأسود أيضاً عن عمر بن الخطاب قال في الرجل إذا فاتته الحج يحل بعمره وعليه الحج من قابل. وروى عن ابن عمر أنه قال: من أدرك ليلة النحر من الحاج ولم يقف بعرفة قبل أن يطلع الفجر فقد فاتته الحج فليأت البيت فليطف به سبعا ويطوف بين الصفا والمروة سبعا ثم ليحلق أو يقصر إن شاء وإن كان معه هدى فلينحر قبل أن يحلق فإذا فرغ من طوافه وسعيه فليحلق ثم ليرجع إلى أهله، فإذا أدركه الحج من قابل فليحج إن استطاع وليهد، فإن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله. وروى الدارقطني عن ابن عباس قال «من أدرك عرفات ووقف بها والمزدلفة فقد تم

حكم من فاتته الحج

والمعنى فات وقت

فعله، ومنه فاتت الصلاة إذا

خرج وقتها. ولم تفعل فيه، والحج

يفوت بفوات يوم عرفة لقول النبي ﷺ

«الحج عرفة» فمن لم يدرك الوقوف

بعرفة قبل طلوع فجر يوم النحر فقد

فاتته الحج لحديث جابر بن عبد الله قال: «لا

يفوت الحج حتى يطلع الفجر من ليلة

جمع قال: أبو الزبير فقلت له أقال

رسول الله ﷺ ذلك قال: نعم» رواه الأثرم.

وقول النبي ﷺ «من شهد صلاتنا هذه

» يعني بالمزدلفة «ووقف معنا حتى ندفع

وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو

نهاراً فقد أتم حجه وقضى

تفثه» صححه الترمذي

وابن خزيمة.

والأصل في الفوات ما روى عن النبي ﷺ وأصحابه فقد روى الدارقطني عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من وقف بعرفة بليل فقد أدرك الحج ومن فاتته عرفات بليل فقد فاتته الحج فليحل العمرة وعليه الحج من قابل» وروى ابن أبي شيبه عن ابن أبي ليلى عن عطاء أن نبي الله ﷺ قال: «من لم يدرك فعله دم ويجعلها عمرة وعليه الحج من قابل». وروى الشافعي رحمه الله أن عمر

حجه ومن فاته عرفات فقد فاته الحج وليتحلل بعمره وعليه الحج من قابل».

آراء العلماء فى حكم من فاته الحج

اتفق العلماء على أن من لم يدرك الوقوف بعرفة قبل طلوع فجر يوم النحر فقد فاته الحج ويتحلل إلا أنهم اختلفوا فى كيفية التحلل فمنهم من قال: يتحلل بطواف وسعى وحلق. روى ذلك عن عمر وابنه وزيد بن ثابت - رضى الله عنهم - وهو قول الشافعى واسحق والثورى وأحمد فيما روى عنه. وهو الصحيح من المذهب الحنبلى، ومنهم من قال: يتحلل بعمره وهو قول مالك وأصحاب الرأى وعند أبى حنيفة أصل الإحرام باق ويتحلل بعمل العمرة، ومنهم من قال: يجعل إحرامه بالعمرة منهم ابن عباس وابن الزبير وعطاء والزهرى والقاسم وأبيوسف صاحب أبى حنيفة وأحمد نص عليه واختاره أبو بكر من علمائنا، واستدلوا بما رواه النجاد بإسناده أن النبى ﷺ قال: «من فاته الحج فعليه دم وليجعلها عمرة وليحجج من قابل»، ولأنه يجوز فسخ الحج إلى عمرة من غير فوات فمع الفوات أولى واحتج أصحاب القول الأول بما رواه الشافعى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لأبى أيوب لما فاته الحج اصنع ما يصنع المعتمر ثم قد حلت.. الخ. وبما رواه مالك فى الموطأ بإسناد صحيح أن حبار بن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه، وقال: يا أمير المؤمنين أخطأنا العدد وكنا نظن أن هذا اليوم يوم عرفة فقال له عمر: اذهب إلى مكة فطف بالبيت أنت ومن معك واسعوا بين الصفا والمروة.. الخ.

قال الخطيب فى مغنى المحتاج: واشتهر ذلك بين الصحابة ولم ينكره أحد فكان إجماعاً ولئلا يصير محرماً بالحج فى غير أشهره، لأن استدامة

الإحرام كابتدائه وابتدأه حينئذ لا يجوز.

ولأن إحرامه انعقد بأحد النسكين فلم ينقلب إلى الآخر كما لو أحرّم بالعمرة.

واحتج أصحاب القول الثانى: بما رواه الدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «من فاته عرفات فقد فاته الحج يتحلل بعمره وعليه الحج من قابل».

ومن ناحية المعنى أن الإحرام بعد ما انعقد صحيح فطريق الخروج عنه أداء أحد النسكين إما الحج أو العمرة، وهنا تعذر عليه الخروج عنه بالحج حين فاته فعليه الخروج بعمل العمرة.

وقال أبو حنيفة ومحمد: لا يمكن جعل إحرامه للعمرة إلا بفسخ إحرام الحج الذى كان شرع فيه، ولا طريق لنا إلى ذلك، والدليل عليه أن المكى إذا فاته الحج يتحلل بعمل العمرة من غير أن يخرج من الحرم، ولو انقلب إحرامه للعمرة لكان يلزمه الخروج إلى الحل لأنه ميقات إحرام العمرة فى حق المكى.

وفى ضوء ما سبق يظهر لى والله أعلم أنه لا فرق بين الأقوال فالكل يقول بالطواف والسعى والحلق وهذه هى أعمال العمرة. فمن قال: يتحلل بالطواف والسعى والحلق يحتمل أراد أن يتحلل بالعمرة ومن قال: يتحلل بالعمرة يحتمل أنه أراد أن يقلب فيه الحج إلى عمرة خصوصاً وأن ذلك جائز من غير سبب ولا حاجة فمع الحاجة أولى ويؤيد ذلك قول النبى ﷺ فى حجة الوداع لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لجعلتها عمرة ولما سقت الهدى وأمر من لم يسق الهدى من أصحابه أن يجعلوها عمرة ويحلوا من إحرامهم علماً أنهم قد أهلوا من الميقات بالحج.

حكم القضاء علي من فاتته الحج

وجملة ذلك أن من فاتته الحج إما بخطأ في العدد أو اختفاء الهلال أو غير ذلك من الأسباب يتحلل بعمره كما قلنا. وهل يقضي الحج الفائت أم لا؟ علي قولين عند العلماء:

الأول: لا قضاء عليه إن كان الحج نفلا، وإن كان فرضا فعليه بالوجوب السابق لأنها حجة الإسلام فلم تسقط روي هذا عن عطاء وهي إحدى الروايتين عن أحمد رحمه الله. لأن النبي ﷺ لما سئل عن الحج أكثر من مرة قال: مرة واحدة. ولأنه معذور في ترك إتمام حجه، فلم يلزمه القضاء كالمحصر. ولأنها عبادة تطوع فلم يجب قضاؤها إذا فاتت كسائر التطوعات.

والقول الثاني: يجب القضاء عليه مطلقا سواء كان الحج الفائت فرضا أو نفلا. ويروي ذلك عن عمر وابنه وزيد وابن عباس وابن الزبير وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي وأحمد في إحدى الروايتين عنه اختارها الخريقي ودليلهم ما رواه الشافعي في مسنده أن عمر رضي الله عنه قال: لأبي أيوب لما فاتته الحج «اصنع ما يصنع المعتمر ثم قد حللت، فإن أدركت الحج قابلا فحج.. الحديث.

وما رواه مالك في الموطأ في كتاب الحج أن حبار ابن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه وقال: يا أمير المؤمنين أخطأنا العدد وكنا نظن أن هذا اليوم يوم عرفة فقال له عمر: اذهب إلي مكة فطف بالبيت أنت ومن معك واسعوا بين الصفا والمروة وانحروا هديا إن كان معكم ثم احلقوا أو قصروا ثم ارجعوا فإن كان عام قابل فحجوا.. الحديث.

واستدلوا أيضا بما رواه النجاد بإسناده عن عطاء أن النبي ﷺ قال: «من فاتته الحج فعليه دم وليجعلها عمرة وليحجج من قابل».

واستدلوا أيضا بما رواه الدارقطني بإسناده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ «من فاتته عرفات فقد فاتته الحج يتحلل بعمره وعليه الحج من قابل».

ولأن الحج يلزمه بالشروع فيه فيصير كالمنذور بخلاف سائر التطوعات. كما استدلوا أيضا بإجماع الصحابة علي ذلك، لذلك أكون لهذا القول مرجحا لقوة دليلهم.

أما ما استدل به من قال: بغير هذا من الحديث فإنه - عليه الصلاة والسلام - أراد الواجب بأصل الشرع حجة واحدة في العمر أما مسألتنا هذه فالحج وجب بإيجابه له بالشروع فيه فهو كالمنذور، وأما قياس من فاتته الحج علي المحصر فلا يصح، لأن المحصر غير منسوب إليه التفريط بخلاف من فاتته الحج فضلا عن أن هناك من يقول بوجوب القضاء علي المحصر، وأما القول بأنها عبادة تطوع فلم يجب قضاؤها إذا فاتت كسائر التطوعات فقول غير صحيح لأن الحج عبادة تلزمه بمجرد الشروع فيه كالنذر بخلاف سائر التطوعات. والله أعلم وأعلى.

حكم الهدى علي من فاتته الحج

هل يلزم من فاتته الحج هدي؟ الكلام في هذه المسألة علي قولين: الأول "يجب عليه الهدى بذبحه في حجة القضاء عند من قال بوجوب القضاء وإلا ذبحه في عامه وهو قول مالك والشافعي وأحمد في أصح الروايتين عنه ويروي ذلك عن عمر وابنه وابن عباس وزيد وابن الزبير. وحجتهم في ذلك ما رواه النجاد بإسناده أن

فإن كان الذى فاته الحج قارنا حل وعليه مثل ما أهل به من العام القابل وبه قال أحمد وأبو ثور وإسحاق وعند الشافعية قولان أصحهما كذلك لأن القضاء يجب على حسب الأداء فى صورته، ولأن العمرة المقرونة بالحج تبعاً له تفسد بفساده.

وقال أصحاب الرأى يطوف ويسعى لعمرة ثم يطوف ويسعى لحجه ثم يحل ويقضى الحج فقط لأن العمرة لا تقوت وما فاتته هو الحج فوجب قضاؤه وهو القول الثانى للشافعية. ويلزمه هديان واحد لقارانه والآخر لفواته وهذا عند المالكية والشافعية والحنابلة. وقال أصحاب الرأى لا شئ عليه لأن دم القران قد بطل عنه بالفوات.

وإذا قضى الحج الفائت أجزأه عن حجة الإسلام، لأن الحجة المقضية لو تمت لأجزأت عن الواجبة فكذلك قضاؤها لأن القضاء يقوم مقام الأداء، فإن اختار من فاتته الحج البقاء على إحرامه للحج من العام القابل فله ذلك ولا هدى عليه وهذا روى عن الإمام مالك رحمه الله لأن تطاول المدة بين الإحرام وفعل النسك لا تمنع من إتمامه كالعمرة وقال: أصحاب الرأى والشافعية لا يجزؤه ذلك الإحرام.

وإذا أخطأ الناس فى العدد فوقفوا فى غير يوم عرفة أجزأهم ذلك لما روى الدارقطنى بإسناده عن عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد قال: قال رسول الله ﷺ «يوم عرفة الذى يعرف فيه الناس» فإن اختلفوا فأصاب بعضهم وأخطأ البعض وقت الوقوف لم يجزئهم لأنهم غير معذورين فى هذا وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «فطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحون» رواه الدارقطنى.

النبي ﷺ قال: «من فاتته الحج فعليه دم» الحديث. وقول عمر لأبى أيوب لما فاتته الحج «اصنع ما يصنع المعتمر.. إلى أن قال: واهد ما استيسر من الهدى».

وما رواه مالك فى الموطأ أن حبار بن الأسود لما فاتته الحج لأنه أخطأ فى العدد قال له عمر اذهب إلى مكة إلى أن قال: فإن كان عام قابل فحجوا واهدوا فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع. وكذلك اجماع الصحابة رضى الله عنهم.

القول الثانى: لا هدى على من فاتته الحج وهو قول أصحاب الرأى وهى روايتان عن أحمد لأنه لو كان الفوات سبباً لوجوب الهدى للزم المحرم هديان بالفوات والإحصار.

ويؤيد قولهم ما رواه الدارقطنى عن ابن عباس «من أدرك عرفات ووقف بها والمزدلفة فقد تم حجه ومن فاتته عرفات فقد فات الحج ويتحلل بعمره وعليه الحج من قابل».

وما رواه الأسود عن عمر بن الخطاب قال فى الرجل «إذا فاتته الحج يحل بعمره وعليه الحج من قابل» ولم يذكر هدياً.

ولأن فائت الحج قادر على التحلل بالطواف والسعى فلا يجب عليه الدم بالقياس على المحصر لأن المحصر عاجز عن التحلل بالطواف والسعى ولهذا القول أرجح لأنه لا يوجد دليل من كتاب أو سنة صحيحة يوجب الهدى على من فاتته الحج والأصل براءة الذمة وقياسه على المحصر قياس مع الفارق لأن هذا قادر على التحلل والخروج من الإحرام بالطواف والسعى وذاك عاجز عنه فكان الدم بدلاً لجواز التحلل وبالله التوفيق.

الإسلام فتح مواجهة التحديات

عرض : أنور الجندى

الشيخ عطية صقر

يقول الكاتب

حفظه الله: ان عملية غزو الإسلام بالأفكار والمفاهيم

الغريبة هي عمل عرفه المسلمون منذ اليوم الأول للإسلام من خلال

مقولات تولى كبرها خصوم الإسلام وحشيت بها كتب تفاسير القرآن الكريم

وعرفت من خلال كثير من الكتب أمثال:

لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن المتوفى سنة ٧٤١ هـ وكتاب

العرائس في قصص الأنبياء

طريقاً فظهرت الشعبية التي تمجد العنصرية وقد وضعوا كتباً محشوة بالآراء والمذاهب الدينية القديمة في بلادهم وكتبوا في مثالب العرب والحث من شأنهم وظهرت الراوندية والحزمية وجماعة الحشاشين القائلين بالظاهر في الأصول الثابتة والدعوة إلى التحلل من القيود معتمدين في نشاطهم على (المانوية) إحدى الأديان الفارسية القديمة وقد ألفوا كتباً شوهوا فيها أخلاق العرب وقد أدى النزاع السياسى وخاصة بين الأمويين والهاشميين وكان له أثره في دس أفكار وأخلاق

وكانت معارضة اليهود للدعوة بأفكارهم ومؤامرتهم لم تنقطع بعد عصر النبوة وتولى كبرها جماعة منهم تظاهروا بالإسلام وقد سجل التاريخ دور (كعب الأحبار) في هذا المخطط كما سجل دور عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء والذي تجول في عواصم الإسلام ليفتن الناس في الدين على نحو من طريق الدعوة إلى الحلول وكان رأيه جرثومة لمذهب الغلاة من بعده. واتخذ الغزو الفكرى داخل المجتمع الإسلامى

مبادئ نشأت على أثرها فرق لبست ثوب الدين ووصل النزاع السياسى إلى حد وضع الأحاديث على النبى ﷺ لتبرير تصرفات القائمين على الأمر.

وقد وجدت هذه الأفكار المسمومة مرتعا خصبا أمام العباسيين بالذات وكان من العوامل المساعدة لها استيراد الكتب الأجنبية المملوءة بالأفكار المعقدة خاصة من الامبراطور البيزنطى.

وعن هذا الطريق وغيره دخلت أفكار اليونان والرومان كما ظهرت أفكار الفرس وحكمة الهند على سطح الثقافة الإسلامية وفتن بها الكثيرون وبلغ من عناية بعض المولعين بها أن وضعوا كتباً تحاول التوفيق بين هذه الثقافة الغربية وبين ما جاء به الإسلام بصرف النظر عن نجاحهم أو فشلهم فى هذه المحاولة.



وقد قام غزو خارجى للفكر الإسلامى سار فى خط متواز مع الغزو السياسى والعسكرى وان لم يظهر بوضوح إلا عندما فشلت الحملات العسكرية فى القضاء على الإسلام كدين ودولة.

وكان الغزو التترى الذى كان من نتائجه قتل كبار الكتاب والعلماء وإلقاء الكتب التى حوت تراث الإسلام وفكر المسلمين فى دجلة ولم يصدده عن متابعة غزوه إلا هزيمته فى عين جالوت سنة ٦٥٨هـ وذكر التاريخ أيضاً أخبار الموجات الصليبية العارمة التى انكسرت حداثها بضربة صلاح الدين حين خلص بيت المقدس ٥٨٣ هـ ولم تنته الموجات الصليبية الحاقدة إلى يومنا هذا على الرغم من قول الجنرال (النبى) البريطانى الذى دخل بيت

المقدس فى الحرب العالمية الأولى. قد انتهت الحروب الصليبية وعلى الرغم من قول جورو الفرنسى: ها قد عدنا بإصلاح الدين كما حكى التاريخ محنة المسلمين فى الأندلس التى ظل الإسلام يؤدى فيها رسالته الحضارية ثمانية قرون من وقت أن عبر جيشهم مضيق جبل طارق سنة ٧١١ م إلى أن خرجوا منها لأول مرة سنة ١٦١٠ م.

ومما يدل على حق النصارى على المسلمين أن الكردينال (كسيمنس) أمر سنة ١٥١١ م بإحراق الكتب الغربية والمصاحف المخطوطة فى ميادين غرناطة ثم تولى ديوان التحقيق الدينى إبادة آثار المسلمين.

وعلى الرغم من هذه الحركات السياسية والعسكرية ضد الإسلام فإنه مازال لعقيدته ومبادئه باقيا، ومازال ينتشر وينشر فى بلاد كثيرة بعيدة عن المركز السياسى الرسمى للإسلام: الأمر الذى جعل الأعداء يعدلون عن خططهم فى الغزو فكان الغزو الفكرى بديلا عن الغزو العسكرى والسياسى وكانت له أسلحته ذات النوعية الخاصة والأساليب المتنوعة المبتكرة مع تيقظ العدو لكل نشاط عسكرى وسياسى يقوم به المسلمون لاستعادة أمجادهم الأولى كما حدث فى تكتل الدول الحاقدة ضد الخلافة العثمانية التى وصلت بفتوحاتها وقوتها العسكرية إلى أسوار فيينا ثم كانت المسالة الشرقية التى صفيت فيها تركيا وجعلت تحت النفوذ الأجنبى وكانت حقلا خصيبا لمتابعة الغزو الفكرى والخلقى وهكذا توالى الحرب على الإسلام فى حلقات ثلاث متتابعة:

أولا: فى عصر الإسلام الأول مع الشعوبية

ومن هؤلاء الثلاثة تحالف قوى فى هذه المهمة الخطيرة ويتبع هذا حشد متنفع أو انتهازى وهم العملاء المقيمون فى داخل المجتمع الإسلامى لتنفيذ خطط هؤلاء ومساعدتهم فى بسط نفوذهم الثقافى والأخلاقى وفى كل ما يريدون.

قوى الغزو الثقافى

المبشرون، المستشرقون، الاستعمار

هناك ثلاثة حشود جبارة موجهة إلى ميدان المعركة ضد الفكر الإسلامى هى المبشرون، والمستشرقون والاستعمار، يتبع هذه العناصر قوى فى هذه المهمة الخطيرة، ويتبع هؤلاء العملاء المقيمون داخل المجتمع الإسلامى.

أولاً: المبشرون الذين يبشرون بالإنجيل بين المسلمين وغير المسلمين كانوا طليعة الاستعمار فى ارتياد المجاهل فى افريقيا وآسيا.

ويقول (بلفور) صاحب الوعد المشئوم لليهود: إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة وعضدها فى كثير من الأمور الهامة.

ومن أهمها عمل المبشرين على حصن المستعمرين على فتح قناة السويس والاستيلاء عليها.

وكان النشر عاملاً مهماً فى كسر شوكة هذه الحركات ذلك ان التبشير يعمل على إظهار الأوربيين فى نور جديد جذاب وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها.

ومعنى هذا ان التبشير انحرف عن مهمته

وخصوم الإسلام.

ثانياً: فى مواجهة التتار والصليبيين وخروج المسلمين من الأندلس.

ثالثاً: فى العصر الحديث بعد سقوط الخلافة.

وهكذا كان الغزو الفكرى مدخلا إلى الهجوم على الإسلام وتخطيط منظم لمواجهتها.

ومما يدل على أن هدفهم الأكبر هو حرب الإسلام كدين ونظام شامل ما جاء فى شروط المعاهدة التى عقدها الحلفاء مع تركيا فى مؤتمر لوزان سنة ١٩٢٣ دليلاً على النوايا السيئة لإبعاد الإسلام عن مجال الحياة السياسية وحصره فى دائرة ضيقة بعيداً عن المجتمع تطبيقاً لمبدأ فصل الدين عن الدولة الذى أقاموا عليه نهضتهم الحديثة ولقد كان من بنود هذه المعاهدة:

أولاً: قطع كل صلة بالإسلام.

ثانياً: إلغاء الخلافة الإسلامية.

ثالثاً: إخراج أنصار الخلافة والفكرة الإسلامية من البلاد.

رابعاً: اتخاذ دستور مدنى بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس عن الإسلام.

وكانت حركة اتاتورك العلمانية تنفيذاً لهذا المخطط ولقطع كل صلة بالإسلام.

❖❖❖
هناك ثلاثة حشود جبارة موجهة إلى ميدان المعركة ضد الفكر الإسلامى وهى: المبشرون - المستشرقون - الاستعمار.

وعمل لصالح الاستعمار متواطئاً معه على هدم الفكرة الإسلامية ووقف الزحف الإسلامى.

يكشف كل هذا الكتاب الغارة على العالم الإسلامى. وكان من أهم أهداف التبشير نشر الإنجيل مترجماً باللغات الحية وبكل لغة فيها رعايا كثيرون ويبيع هذه الكتب بثمن زهيد والاهتمام بتعليم اللغات الأوروبية لقراءة أفكار الأوروبيين والاهتمام بتجنيد النساء وذلك لسهولة دخولهن إلى البيوت وعمل صداقات مع الأسر وعن طريق ذلك تبث الأفكار التبشيرية وعمل صداقات واحتكاكات مع المسلمين.

وأشار إلى عرقلة جهود الأزهر فى بعثة العلماء إلى إفريقيا وغيرها وتعليمه للوافدين منها والانفاق عليهم وعودتهم إلى بلادهم ثانية وفتح مدارس وجامعات فى بلاد المسلمين لتعليم اللغة العربية والدراسة الإسلامية وذلك على منهج التبشير وبأفكاره.

٢ - المستشرقون:

أما المستشرقون فهم يركزون على النقط التى يشوهون بها الإسلام ويوجهون إليها الطعون بأسلوبهم وعلى منهج بحثهم وعلى ضوء العقيدة التى يعتقونها والهدف الذى يصوبون نشاطهم إليه.

وهذه المادة الخصبة من الأكاذيب والطعون هى التى تحول المبشرين بما يساعدهم على نجاح مهمتهم فالمستشرقون يخططون لايعدون والمبشرون يتلقون وينفذون. وقد نشأت فى أحضان الاستشراق الروسى

جمعية المستشرقين ومعهد خاص للدراسات العليا للشئون الإسلامية وأهداف هذه الجمعية.

أولاً: إضعاف الروح المعنوى الدينى بين المسلمين لإبعادهم عن عقيدتهم وتشكيكهم فيها.

ثانياً: إغراء المسلمين بالمفاهيم المادية الجديدة بأسلوب خلاب.

ثالثاً: ترك ما قبل الإسلام وقد ركز هذا المعهد على:

١ - تطعيم أفكار المسلمين بالعقائد والمفاهيم المادية بأسلوب يتمشى مع مزاج كل شعب إسلامى.

٢ - تشريب الفلسفة المادية إلى عقول المسلمين ليتراءى لهم أن المفاهيم الإسلامية متناقضة.

٣ - تدعيم هذه الفلسفة بالبراهين من أقوال وفتاوى علماء المسلمين فى أمورهم ومسائلهم الخلافية.



وقد ركز المستشرقون على عدة قضايا أساسية.

أولاً: العقيدة الإسلامية والعمل على تزييف مفاهيمها والطعن فى شخصية رسول الله ﷺ وركزوا حملة ضخمة على القرآن الكريم وطعنوا فيه بأنه غير موحى به من الله وقام المستشرق آرثر جفرى بنشر كتاب (المصاحف) لابن أبى داود لأن فيه شبهات تخدم عرض المستشرقين فى الطعن على الإسلام كما قام بحملة ضخمة على الشريعة الإسلامية ونقدوا كثيراً من أحكام

الشرعية فى عباداتها ومعاملاتها.

وقد روج هذه السموم كثيرون من كتابهم فى القرون الثلاثة الأخيرة بالذات امثال باسكال وماليرانش ومونسكيو وفولتير ورندان وكارلوف ودير منجهم.

وقد صوّب المستشرقون وحلفاؤهم المبشرون سهامهم المسمومة إلى الإسلام من هذه الميادين وغيرها.

كما قاموا بترجمة القرآن الكريم ترجمة غير دقيقة لجهلهم باللغة العربية وأساليبها البلاغية ومكانة الإسلام ومبادئه.

ثالثا: الاستعمار:

وكان الاستعمار هو السند القوى لجيش المبشرين والمستشرقين وبهذا التحالف كان خطر النزو.

وكان هدف الاستعمار هو تعبير الأيدلوجية الإسلامية وأخطر المستعمرين فى هذا المجال من لا يدينون بدين سماوى.

انهم يحاولون زرع العلمانية المادية الملحدة فى نفوس الناس عامة والعلمانية الحديثة هى امتداد لفكرة النهضة الأوروبية الحديثة التى ناصبت فيها الأديان العداء حيث كان المجتمع الأوروبى يخضع لسلطة ذات ثلاث ركائز (الكنيسة، والملكية والنبلاء).

ولما تقدمت العلوم زاد بعد الناس عن الدين وكان فصل الدين عن الدولة مظهرا من مظاهر العلمانية الملحدة التى وجهت النقد المر لتعاليم

الكنيسة لإيمانها بالخطيئة الموروثة.

وفق كتابات روسو ولينتر، ورسو وغيرهم ان العلمانية تقدمت فألغت الدين إلغاء كاملا ودعت إلى عبادة الإنسان العامل أو إلى المادية التاريخية وتقديس المجتمع والدولة.



وكان للماركسية أن تنتهى بإلغاء المسيحية كدين واستبدال البلشفية بها.

وعملت هذه القوى على إبعاد الدين عن مجال النشاط البشرى وحصره فى دائرة ضيقة وتوجيه الضربات العنيفة للإسلام بالذات.



وقد عملت هذه القوى على توسيع التبادل الثقافى بين المسلمين وغيرهم من الدول الأجنبية وذلك بطرق منها:

١. تخصيص منح للطلاب.
 ٢. استخدام أساتذة وخبراء إلى المستعمرات.
 ٣. تناول الأفلام والفرق الفنية المختلفة.
 ٤. تشجيع الرحلات وبخاصة للشباب والشابات.
 ٥. التوسع فى توزيع الكتب والصحف والمجلات بأثمان زهيدة.
- وكان الهدف الأكبر هو إنشاء جمعيات بعناوين براقة وعمل مؤتمرات ومنظمات تحت أسماء خادعة ومن الجمعيات الشيوعية نادى الروترى والتسلح الخلقى وأصدقاء الشرق الأوسط واليونسكو العربية

وقد بين المختصون صلة الروتارى بالصهيونية
والماسونية وأبرز أعمال هذه الجماعات:

١ - تشجيع تأليف كتب وعمل أفلام دينية
وتاريخية لتشويه محاسن الإسلام، والعناية بالغزو
الحضرى والعمرانى وبعث القوميات والعنصريات
ومحاولة لفت الأنظار إلى الحضارات واللغات
المحلية القديمة حتى يميل الناس إلى ماضيهم
الأول ويقل اتصالهم بالإسلام الوافد عليهم
ويزهدون فى لغة الإسلام التى وحدتهم كافة.

وكذلك تشجيع النحل والمذاهب الهدامة
كالبابية والقاديانية وتشجيع الثورات والحركات
التحريرية التقدمية التى لا تعنى بالأديان والتركيز
على مبدأ الحرية وتوسيع مفهومها ومجالات
تطبيقها فى الفكر والتربية والسلوك وفى ظل هذه
الحرية يمكن إعلان الإلحاد والتحلل من الآداب
ورفض القيم الأدبية المتوارثة كذلك تمجيد
المساواة ومبادئ الثورة الفرنسية بعامة لتطالب
المرأة بمساواتها للرجل فى الميراث والمناصب
وسائر الحقوق وليطعن فى الرق وولاية الرجل
على المرأة فى الزواج.

وهدم كل مراكز القوى التى تتناوى مخطط
الغزو الفكرى فوضعوا فى رأس القائمة السوداء
كل الجامعات الدينية فى العالم الإسلامى ونحب
أن نذكر قول جلا دستون فى مجلس العموم
البريطانى (لن يقر لنا قرار بين المسلمين مادام
هذا الكتاب القرآن) والأزهر.

ومن نتائج هذا:

١ - استبدل بدستور الله دساتير أجنبية لا
تناسب مع عقيدتنا وأخلاقنا وسلوكنا الذى حدده

القرآن بوضوح.

٢ - ضعف الإقبال على تعلم الدين والفقہ فيه
لأن ظله تقلص من حياة الناس.

٣ - ترتب على ذلك شيوع الإلحاد والجهر به
من غير حياء ولا رادع.

٤ - التهكم بمقدسات الدين من نبوة وقرآن
ونقلت عبارات الدين على السنة الكتاب.

٥ - تمجيد رجل الفكر الغربى وذكرهم
بالعبارات المملوءة بالاحترام.

٦ - شيوع نظريات تربوية وسلوكية جديدة تقوم
على تمجيد حرية الفرد.

٧ - وجود فئة من الكتاب وأصحاب الرأى
جندت نفسها للدعوة إلى الفكر الغربى ومحاولة
جر الفكر الإسلامى إليه لتطويره على أساسه.

٨ - إطلاق حرية الرأى فى نقد الدين والأوضاع
القديمة بشكل عام.

٩ - تفكك الأسرة وضعف احترام الرابطة
الزوجية نتيجة التشبع بالأفكار الغربية فى موضوع
الحرية الشخصية بالذات.

١٠ - جفاف العلاقات العامة بين الناس وتغلب
الروح المادية عليها.

١١ - اضطراب الأمن وذلك بعدم إقامة الحدود
الشرعية.

١٢ - هناك عقبات كثيرة نتجت عن هذا الغزو
الفكرى من الصعب حصرها هذا وبالله التوفيق.

وفى التراث حقائق وأوهام ٢٢

عقيدة التوحيدى.. بين الزندقة والفلسفة

د/ محمد عمارة

كان أبو حيان التوحيدى «ناسخا.. ووزاقا»، وجامعا للروايات والأفكار والشواهد والمأثورات، أكثر مما كان «مبدعا خلّاقا».. وكانت إضافاته واستنباطاته وصياغاته تميزه عن غيره من «الرواة» الذين لم يمتلكوا مواهبه الأدبية والفنية التى تميز بها.. ومن هنا تأتى ضرورة التمييز - ونحن نبحث عن عقيدته فى مؤلفاته ومصنفاته - بين إضافاته وبين رواياته عن الآخرين.. ولحسن الحظ فلقد كان الرجل دقيقا وأميناً عندما نسب الروايات والمأثورات والأفكار إلى أصحابها، مميّزا لها عمّا له من إضافات واستنباطات.

العلم الإلهى.. فيقول: «فالله الذى لا سبيل للعقل أن يدركه أو يحيط به أو يجده وجدانا، أولى وأحرى أن يُمسك عنه عجزاً أو استخذاءً، وتضأؤلاً واستعفاءً، إلا بما وقع الإذن به من جهة صاحب الدين الذى هو مالك أزمنة العقول ومرشدها إلى السعادات، وواقفها عند الحدود، وزاجرها عند التخطى إلى مالا يجوز. فعلى هذا قد وضح أن الصمت فى هذا المكان أعود على صاحبه من النطق، لأن الصمت عن المجهول أنفع من الجهل بالمعلوم، والتظاهر بالعجز فى موضعه كاستطالة بالقدرة فى موضعها، وليس للخلق من هذا الواحد الأحد إلا الإنّيّة^(١) والهوية، فأما كيف؟ ولم؟ وماهو؟ فإنها طائفة فى الرياح كما تسمع وترى^(٢)»... فهو مؤمن، وداعية للإيمان بعجز العقل عن أن يكون الحاكم فى الإلهيات والغيبيات.

ولأسف الشديد، فإن هذا المنهاج البدهى فى التمييز بين إضافات الرجل التى تحسب له وعليه، وبين الروايات التى رواها وجمعها وصنفها. هذا المنهاج لم يلتفت إليه، ولم يلتزم به الذين اتهموه فى عقيدته قديما.. ولا الذين رَووا آراء القدماء فى عقيدته وفى مكانته من الدارسين المعاصرين!

فهل كان التوحيدى - فى إضافاته واستنباطاته - زنديقا؟

إن إبداعات الرجل تنفى هذا الاتهام على وجه القطع واليقين.

فهو لا يقف فقط عند الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ولا عند البرهنة على وجوده وعلى إبداعه لهذا الوجود.. وإنما ينبه على حدود العقل ومحدوديته فى

والدين - الذى هو تكليف إلهى - عند التوحيدى هو الأساس والدعامة فى الخلق وفى سائر ميادين العمران للدنيا والآخرة جميعا .. وعن ذلك الاعتقاد يقول هو - وليس الذين روى عنهم - : « وأنا أقول : .. كيف تصح الفتوة إذا خالفها الدين؟ وكيف يستقر الدين إذا فارقته الفتوة؟ الدين تكليف من الله تعالى، والفتوة أخلاق بين الناس، ولا خلق إلا هذبه الدين، ولا دين إلا ما هذبه^(٢).. فالدين هو العمود والدعامة فى عمارة الدارين .. »^(٤).

فالدين تكليف إلهى ووحى سماوى، ولا خلق إلا بالدين .. ولا قيام للدنيا ولا سعادة فى الآخرة إلا بالدين .. والدين عند التوحيدى ليس مجرد خلق، ولا هو فقط إيمان بالله خالق، وشعائر وعبادات .. وإنما هو أيضا شريعة حاكمة لتدابير الدولة والسياسة والاجتماع الإنسانى .. وهو - فى تقرير هذه الحقيقة - يتحدث عن « الشريعة التى جعلها الله تعالى تمام الشرائع، ومضافة إلى الرسول - ﷺ - الذى ختم الله عز وجل به الأنبياء والرسول^(٥) وكيف « أن الناظر فى أحوال الناس ينبغى أن يكون قائما بأحكام الشريعة، حاملا للصغير والكبير على طرائقها المعروفة، لأن الشريعة سياسة الله فى الخلق، والملك سياسة الناس للناس، على أن الشريعة إذا خلت من السياسة كانت ناقصة، والسياسة متى عريت من الشريعة كانت ناقصة^(٦) .. ».

وإذا كان الدين عند التوحيدى هو الدعامة والعمود للدنيا والآخرة، وشريعته الإلهية هى قانون سياسة الله فى الخلق، فإن هم الإنسان بالدار الآخرة، عند

التوحيدى يرجح همه بالدنيا، لأنها هى المعاد والمآب ودار الخلود، فهى خير وأبقى « .. والإنسان فى هذا العالم، وإن بلغ المنتهى فى أمانى نفسه من كل علم، كالهندسة والحساب والنجوم والطب وسائر أجزاء الفلسفة، وكذلك إن أشرف على غاية كل علم يتعلق بالأديان والآراء والمقالات والنحل، فإن آخر مطالبه أن يعلم معاده، ويعرف منقلبته. وكذلك أيضا إذا بلغ فى الدنيا كل حال غليظة، وكل دولة سنيّة، من المال والثروة واليسار والعزة والأمر والنهى والتأييد على أصناف البرية، ونيل كل شهوة ولذة، وبلوغ كل إرادة وأمنية، فإن آخر ما يقتصره أن يقف على ما يتحول إليه، ويصير مرتبنا به. ومفكوكا منه، فقد صار النظر فى هذه الخاصة والخالصة من أشرف مافى قوة الإنسان، وأعلى مافى همته، وأعظم فوائده^(٧) .. ».

فكفة الآخرة عند الإنسان هى الأرجح على ما فى الدنيا من ثروات وسلطات .. وإذا قامت ثقافة الإنسان على علوم عالمى الغيب والشهادة، فإن اهتمامه « بالمصير » أكبر من اهتمامه « بالمسير » ..!

ولم يكن التوحيدى إزاء الدين والتدين مجرد « مفكر » يتحدث « بالمنطق » عن ضرورة من ضرورات سياسة الدنيا وتدبير الاجتماع الإنسانى .. وإنما كان - على المستوى الإنسانى والذاتى - متعلقا بحال الدين طلبا لنجاته يوم الدين! .. فهو يتضرع إلى الله قائلا: « جعلنا الله عز وجل يوم الفزع الأكبر فى زمرة رسوله - ﷺ - كما جعلنا من أمته، ورزقنا شفاعته، كما ألهمنا طاعته بمّنه وجوده^(٨) .. ».

ولقد كانت ثقته فى الله بلا حدود، ورجاؤه فى

عفوهِ ورحمته في مستوى اليقين.. حتى إنه في أخرج اللحظات، وعندما كان يحتضر.. التف حوله جمع من عارفيه وذويه، فقالوا - وقد عاينوا قرب لقاءه لمولاه -: «اذكروا الله، فإن هذا مقام خوف.. وكل يسعى لهذه الساعة. وجعلوا يذكرونه ويعطونه».. فما كان من التوحيدى إلا أنه رفع رأسه إليهم وقال: كأني أقدم على جندي أو شرطى! إنما أقدم على رب غفور^(٨).. وصعدت روحه إلى بارئها، في لحظة من لحظات الثقة في عفو الله!

فهل هناك مجال للقول بأن صاحب هذا «الفكر» وهذا «الموقف» كان زنديقا.. فضلا عن أن يكون شر زنادقة الإسلام؟! أم أنه «ضيق أفق التعصب المذهبي» هو الذي رمى التوحيدى بهذا الاتهام؟!

وهل كان التوحيدى فيلسوفا ؟ :

وإذا لم يكن التوحيدى زنديقا - يبطن الكفر ويظهر الإسلام - فهل كان تفلسفه السبب في رميه بالزندقة، من قبل الذين لا يميزون بين الزندقة والتفلسف - وهم تيار في ثقافتنا وتراثنا؟

إن عددا من الدارسين المعاصرين للتوحيدى قد أضفوا عليه - من باب المدح لا القدح - صفة الفيلسوف.. فهو عند البعض «كان فيلسوفا بحث عن الحقيقة، وأثار التساؤل إزاء جميع المقولات الصعبة أو المحرمة في زمانه، وكان له جواب جريء عميق.. وهو أول فنان وفيلسوف فن في تاريخ الإبداع العربى، استطاع أن يقدم فلسفته الجمالية عن خبرة جمالية إبداعية، واستطاع أيضا أن يلخص مفهوم فلسفة الفن

عند العرب في القرن الرابع الهجرى^(١٠)..».

كما كان موضوعا لرسالة ماچستير في الفلسفة.. تحدثت عن «أن صلة التوحيدى بالفلسفة والفكر والقضايا الفلسفية صلة وثيقة وأصلية، بمعنى أن له في هذا الميدان علما وإحاطة واهتماما.. وهو فيلسوف وجودى من حيث ارتباط فكره بحياته^(١١)»..

فهل حقا كان التوحيدى فيلسوفا.. حتى يجوز لنا أن نمدحه بذلك؟.. أو أن يقدر البعض في اعتقاده لذلك أيضا؟!..

إن التوحيدى نفسه هو الذى يقرر أنه لم يكن من أهل هذا الميدان.

فكتابه (المقابسات) - والذى هو محاورات فلسفية تسود فيها الأفلاطونية الحديثة فلسفة الحدس الصوفى - جميعه نقول ومأثورات وروايات، يرويها التوحيدى منسوبة إلى فلاسفة عصره الذين عاشهم، ونسخ مؤلفاتهم، ودون حواراتهم، وكتب أجوبة الأسئلة التي وجهها إلى بعضهم.. وهو قد دون هذه المحاورات الفلسفية استجابة لمن طلب منه ذلك.. وأعلن أنه مجرد راوية ومدون لأراء الفلاسفة، وجامع لها.. وفي ذلك يقول - مخاطبا من طلب منه هذا الجمع والتدوين -: «أطال الله حياتك.. لم يذهب على حظي في البدار إلى رسمك. والسرع إلى طاعتك فيما أشرت إليه، وحضضت عليه، من تصنيف أشياء من الفلسفة رويتها لك.. عن مشائخ العصر الذى أدركته والزمان الذى لحقتهم فيه.. فأقبلت.. أتألف ما شرد منها، وأنظم ما انتثر منها، وأرقع بجهدى وطاقتى شملها، وأحلى

بوسعى عطلها^(١٢)»..

وأكثر من هذا - فى حسم هذه القضية - نجده فى كتابه (الصداقة والصديق) ينفى أن يكون من أهل هذا الفن وذلك الميدان.. فبعد أن ينقل عن أبى سليمان السجستانى ٣٧٢هـ - ٩٨٣م) - وهو من الفلاسفة المعاصرين الذين ينقل عنهم التوحيدى فى كتبه مئات الصفحات! - بعد أن ينقل عنه كلاما فى الصداقة.. يسك عن أن يدون فى كتابه (الصداقة والصديق) ما قاله أبو سليمان من الفلسفة، لأنه - بعبارة التوحيدى - «لا يدخل فى هذه الرسالة» و«لأنه من الفلسفة، التى هى موقوفة على أصحابها، لا نزاحمهم عليها، ولا نماريهم فيها»^(١٣)..

فكما لم يكن الرجل «زنديقا» فإنه لم يكن «فيلسوبا»!..

الهوامش

١ - الإنيئة - بكسر الهمزة والنون المشددة وفتح الياء مشددة - هى الوجود الفردى المتعين، مقابل «الماهية»، وهى - عند الصوفية - تدل على الذات العلية على أنها هى هى دون حاجة إلى بيان صفة. انظر : (المعجم الفلسفى) - وضع مجمع اللغة العربية - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م.

٢ - (الإمتاع والمؤانسة) ج٣ ص ١٢٤، ١٢٥ تحقيق: د. أحمد أمين، أحمد الزين طبعة القاهرة سنة ١٩٤٤م.

٣ - (الصداقة والصديق) ص ٥٧، ٥٨. تحقيق: على

متولى صلاح. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م.

٤ - (الإمتاع والمؤانسة) ج٢ ص ١٩٤. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٢م.

٥ - (البصائر والذخائر) ج١ ص ٣٦٩. انظر: د. إبراهيم الكيلانى (أبو حيان التوحيدى ص ٥٨. طبعة دار المعارف - القاهرة.

٦ - (الإمتاع والمؤانسة) ج٢ ص ٣٣.

٧ - (المقابسات) ص ٣٥٤. طبعة بيروت سنة ١٩٨٩م.

٨ - (البصائر والذخائر) ج١ ص ٣٦٩. انظر: د. إبراهيم الكيلانى (أبو حيان التوحيدى) ص ٩٨.

٩ - ابن حجر العسقلانى (لسان الميزان) ج٦ ص ٣٧٠. انظر: حسن المطاوى (الله والإنسان فى فلسفة أبى حيان التوحيدى) ص ٨٢. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٩م.

١٠ - د. عفيف البهنسى (فلسفة الفن عند التوحيدى) ص ٣٤، ٣٥. طبعة دمشق سنة ١٩٨٧م.

١١ - (الله والإنسان فى فلسفة أبى حيان التوحيدى) ص ١٠، ١١.

١٢ - (المقابسات) ص ٥٤، ٥٦.

١٣ - (الصداقة والصديق) ص ٥٦.

من
رغماء
الإسلام

مولانا أبو الكلام أزاد

تتكاثر مواقف بعض النابيهين حتى ليزحم بعضها بعضاً، ولكن موقفاً واحداً بينها يظل مرموقاً ذا دوى في الأسماع، يردده الناس مبهورين حتى يتحدثون عن صاحبه، ولمولانا أبا الكلام أزاد مواقف سياسية لامعة، ومواقف علمية ساطعة، ومواقف دينية ذات تأثير بالغ. ولكن بعض مواقفه الجهير قد جذب النفوس إليه شرقاً وغرباً على نحو لم يتح لغيره من المواقف، وأقول غرباً عن عمد، لأن صفح أوروبا المستعمرة قد أشادت به، وعدته مثلاً للجرأة النادرة، وذكرت أن الأمة التي أنجبت هذا الثائر الغضوب لا يمكن أن تذلل، لقد قضى أزاد - رضى الله عنه - أربع سنوات في ظلمات السجن أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم لم يكد يشم نسيم الحرية حتى أودع السجن ثانية لمناوئته الصريحة للاستعمار الإنجليزي الغاشم بالهند.

الدكتور محمد رجب البيومي

مواقف الاستعمار، وهو تبرير ينكرونه في ذوات نفوسهم، ويعلمون أنه مرفوض مدحوض، وفيهم من أيد الرجل العظيم، ولكنهم قلة ضئيلة جوار من عالوا بالصراخ، وغالوا في الضجيج.

قال مولانا أبو الكلام فيما قال :

« ليس ببدع أن تكون الحرية والمطالبة بالحقوق جنائية في عهد الاستبداد، وأن يكون محاربو وجوده الباطل جناة وأثمة، وأهلاً للعقاب الشديد، ومادام الأمر كذلك فإنني أعلن على مسمع من الحكومة والمحكمة أنني ارتكبت هذه الجناية ارتكاباً، وأنني من هؤلاء الذين بذروا هذه الجناية في قلوب أمتهم ووقفوا حياتهم على سقيها وتتميرها.

ووجهت إليه تهمة الدعوة إلى العصيان المدني، كما وجهت إلى زملائه الكبار من سادة القوم، وكلهم وقف في ساحة الاتهام فأبدى عذره، والتمس حقه في الصفح، أما أبو الكلام فقد أعد مرافعة خطيرة اتهم فيها عدو أمته بأقصى عبارات الاتهام، وفضح دسائس انجلترا بما لم يكن يتوقع قضاته من الانجليز، وأعلن أنه لن يكف عن مناوأة الغاصب حتى يرحل، وسيبذل دمه في هذا الاتجاه، وأنه يرحب بالاتهام لأنه شرف لكرامته، واستجابة لتعاليم شريعته، والناس في ساحة المحاكمة مأخوذون، وشهود المحاكمة من مراسلي الصحف الغربية يسجلون، وما لبثوا أن طاروا بالمرافعة النارية إلى كل صحائفهم، فكثرت التعليق عليها من الخصوم، وهم في لددهم الحاقد لم ينكروا على الرجل شجاعته البالغة وحميته الصادقة مهما حاولوا تبرير

أجل، قد قلت إن الحكومة الحاضرة ظالمة، وإذا لم أقل هذا فماذا أقول يا ترى؟ إنى لأعجب كيف يطلب منى أن أسمى الشيء بغير اسمه وأن أسمى الأسود بالأبيض! إننى مسلم، ولأنى مسلم وجب على أن أندد بالاستبداد وقبحه، فالإسلام لا يعترف بالحكومة الشخصية، وإنما جاء ليرد إلى النوع الإنسانى حرته المغصوبة التى اغتصبها الملوك المستبدون ذوو القوة والبطش، جاء الإسلام ليعلن أن الحق ليس فى القوة، ولا للقوة، وأن الناس كلهم متساوون فى الإنسانية متساوون فى الحقوق، لقد أعلن ذلك الإسلام قبل ثورة فرنسا بأحد عشر قرناً، ووضع نظاماً عملياً للمساواة الحقيقية بأكمل معانيها، وإن مطالبة المسلم بأن يسكت عن الحق، ولا يسمى الظلم ظلماً، مثل مطالبته بأن يتنازل عن دينه، وإذا كنتم لا ترون لأنفسكم أن تطالبوا أحداً بأن يرتد عن دينه، فليس لكم أن تطالبوا مسلماً بأن يمتنع عن محاربة الظلم والظالمين، فالمسلم محتّم عليه ألا يقنع فى الحق بدونه، بل يصدع به حيث كان ولو بذل روحه فداءً، وإن التوحيد أساس الإسلام وقطب رحاه، وهو يعلم المسلم أن الخوف والخشوع لا يكونان إلا لله الواحد الأحد، وأن من يخشى غير الله فهو مشرك لا يعرف معنى الإسلام.

إننا - المسلمين - حاربنا الحكام المسلمين فى الدول الماضية حين خرجوا عن سبيل الحق، ووقفنا أمامهم بالمرصاد، فكيف لا تعامل الحكومة الأجنبية المتسلطة علينا بما يردعها عن الضلال، وهل تكون هذه الحكومة الأجنبية أعز علينا من إخواننا الذين ضلوا السبيل فوقفنا منهم موقف العداء، هل دولة الملك جورج الخامس ونيابة اللورد ريدنج أحب إلينا من الحجاج بن

يوسف ومن سار مسيرة الظلم فحاربناه وحاكمناه! لقد قلنا للظالمين بالأمس أنتم ظلمة ونقولها لكم اليوم ولانزال نواجهكم بالعداء حتى يزول الاستبداد».

وتقضى المرافعة فى هذه المعانى الرائعة حتى تستغرق عشر صفحات، ولو سمح المجال بتسطيرها جميعاً لكنت كسباً للقارئ وعظة للأجيال.

أشرت إلى هذه المعانى لأعلن أن أبا الكلام قد فهم الإسلام فى جوهره الصحيح، حين رأى أنه يحارب المذلة والضعيف، كما فهم التوحيد فى مدلوله الصريح حين رأى أن معناه عدم الخضوع إلا لله وحده، فكلمة لا إله إلا الله تعنى عزة المسلم، فهو لا يخفض رأسه لغير ربه، وجميع البشر من رؤساء وحكام أناس مثله، لهم حق الطاعة عليه إذا ردوا كل أمر إلى الله ورسوله، وليس لحاكم متسلط أو مستعمر مقتصب غير الثورة عليه مادام قد ادعى لنفسه سيطرة تبعث الظلم والاستبداد، هذا المعنى الجوهري للإسلام لم يكن مؤكداً فى عصر أبى الكلام عند من يحسبون الإسلام صلاة وصياماً وعبادات فحسب، وهم كثيرون فى الهند وفى غير الهند من شتى ربوع الإسلام، وقد ساعدت نشأة أزد الدينية على جلاء هذا المعنى فى عينه وإشراقه فى ذهنه حيث رُبى تربية أصيلة قادته إلى الزعامة الإسلامية مسلحاً بمواهبها الرفيعة.

ولد أزد فى مكة لأن أباه عالم الدين الكبير قد رحل إلى أم القرى ليجد فيها متنفساً حراً لعقيدته التى حوربت فى الهند منذ احتل الانجليز بلاده، ولد فى سنة ١٨٨٨ لينشأ فى وسط دينى يدرس ناشئته الكتاب والسنة والشريعة، وتبدأ الدراسة بحفظ كتاب الله الكريم، وكان فى التلميذ الناشئ تطلع إلى الثقافة

يروجها لصحته وقد كتب بهذا الصدد كلمة تحسم كل شك في اتجاهه حين قال في كتابه «التذكرة» (١).

«إن السيد أحمد خان قد تناول الموضوعات - موضوعات الفلسفة وعلم الكلام - قبل أن يحين وقتها وقد أتعب نفسه، لأنه لم يكن أحد في الهند قد درس الفلسفة الغربية والكتب الانجليزية التي صنفها المستشرقون، ولم يترجم أى كتاب إلى اللغة الأوردية من هذه الكتب كان الناس مطمئنين إلى أن آثار السيد أحمد خان لا ترغب فيها الأمة الإسلامية، ومن ناحية أخرى فإن الرجل لم يدرس اللغة الإنجليزية، ولم يطلع على الأفكار الحديثة في مصادرها الأصلية، ولذلك أخطأ في فهم النظريات الحديثة لأنه أخذها بمجرد السماع، وكذلك لم يكن السيد أحمد خان ملماً بالدراسة الإسلامية. كما ألم بها أقرانه مثل العلامة محمد شيلى النعمانى، ولم يستطع أن يبحث في المسائل الإلهية والمعجزات بكل دقة حتى يعد نفسه من مفكرى الإسلام وينشئ مدرسة فكرية تجرى مع الزمان والظروف والثقافة المعاصرة».

وهذا القول به إنصاف تام للسيد أحمد خان ووضع في موضعه العلمى الدقيق، ونحن نقراً هجوماً سافراً على الرجل من كتاب كثيرين، وأولى بنا أن نبتعد عن هذا الشطط، فقد اجتهد الرجل كما استطاع، ولئن هادن الانجليز فقد كان من رأيه أن المهادنة مع الدولة المسيطرة قد تتيح بعض المكاسب، وهو رأى مخطئ نكتفى بتصويبه دون أن نلج إلى سريره الخافية فنتحدث عنها بما لا نعلم، وقد أنشأ الرجل جامعة إسلامية، وطبع كتباً ثقافية، قرأ أبو الكلام بعضها وتأثر بها كما ذكر عن نفسه، ثم نقدها بميزان العدل النزيه، وفي هذا كفاء.

المعاصرة، فلم يكتف بمواد الدين وما يدور حوله كالمعارف لدى الكثرة حينئذ ولكنه انتقل إلى دراسة الفارسية والعربية والفلك والجبر والحساب، فألم بما يمكن الإلمام به فى محيطه على أيدي مهرة من المدرسين، وقد درس ما وقع فى يده من صحافة الرأى الحر فقرأ العروة الوثقى واعترف بأنه قرأ مقالات السير سيد أحمد خان وأدرك منها أن المثقف الإسلامى لن يكون ذا نفع لقومه ولدينه إلا إذا درس العلم الحديث، وحذق لغة من لغات الغرب، فعمل على أن يلم بالانجليزية حتى استوعبها كأحد أبنائها، فأتاحت له أن يقرأ مزاعم الخصوم عن الإسلام والمسلمين، وآلى على نفسه أن يعمل على تصحيح ما يقال من الأراجيف.

يقول الرجل الكبير فى مذكراته «ولدت فى أسرة متمسكة بالتقاليد الدينية، فلا تقبل أن ينحرف أحد منها عن العادات الموروثة ولكنى وجدت أن بعض هذه العادات فى حاجة إلى مراجعة، فاندفعت إلى البحث عن الحقيقة حيث كانت لاسيما حين لمست الخلاف الكبير يمتد بين رجال المسلمين، وكأنهم ليسوا من دين واحد، فظلمت ثلاث سنوات حائراً وتركت لنفسى حرية البحث» وفى سبيل هذه الحرية رحل الشاب الناشئ إلى العراق وسوريا ومصر وتركيا وفرنسا وإنجلترا، واتصل بعلماء كل قطر، ودرس ووازن وحلّل، ورجع إلى وطنه وقد استقر على فهم صحيح للإسلام، ولم يكن الفهم الصحيح غير دافع إلى العمل الجاد ليهدى قوماً إلى ما اهتدى إليه من نور.

قلنا إنه درس آراء السيد أحمد خان، فتأثر بها، وكان لابد أن يدرسها فيوافق على ما بها مما يلائم روح الإسلام ويتفق مع طبيعة العصر، ويخالف ما لم

ولا يفرق مولانا أزاى بين الدين والسياسة، لأنه من طراز جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده اللذين عرفا أن الدين الإسلامى الصحيح هو مصدر السياسة الناجحة وأن محاولة فصل الدين عن السياسة بدعة غربية مسيحية حاول المستعمرون تطبيقها على الإسلام، ووجدوا ذيو لا لهم تهتف بمحاولتهم وتسعى فى ركابهم ابتغاء مجد دنيوى زائف، ولذلك خاض أزاى لـج السياسة الهندية سياسيا. كما واجه مشكلات الحياة الاجتماعية مفكرا دينيا، وقد سجن أربع سنوات ممتدة لمهاجمة الاستعمار فى صحيفتى الهلال والبلاغ. وكان انقطاعه فى ظلمات العزلة موجهها له أن يفكر جديا فى إصلاح بلده، وقد اعتزم على الجهاد بقوة، مصدرها الإحساس بالظلم الخاص حين سجن بلا ذنب، والشعور بالظلم العام لدولة كبيرة تحتلها دولة غربية لتستنزف ثرواتها الطائلة، وما عثم أن احتل مكانه بين زعماء المؤتمر الهندى جوار غاندى ونهرو على حادثة سنه، فكان عامل اطمئنان للمسلمين لما عرفوا من قوة يقينه، وصدق إيمانه، وكان صوته أول صوت ارتفع بمقاطعة زيارة ولى العهد البريطانى التى قام بها تأييدا للحكم الانجليزى فى البلاد. وقد ظن نائب الملك فى الهند أن الشعب سيقابل ولى العهد بالمودة طمعا فى استمالاته ولكن المؤتمر الوطنى أعلن المقاطعة، وكتب مولانا أبو الكلام منشورا قال فيه: «لا يجوز لأحد من المسلمين أن يشترك فى استقبال ولى العهد، ولا فى احتفالات الحكومة الخاصة بتكريمه، فكان المسلمون جميعا من رأى أزاى، إذ لم يقم واحد منهم باستقباله، على حين ضعفت جماعة من الهندوك فلبت مطلب نائب الملك طمعا فى مأرب شخصية، وكانت أكثرية الهنود منساقاة وراء نهرو وغاندى

وأزاى، فأظهرت المقاطعة أثرها الحاسم، واضطر نائب الملك الانجليزى إلى اتخاذ اجراءات صارمة لم تفت فى عضد المقاطعين، فقابلها أبو الكلام بدعوة عامة إلى عصيان الحاكم، وعقد المجالس والندوات لإيضاح مزية هذا العصيان، وحذر الشعب من الخوف من السجن قائلًا "إن كل عدد يساق إلى السجن يدل على انهزام الحكومة الغاصبة، وسيخرج المسجونون أشد حمية من ذى قبل، لأن السجن مدرسة الأحرار، وقد جرب ذلك بنفسه، إذ زادت ثورته على الاحتلال غب اعتقاله، ولو علمت الحكومة أثر الاعتقال وإشعال الغضب، لتباعدت عنه، والحمد لله فقد أتاح لنا العدو أن نثور ونعمل» وهنا فزعت الحكومة من معارضة أزاى، ورأت أنه سبب الخيبة التى منى بها ولى العهد عند استقباله فبادرت باعتقاله، وقدمته إلى المحاكمة العاجلة رغبة فى استخذاؤه حين يواجه بالعقاب الصارم، ولكنه فرح بالمحاكمة فرحا شديدا، وقام بإعداد خطبة الدفاع الحارة، التى ابتدأت هذا المقال بفقرات منها، ولم يكن نائب الملك يتوقع أن المرافعة ستدوى فى آفاق الشعب، وأنها ستنبه النائمين إلى حقهم المقتصب، ولم يفتأ من غضبه أن قدم مولانا أبو الكلام إلى ظلمات السجن من جديد فقضى به عاما مديدا كانت رسائله به لا تنقطع عن الجمهور، حتى إذا انقضت مدة السجن، تهيأت الأمة على اختلاف طبقاتها لاستقباله الحافل، وكان فى طليعة مستقبله غاندى ونهرو ورؤوس المؤتمر الوطنى وقد قال غاندى كلمته الذائعة حينئذ (هاكم المذنب يعود تائبا إلى مولانا أبى الكلام) والمذنب هو المستعمر الذى أحس بأثر السجن فى إذكاء المشاعر والأحاسيس، وقد كرر غاندى هذه الجملة مرة أخرى حين اختلف مع أزاى وخاصمه ثم ظهر له تسرعه فكتب إليه يرجوه الصفح كما سيجى.

حين خرج آزاد من سجنه فوجئ بانقسام خطير في المؤتمر الوطني، ولاشك أن الانجليز كانوا أكبر بواعث هذا الانقسام بما ينفثون من مكاييد، ويوقدون من فتن، ولكن مما لاشك فيه أن الهندوك كانوا يرقبون نشاط المسلمين بعين الحذر بل ويعين الغضب، التي تورث نيران التعصب، وكان غاندى ونهرو يريان من الحكمة أن يتصدر زعيم مسلم لرئاسة المؤتمر ليقتضى على بواعث القلق، لدى المسلمين، فانتخب آزاد رئيسا لمؤتمر عقد في دلهي سنة ١٩٢٢ ليدعو المتخاصمين إلى الوفاق، وسار في طريقه شوطا كبيرا، ولكنه لم يستطع أن يبعث الاطمئنان في نفوس إخوانه في الدين لأنهم لا يتفاءلون تفاؤله، فكان رجال الرابطة الإسلامية مع تقديرهم لجهود آزاد يرون التعاون بين الفريقين مما لا سبيل له، وكان الشاعر الكبير اقبال يدعو دعوة صريحة إلى انشاء دولة إسلامية مستقلة بالهند، وله مؤيدوه من الكبار ذوى الحمية الناثرو أمثال الزعيم الخالد محمد علي جناح الذى تحقق الحلم على يده، ورأس الدولة الإسلامية الجديدة فيما بعد! ونعود إلى رئاسة آزاد فنراه يواصل جهوده وفق ما يراه، حتى تضطرب الأمور مع الانجليز فيعلن الحزب برئاسته العصيان المدنى، تلك الحركة التي قاطعت موردا هاما من موارد الثروة للانجليز في الهند، وامتد العصيان إلى كل ناحية من نواحي البلاد، ورأى المحتلون أن تأثير آزاد لا يقل عن تأثير المهاتما غاندى فبادروا باعتقاله، وكان يتوقع ذلك فعين الدكتور أنصارى خلفا له في رئاسة الحزب فسار على نهجه وازداد العصيان فاعلية ونفوذا.

وجرت الانتخابات الجديدة فكان آزاد في مقدمة الفائزين على مبادئ الحزب، ولم يكن تابعا للزعيم

الهندي في كل ما يراه بل كان يعارضه في كل ما يجده موصفا للمعارضة، ومن ذلك موقفه الخطير أثناء الحرب العالمية الثانية من انضمام الهند إلى الحلفاء، وإعلانها الحرب على دول المانيا وإيطاليا واليابان، كان آزاد لا يرى إعلان الحرب في صف الحلفاء إلا إذا أعطت إنجلترا الهند استقلالها فتكون البلاد مالكة لزماتها، وتستطيع أن تقرر دخول الحرب مطمئنة إلا أنها صاحبة الحق في محاربة الدكتاتورية النازية والفاشية، وإلا فكيف تحارب هذه الدول رسميا، وتعرض لقذائف القنابل، وهدم المدن وسفك الأرواح دون أن تنال حريتها المستقلة والأمر سواء لديها إذا انتصر الانجليز أو الألمان دون أن تعطى هذه الحرية المستقلة! هذا كان رأى مولانا آزاد، ولكن المهاتما غاندى لا يرى أن تعلن الهند الحرب إطلاقا، لأن الحرب عمل شيطاني شرير لا يقره، سواء كان القائمون به انجليز أو ألمانا، وحين انتشرت دعوة آزاد إلى الحرب المشروطة بنيل الاستقلال التام أولا، ذهب المهاتما غاندى إلى الحاكم العسكري بالهند، وأفهمه أن استخدام السلاح محرم لديه، لذلك لن يوافق على إعلان الحرب وإن أعطت إنجلترا الاستقلال للهند، والحاكم العام يعرف أن إنجلترا لن تعطى الهند استقلالها طائفة غير مكرهة، فلم يزد على الابتسام، ووضح النزاع علنيا بين غاندى وأبى الكلام.

الهوامش:

(١) نقلا عن ترجمة الأستاذ محمد إسماعيل الندوى بمجلة الأزهر (ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ) ص ٣٢٥.

صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة

السؤال من القارئ عاطف رحيم، من جامعة الأزهر، يقول:

ما حكم الدين في صلاة الظهر جماعة أو منفردا بعد صلاة الجمعة؟

الجواب : المعروف أن صلاة الجمعة هي بدل من صلاة الظهر، فلو أدت الجمعة على وجهها الصحيح أغنت عن صلاة الظهر، وإذا لم تؤد أو أدت على غير وجهها الصحيح وجبت صلاة الظهر. والأصل أن تقام جمعة واحدة في مكان واحد، كما كان عليه العمل أيام الرسول والخلفاء الراشدين حيث كان المسجد يسع المصلين وكان الخليفة هو الذي يخطبهم ويؤمهم، ولما انتشر العمران وضاق المسجد الجامع في الأمصار عن استيعاب كل المصلين تعددت الجمعة، وهنا اختلف العلماء في هذا الوضع هل هو جائز أولا، وإذا جاز هل صحت الجمعةان أو صحت جمعة واحدة، وعلى فرض صحتها أو صحة إحداها هل هناك محل لصلاة الظهر أولا؟

جاء في الفقه على المذاهب الأربعة أن الحنفية قالوا تصح إقامة الجمعة في مواضع كثيرة في المصر، فتعدد الجمعة لا يضر إلا أن الأحوط صلاة أربع ركعات بنية آخر ظهر، والأفضل صلاتها في بيته، والشافعية قالوا: إن تعددت الجمعة لحاجة كضيق المسجد فكلها صحيحة، وتسن مع ذلك صلاة الظهر ولا تجب، أما إن تعددت لغير حاجة فإن تيقن سبق واحدة صحت وبطل غيرها، وعلى من بطلت صلاتهم صلاة الظهر، والمالكية قالوا: لا تصح الجمعة إلا في الجامع القديم وتصح في المسجد

أنت تسأل
الفقيه يجب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

رأى الجمهور، وأما الذى تولى العقد فهو وليها، والكوفيون - أبو حنيفة وأصحابه - قالوا هى أحق بالإذن والعقد، وقول الجمهور أصح لحديث «لا نكاح إلا بولي» واختارت محاكم مصر رأى أبى حنيفة فى البنت الرشيدة مع مراعاة الكفاءة وحق اعتراض وليها على زواجها من أجل ذلك.

يتبين من هذا وجوب احترام رأى المرأة عند الزواج، وموافقتها عليه إما بالقول من الثيب وإما بالسكوت من البكر. وقد رد النبى الأمر إلى من زوجت بغير رضاها إن شاءت أمضت وإن شاءت رفضت.

عمل المرأة

السؤال من القارئ، ل. م. س، من محافظة الجيزة يقول:

ما حكم الدين فى عمل المرأة، وماهى الضمانات التى يجب توافرها صيانة لكرامتها، وهل يجوز لها أن تقوم بالأعمال الشاقة مثل الميكانيكا والانشاءات الميدانية؟ وهل من الأفضل لها أن ترعى بيتها وأولادها والتخلى عن العمل؟

الجواب: فى كتابى «الحجاب بين التشريع والاجتماع» وفى رسالتى عن الحجاب وعمل المرأة التى نشرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ذكرت أن الرجل والمرأة كلاهما متمم للآخر، وقد زود الله كلا منهما بطاقات واستعدادات تتناسب مع العمل الذى يؤديه وجعل لكل منهما ميدانا يمكن لهذه الطاقات أن تؤدي رسالتها فيه.

الذى ينشأ بعد القديم بشرط ألا يهجر القديم مع وجود حاجة لبناء المسجد الجديد. وتصح فى الجديد إن حكم الحاكم بذلك.

هذه خلافات بعض المذاهب فى صلاة الظهر بعد الجمعة ولا مانع من الأخذ بأحدها.

إجبار المرأة على الزواج

السؤال من القارئ، أحمد الزين، وعلى موسى من كلية التربية يقولان:

ما حكم الدين فى إجبار المرأة على الزواج ممن لا تريده، وهل يعد عقد الزواج شرعياً؟

الجواب: إكراه المرأة على الزواج ممنوع شرعاً وبخاصة إذا كان لا يناسبها من حيث الكفاءة المعتبرة فى الزواج. روى البخارى أن خنساء بنت خدام زوجها أبوها وهى كارهة - وكانت ثيباً - فأتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرد نكاحها، وفى السنن أن جارية بكرة أتت النبى - صلى الله عليه وسلم - فذكرت أن أباه زوجها وهى كارهة فخيرها النبى يعنى جعل الخيار لها فى إمضاء الزواج وفسخه. وهناك مرويات مشابهة لذلك.

كان الرب يستشيرون بناتهم فى الزواج قبل الإسلام وأقر الدين ذلك، روى مسلم «لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن» قالوا يا رسول الله وكيف إذن؟ قال «أن تسكت» والأيم فى اللغة من لا زوج لها، ثيباً كانت أم بكرة، صغيرة أم كبيرة. وفى رواية «الثيب أحق بنفسها من وليها». ومعنى هذه الرواية أن الثيب أحق فى الإذن فقط، وهو

ناقصات عقل ودين

هل النساء ناقصات عقل ودين، وما تفسير ذلك؟

الجواب : روى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى عيد أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء فقال « يا معشر النساء تصدقن فإنى أريتكن أكثر أهل النار » فقلن : وى يا رسول الله؟ قال : « تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » قلن : وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله؟ قال « أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ » قلن : بلى يا رسول الله، قال « فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم؟ » قلن : بلى يا رسول الله، قال « فذلك نقصان دينها ».

فالحديث ثابت بأقوى طريق، وهو حكم من واقع الطبيعة ليس فيه شيء من التجنى عليها، والدين لا يغير من الطبيعة شيئاً إلا بقدر ما يوجهه إلى حسن استخدامها، فالذى خلق الإنسان هو الله، والذى شرع الدين هو الله ويبلغه رسوله الكريم وما علينا إلا اتباع الدين وقبوله دون اعتراض عليه أو رفض له حسب عقولنا القاصرة وأهوائها المختلفة، حتى لا نكون ممن قال الله فيهم « أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، سورة الجاثية : آية ٢٣ ».

وروى فى الحديث « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » وهذا بالنسبة إلى الغالبية العظمى من النساء، والمجال مفتوح أمامهن لتكميل ما يفوت من قربات بسبب هذه الأعذار، « انظر الجزء الثانى من موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ».

وميدان المرأة المناسب لها هو البيت ورعايته، وميدان الرجل المناسب له هو الكون الخارجى الواسع بكل مشكلاته، وليس فى هذا التوزيع هضم لحق كل واحد منهما، وإنما هو تنظيم من الله يوضع فيه الشخص المناسب فى المكان المناسب. ومن هنا كان اجماع العقلاء فى كل العصور على أن المكان المفضل لنشاط المرأة هو المنزل، وجاءت الأديان مؤكدة لهذا الاجماع، وإذا كان للمرأة أن تخرج من البيت فليكن ذلك مع الاحتياطات التى قررها الدين، ففى القديم خرجت بنتا شعيب - عليه السلام - لسقى الغنم والرعى وقد اعتذرتا لموسى فى عدم مزاحمة الرجال على البئر فقالتا « لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير » يعنى لولا كبره ما اضطررنا إلى الرعى والسقى، وفى الإسلام خرج النساء للسؤال عن مسائل الدين، ولم ينكر عليهن أحد، وروى البخارى ومسلم أن أسماء بنت أبى بكر الصديق زوجة الزبير بن العوام كانت تساعد زوجها فى جلب العلف للفرس، وقد صادفها النبى مرة وهى تنقل النوى على رأسها من مسافة ثلث فرسخ ولم ينكر عليها ذلك بل دعاها للركوب خلفه فاستحيت، ولم تترك هذا العمل حتى أرسل إليها أبوها بجارية كفتها بعض الأعمال، وإذا كان للمرأة أن تخرج من البيت لعمل تحتاجه أو يحتاجها فعلى المجتمع كله توفير الضمانات لراحتها وإبعاد سوء عنها. ولا ينبغى أن يكون الحكم ضد المرأة بمنعها عن العمل خارج البيت حكما مدعى على الشرع دون فهم المراد من النصوص، ولا أن يكون الحكم بإخراجها من البيت كمظهر من مظاهر التطور والمحاكاة للمجتمعات الأجنبية حكما خاليا من إدراك الخطورة والإسراف فى استعمال هذا الحق، وعليها إذا عملت أن تختار ما يناسبها من الأعمال دون إرهاق أو خدش للأداب أو خروج على التقاليد.

صلاة المرأة

السؤال من القارئ، ع. س. أ، من محافظة القاهرة يقول:

هل صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها بالمسجد وهل تصلي مع الجماعة؟

الجواب: ورد عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها قالت للنبي - صلى الله عليه وسلم - «إني أحب الصلاة معك، فقال «قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك - أي الفراش الخاص بها - خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدى» قال الراوى: فأمرت فبنى لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل». رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما. وفيه دليل على أن قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «صلاة في المسجد هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد» إنما أريد به صلاة الرجال دون النساء كما جاء في تعليق ابن خزيمة على هذا الحديث «الترغيب والترهيب للمنذرى ج ١ ص ١٠٠».

يؤخذ من هذا أن صلاة المرأة في بيتها منفردة أفضل من صلاتها في المسجد جماعة، لكنها لو صلت في المسجد فلا مانع، بدليل حديث رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر «لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن» وإذا كان النساء يصلين في المسجد خلف النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن ذهابهن ما كان لمجرد الصلاة، بل كان أيضا للتعرف في الدين وسماع الوحي وتعلم اتقان الصلاة عمليا خلفه. ويقاس على ذلك

صلاتها الجمعة أيام عمر للتعرف في الدين، وحادث رد المرأة عليه وهو يخطب على المنبر ناهيا عن التغالى في المهور معروف.

وإذا جاز لها أن تصلي في المسجد وبخاصة إذا كان مع الصلاة تفقه في الدين فلا بد أن يكون ذلك بإذن زوجها مع التزام كل الآداب الشرعية، وإلا حرم خروجها، روى مسلم عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: «لو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل».

الاقتراض للتجارة

السؤال من القارئ.. محمد إبراهيم عبدالغنى الدكرورى من سيدى سالم بمحافظة كفر الشيخ يقول:

ما حكم الدين في اقتراض مبلغ من المال وبعد رده لصاحبه يستخدم أرباحه في أعمال التجارة؟ وهل للمقرض حق في هذه الأرباح؟

الجواب: إذا كان القرض حسنا بدون فوائد مشروطة فإن المقرض له الحق أن يرد هذا القرض لصاحبه في الموعد المحدد بدون زيادة عليه. حتى لو استعمل هذا القرض في نشاط استثمارى وريح ربحا كبيرا.

لكن لو أعطاه المقرض هذا المال ليستعمله المقرض في نشاط تجارى مع الاتفاق على تقاسم الربح بنسبة معينة، فإن هذا يعتبر مضاربة وقراضا ولكل من الطرفين حق في الربح حسب الاتفاق، وكذلك إذا أعطاه المقرض هذا المال كشريك في عمل تجارى يعتبر ذلك شركة يتقاسم فيها الطرفان الربح ويتحملان الخسارة بحسب نصيب كل منهما في رأس المال. والمضاربة أو القراض وكذلك الشركة من الأنشطة المشروع.

إجبار الزوجة على الاستمرار مع زوجها

السؤال من القارئة: أ. ش. أ. ، من جامعة الأزهر تقول:

إذا كان الإسلام قد أعطى للمرأة الحق في الطلاق إذا لم تستطع الحياة مع الزوج على أن تدفع له ما يسمى «بالخلع»، فما حكم الدين في إجبار الزوجة على الاستمرار مع الزوج، وإجبارها على العيش معه فيما يعرف ببيت الطاعة؟

الجواب: لقد أمر الله كلا من الزوج والزوجة بحسن المعاشرة على أساس الحفاظ على الحقوق وأداء الواجبات وتحمل الزوج مسئولية النفقة الكاملة ومراقبة سلوك الزوجة، قال تعالى «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» سورة البقرة: آية ٢٢٨.

وبمراعاة ذلك تعيش الأسرة حياة طيبة، وتقتصر كل منهما في حق الآخر أمر محتمل فليس أحدهما معصوما من الخطأ، وقد ندب الإسلام إلى الصلح بينهما بدون تدخل أحد غريب، أو بتدخله إذا تأزمت الأمور واستحكم الشقاق.

والزوج إذا قصر زوجته وتعذر دوام العشرة معها له أن يطلقها مع الاحتفاظ لها بكل حقوقها انطلاقاً من قوله تعالى «فأمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» سورة البقرة: آية ٢٢٩.

والزوجة إذا قصر زوجها وتعذر دوام العشرة معه يجوز لها أن تطلب منه الطلاق، وإذا لم يستجب لها أن تتنازل عن حقوقها لديه كلها أو بعضها أو تدفع له ما يريد مع مراعاة المعروف والإحسان الذي منه عدم

الشطط في طلب مقابل لتلبية رغبتها في الطلاق. وهذا ما يعرف بالخلع وقد جاء فيه قول الله تعالى «ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتن ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها» سورة البقرة: آية ٢٢٩.

وقد حكم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بذلك كما رواه البخاري بين ثابت بن قيس وامراته حيث أعطته المهر الذي دفعه لها في الزواج وهو حديقة وطلقها. فكان الطلاق أو التسريح بإحسان دون شطط.

وإذا أساء الزوج معاملة زوجته ولم يوافق على طلبها الطلاق منه كان لها أن ترفع الأمر إلى القضاء، فإذا ثبتت الإساءة التي تصعب معها العشرة طلقها القاضي طلبة بائنة بينونة صغرى مع الاحتفاظ لها بكل حقوقها المشروعة كما وضحته القوانين المعمول بها في محاكم مصر.

والإسلام لا يحب للزوجين عند النزاع - كما سبق ذكره - الشطط والقسوة في المعاملة، التي من مظاهرها ما يسمى ببيت الطاعة. قال تعالى «فأمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» سورة البقرة: آية ٢٢٩.

وقال «أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضييقوا عليهن» سورة الطلاق: آية ٦.

وإذا كان الزوج لا يرضى هذه المعاملة لابنته المتزوجة فكيف يرضاها لغيرها والحديث يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

صوت المرأة

السؤال من القارئ عصام حسن محمد السيد،
من الهرم بمحافظة الجيزة يقول:

هل صوت المرأة ووجهها عورة، أو أن ذلك
يكون في وجود أجنبى وفي ظروف معينة؟

الجواب : صوت المرأة فيه نقول مختلفة عن الفقهاء،
بعضها يفيد أنه عورة على الإطلاق وبعضها يفهم منه أنه
ليس بعورة على الإطلاق، ويمكن التوفيق بينها على
الوجه الآتى:

إن صوت المرأة في حد ذاته ليس بعورة، ولو أنه كان
عورة في كل حال لكان ذلك تكليفا فيه عسر، والدين
يسر، فهي في حاجة إلى الحديث والتفاهم في شئون شتى
مع غيرها من الرجال والنساء. وإنما العورة في لينة
واغرائه، كما قال تعالى لنساء النبي - صلى الله عليه
وسلم - « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه
مرض وقلن قولا معروفا » سورة الأحزاب: آية ٣٢.

فلم يمنعهن الكلام مطلقا بل أباحه إذا كان معروفا
لا يحمل سوءا، ومنعهن الخضوع به حتى لا يطمع الذى
فى قلبه مرض وسوء.

ومما يدل على ذلك أن كثيرا من الصحابييات سألن
النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أحكام الدين وذلك
بحضرة الرجال الأجانب، وكان الصحابة يكلمونهن وهن
يكلمنهم؛ وحادثة رد المرأة على عمر فى المسجد مع
الرجال على عدم المغالاة فى المهور معروفة، فعمر على
شدة غيظه لم ينكر عليها ذلك.

يقول الإمام الغزالي فى كتابه « إحياء علوم الدين
ج ٢ ص ٢٤٨ »: « إن صوت المرأة فى غير الغناء ليس
بعورة، ويقول القرطبي: ولا يظن من لا فطنة عنده أننا
إذا قلنا: صوت المرأة عورة أنا نريد بذلك كلامها. لأن

ذلك ليس بصحيح، فإنما نجيز الكلام مع النساء الأجانب
ومحاورتهن عند الحاجة إلى ذلك، ولا نجيز لهن رفع
أصواتهن ولا تمطيطها ولا تليينها وتقطيعها، لما فى ذلك
من استمالة الرجال إليهن وتحريك الشهوات منهم.

ومع ذلك فإن من المستحسن أن يكون الكلام بين
الجنسين فى أضيق الحدود، وفى أمور لا تجر إلى
الفساد، فإن من طبيعة صوت المرأة الرقة، وفيها قدر
من الفتنة، ولو انضم إلى هذه الرقة الطبيعية رقة أخرى
زادتها فتنة، وذلك ما يحاط له الشرع، ولذلك كره لها
قراءة القرآن بصوت مرتفع، كما لم يشرع لها الأذان
إلا للنساء فقط دون رفع صوتها، وإذا نابها شيء فى
الصلاة تريد أن تنبه عليه لا تسبح - يعنى لا تقول كما
يقول الرجال سبحان الله - بل تصفق كما ورد ذلك فى
صحيح البخارى ومسلم.

هذا، ومما يطمع من فى قلبه مرض ضحك المرأة أمام
الأجانب وبخاصة بعض الضحكات المثيرية، ومثله
الابتسامة المغرية، وكل ذلك صيانة للشرف ومنعا للفتنة.

أما وجه المرأة فهو مع الزوج والمحارم ليس عورة
باتفاق العلماء، ومع الأجانب قال بعضهم إنه عورة يجب
ستره ففيه الفتنة كغيره من أعضاء الجسم بل أشد، وقال
بعضهم إنه ليس بعورة واستند إلى قوله تعالى « ولا
يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها » أى لا يكشفن مواضع
الزينة من الجسم إلا ما ظهر منها وهو الوجه والكفان.

والرأى الوسط هو أن الحجاب الذى يغطى جسم
المرأة ينظر فيه إلى حكمته وهى منع الفتنة فإن كان وجه
المرأة فاتنا بطبيعته وكان جمالها فى درجة عالية وجب
عليها ستره منعا للفتنة به وصيانة من التعرض لها ممن
فى قلوبهم مرض وهم كثيرون. أما إن كان جمال
وجهها متوسطا وكثيرات من النساء مثلها فى درجة هذا
الجمال فيسن ستر وجهها ولا يحرم كشفه، لأن الستر
فيه صيانة وحشمة وأمن من الفتنة ولو كانت بدرجة
بسيطة.

الأبراج في الصحف

السؤال من القارئ، حسن ضاحي محمد حرز،
من الورديان بمحافظة الاسكندرية، يقول:

ما حكم الدين فيما يكتب في أبراج الموالي
بالصحف من تنبؤات وتوقعات بالخير والشر؟

الجواب : من المعلوم في العقائد أن المستقبل غيب لا يعلمه إلا الله تعالى ومن يطلع الله عليه « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » سورة الجن : آية ٢٦ ، ٢٧ .

وعلم الله يتميز بأمرين ، أولهما الصدق واليقين الذي لا يعتريه شك ، والثاني الإحاطة والشمول فلا يغيب عن علمه شيء . وكل ما ينشر عن الفلكيين أو غيرهم أكثره استنتاج وفراسة وظن وتخمين وبراعة في الربط بين حركات النجوم وتأثيرها على الجو حرارة وبرودة ورطوبة وجفافا وعواصف وأمطارا ، وما ينتج عن ذلك من رخاء أو قحط أو قلاقل وفتن نتيجة الحالة الاقتصادية وما تؤثر فيه من الناحية السياسية والاجتماعية وما إلى ذلك .

ولاشك أن الآثار والتناجج هي محصلة عدة عوامل يتفاعل بعضها مع بعض وتنتج بشكل طبيعي نتائج مختلفة يمكن إدراكها قبل وقوعها لمن عندهم فراسة وحسن تقدير وربط بين الأسباب والمسببات .

ومع ذلك فكله من باب الظنون التي لا يقطع بها ، فقدره الله وإرادته في تصريف هذه الأسباب وفي إنتاجها للمسببات فوق كل تدبير وتقدير وحساب من البشر ، فمن ادعى أن هذه التنبؤات قطعية فقد خالف قول الله في علمه وحده بالغيب ، وتعيين

أشخاص يموتون أو يتولون مناصب أو يعزلون كل ذلك إفراط في التخمين يكذبه الواقع كثيرا ، ويبقى الأمر كله لله وحده ، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ « انظر كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٨٢ - ٣٠٠ » .

ذكر الدميري في كتابه « حياة الحيوان الكبرى » أنه روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا » رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية ، وحسنه بعض أصحابه الأمالي عن ابن مسعود .. وفي الحديث « أخاف على امتي بعدي ثلاثا : خيف الأئمة ، وإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر » رواه ابن عبد البر وابن عساكر وهو ضعيف ،

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : « تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البحر والبر ثم أمسكوا » ويبين الدميري سر النهي عن ذلك بعدم فتنة الناس بالنجوم فينسبون بهم الذي خلق كل شيء ، وبأن نتائجها ظنية ولا يجوز الحكم بالظن ، وبأن الاشتغال بالنجوم من هذه الناحية فضول ليست فيه فائدة تذكر وهناك ما هو أهم منه . هكذا يقول الدميري وقال كثيرا غير ذلك في كلامه عن « الأسد » .

وأنا أقول : إذا كان الاشتغال بعلم النجوم من أجل معرفة أسرار الكون وحسن استخدامها كما يحصل الآن من الجهود في غزو الفضاء - كما يعبرون - فلا بأس به ، بل الدين يشجعه مادام ذلك من أجل الخير ، أما سوء استخدام هذا العلم أو ادعاء معرفة الغيب على وجه اليقين فذلك ضلال لا يوافق عليه الدين .

ومن صدق هذه التنبؤات يدخل تحت الحديث « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزله الله على محمد ، ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين يوما » رواه مسلم .

مع

القراء

بحره : حسية السكري

الطهوريات في القرآن الكريم على تسعة أنواع

للقارئ

/ الشيخ عثمان إبراهيم عامر- شيخ معهد كفر البطيخ الأزهرى - كفر البطيخ - دمياط ١- الطهور من الشرب كقوله تعالى :- (وطهر بيتي للطائفين) البقرة ١٢٥، أى من الأوثان فلا تدع حوله وثنا يعبد من دون الله، وكقوله - سبحانه :- (فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة) سورة عبس/ ١٣، ١٤، يعنى من الشرب والكفر، ٢- طهور القلب من الريبة كقوله - جل وعلا :- (ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون) البقرة ١٣٢، ٣- الطهور بمعنى الحل كقوله - عز وجل :- (هؤلاء بناتى هن أطهر لكم) هود/ ٧٨ يعنى أحل لكم، ٤- الطهور من الذنب كقوله - تعالى :- (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) التوبة/ ١٠٣ أى من الذنوب) ٥- الطهور من الحيض كقوله - سبحانه :- (لهم فيها أزواج مطهرة) البقرة/ ٢٥ أى من الحيض، ٦- التنزه عن إتيان الرجال فى الأدبار كقوله - عز وجل :- (أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون) الأعراف/ ٨٢، ٧- الطهور من جميع الأحداث كقوله - سبحانه :- (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) الأنفال/ ١١ أى من الأحداث والجناية، ٨- الاغتسال كقوله - تعالى :- (ولاتقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن) البقرة/ ٢٢٢ أى اغتسلن، ٩- الاستنجاء كقوله - سبحانه :- (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) التوبة/ ١٠٨، أى يغسلوا أثر البول والغائط المرجع، الفتوحات الوهابية لشرح الأربعين النووية، للشيخ إبراهيم مرعي بن عطية الشبراخيتي.

المسلم نقيه ومقبولة ولا رجس ولاشك فيها فى أمر من أمور حياته.

(الذكر والعصيان والطاعة)

للقارئ محمد البهى محمد الغريابوى - كفر ديماء - كفر الزيات - الغربية قالوا: الذكر ستة أنواع: ذكر

الطهور الشامل جزء من الإيمان كما نعلم، بمعنى أن الطهور لابد أن يتوفر للإنسان المسلم فى صلاته وصيامه وحجه وزكاته وتوحيده بالله، وهذا ينطبق عليه فى تصرفاته التى أشار إليها القرآن الكريم وينصب هذا على المرأة، فالإسلام ينادى بالطهر فى الأقوال والأفعال حتى تكون أفعال

العين: البكاء، وذكر الأذنين: الاصغاء، وذكر اللسان: الثناء، وذكر اليدين: العطاء، وذكر البدن: الوفاء، وذكر القلب التسليم والرضاء، وقال أحد الحكماء لابنه: لاتشارك غيورا ولا تجاوز جاهلا ولا تساكُن حسودا ولا تصاحب بخيلا، ولا تعارف لثيما ولا تؤاخ مرائيا، وقالوا فى العصيان والطاعة: بلغ هارون الرشيد أن ناسكا متعبدا فى جبال تهامة عنده من العلم الكثير، فقرر زيارته ومعرفته؛ وعندما زاره سأل عن حاله ثم قال له: اوصنى وأمرنى بما شئت فوالله لن أعصيك، فسكت العابد ولم يقل شيئا حتى انصرف هارون الرشيد، ولكن أحد المرافقين للخليفة تأخر وسأل العابد: مامنعك من الكلام وقد أقسم لك الخليفة ألا يعصى لك أمرا؟ لماذا لم تأمره بتقوى الله والإحسان إلى رعيته؟ فقال العابد: أيامره الله فيعصيه ثم أمره أنا فيطيعننى؟

الذكر والعصيان والطاعة، كل هذه الأمور منوطة بقلب المسلم وإيمانه بالله - سبحانه، فإذا توفر لديه اليقين والإيمان الكامل والاعتراف الحقيقي بوحدة الله - جل جلاله - ورسالة سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - كان لازما عليه أن يكون عابدا مطيعا مخلصا فى كل تصرفاته ولا بد أن تكون أعماله محمودة وأقواله مهذبة ورحيمة لاتجرح أحدا ولا تخذش حياء الآخرين وهذا هو عين الإيمان.

(العلاقة الإسلامية وأثرها)

للقارئ/ أشرف البدرى - ليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية - البيضاء - كوم حمادة - البحيرة

يقول الله - تعالى - : (واخفض جناحك للمؤمنين) ويقول سبحانه - : (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه)، إن الله عز وجل - يبين مدى أهمية

تعظيم حرمات المسلمين، فحرمة المسلم لا يحق انتهاكها سواء كانت فى المال أو العرض أو الولد، وكذلك توضح الآية الأولى مدى أهمية خفض الجناح ومايلزم لذلك من الرحمة والشفقة فيما بين المسلمين، ولقد وضع الرسول - صلى الله عليه وسلم العلاقة التى يجب أن تكون بين المسلم وأخيه المسلم من التجاوب والترايط والتراحم، فنحن كمسلمين يجب أن تكون علاقاتنا نابعة من الدين الإسلامى مأخوذة من القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم، ولقد رسم الرسول - عليه الصلاة والسلام - خطوط هذه العلاقة بقوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعونا إلى أن نكون يدا واحدة متماسكين فيما بيننا حتى نكون أقوىاء فتزداد بذلك قوة الإسلام وعزته ونأمل أن تكون العلاقة بين المسلمين كما كانت عليه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

المفروض فى المسلم أن يتمسك بتعاليم دينه وينهل من نبع الإسلام مترسما فى ذلك الطريق الصحيح الذى رسمه القرآن الكريم وبينه بالسنة الشريفة الرسول العظيم - صلى الله عليه وسلم - فإذا سار المسلم على هذا النهج القويم حقق الفلاح والنجاح فى دنياه وأخراه، وإذا جانبته التوفيق واتبع هواه فقد ضل وزل وأصابه الخسران.

(كذب من ادعى محبتى ونام عنى)

للقارئ/ إبراهيم عبدالوهاب شرف - المحامى لدى النقض بالإدارة العامة للشئون القانونية بجامعة المنصورة

يقول الله - سبحانه - فى حديث قدسى: (ما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به

إلا الله، والمراد معرفته ومحبته وذكره، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره، ولا يعمل إلا بالسنة، ولا يشتغل إلا بعلم الكتاب والحديث، فإن نطق كان نطقه بالله، وإن سمع كان سمعه به، وإن نظر أبصر به، وإن بطش كان بطشه بيد الله.

لا شك في أن الحول والطول والقوة والتصرف بيد الله - جلّت قدرته - فهو سبحانه صاحب الأمر والنهي والتدبير؛ لأنه الخالق الرازق المحيي المميت، ولا يريد من عباده إلا الطاعة والعبادة التي تقربهم إليه، ولهذا جاء حديثه القدسي موضحاً لنا مانبتغيه ونرجوه في كل أمورنا الدنيوية والأخروية إذا أحبنا الله - تعالى - لأنه حينئذ سيكون سمعنا وبصرنا ويدنا ورجلنا، والمعطى لنا إذا سألنا، والمعيز لنا إذا استعذنا به، وهذا لا يتحقق إلا بالفناء فيه والعمل على مرضاته بكل مانملك.

ويده التي يبطش بها ورجله التي يسعى عليها؛ وإن سألتني لأعطينه ولئن استعاذ بي لا أعينته إلى آخر الحديث) والمراد هنا والله أعلم أن من اجتهد بالتقرب إلى الله بالفرائض أولاً ثم بالنوافل ثانياً قربه الله إليه وأدناه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله - تعالى - ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه حتى يصير الذي في قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة وقد جاء على لسان الفضيل بن عياض إن الله يقول: (كذب من ادعى محبتي ونام عنى) أليس كل محب يحب خلوة محبوبه؟ ثم استطراد قائلاً: (ها أنا مطلع على أحبائي وقد مثلوا لي بين أعينهم وخاطبوني على المشاهدة وكلموني بحضور، غدا أقر أعينهم في جناني) ولا يزال هذا الذي في قلوب المحبين المقربين يقوى حتى تمتلئ قلوبهم فلا يبقى في قلوبهم غيره، ومن كان هذا حاله قل مابقي فيه

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة - المحرم ١٤١٩ هـ (٥)

السؤال : «اتفق العلماء على أن من لم يدرك الوقوف بعرفة قبل طلوع فجر يوم النحر فقد فاته الحج ويتحلل إلا أنهم اختلفوا في كيفية التحلل».
من قائل هذه العبارة وفي أى مقال وردت؟

عنوان المقال :
العنوان :
العمل :
اسم المتسابق :
رقم البطاقة :
جهة الصدور :

أملأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة في آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤١٨ هـ حتى شعبان ١٤١٩ هـ



الاسم : صابر رمضان عبد الحكيم

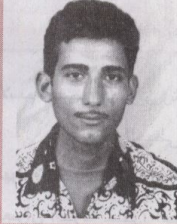
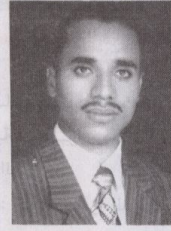
محمد

الهواية : قراءة كتب التصوف

العنوان : شبرا الخيمة/ ابو النجا

بجوار مصانع ياسين

للزجاج والبلاستيك



الاسم : محمد إسماعيل محمد

بدر

الهواية : الخطابة وقراءة الشعر

العنوان : إدفينا - مركز رشيد

- البحيرة



الاسم : إسلام محمد إسماعيل

مصطفى

الهواية : الاطلاع الديني

وقراءة القرآن

العنوان : البرانقه - مركز

الباجور - المنوفية

المهنة : إمام وخطيب

الاسم : محمد فتحى هزاع

الهواية : الاطلاع الديني

العنوان : طحانوب/ مركز شبين

القناطر / القليوبية

السن : ٢٠ سنة

المهنة : طالب جامعي



الاسم : محروس حسين

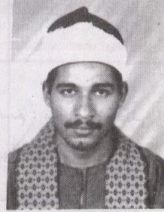
القاضى

الهواية : خطابه

العنوان : كفر الشيخ قرية احمد

سليمان مركز سيدى

سالم



الاسم : رجب خيرى عبد القادر

الهواية : تجويد القرآن الكريم

- وتلاوته

العنوان : قرية بندار الكرمانية

- سوهاج

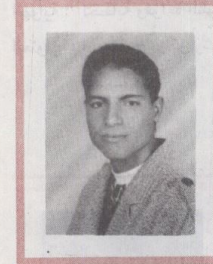
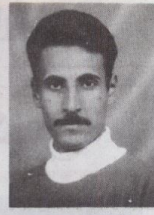
المهنة : طالب بكلية أصول الدين

والدعوة بأسبوط

الاسم : محمد عبدالصمد زكى
أحمد
الهواية : القراءة - الاطلاع الدينى
وكتابة الشعر
العنوان : المنيا - مغاغة - ش
الزهور القبلى

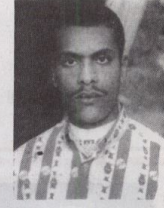


الاسم : أحمد حسين إبراهيم
الهواية : الشعر - الاطلاع
الدينى
العنوان : المنيا - مغاغة



الاسم : عبدالعزيز رشاد
عبدالعزيز الحيطى
الهواية : ممارسة الرياضة
العنوان : قرية شبرا النونة -
غرب محافظة البحيرة
المهنة : أخصائى طوارئ صحية

الاسم : سالم مهنى عبدالعظيم محمد
الهواية : القراءة والاطلاع
الدينى
العنوان : قرية شبرا النونة -
غرب محافظة البحيرة
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب بكلية أصول الدين



الاسم : أحمد فرج الله محمود
الشاذلى
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى
السن : ٢٢ سنة
العنوان : إيتاي البارود -
شارع رمسيس



الاسم : جمال رجب عبدالرحمن
الوكيل
الهواية : الوعظ والإرشاد
العنوان : ميت جابر - بليس -
شرقية
المهنة : إمام وخطيب مسجد
الوكيل



الاسم : محمد مصطفى إبراهيم
الهواية : المراسلة - (عربى - E)
العنوان : القاهرة - مساكن
الأميرية الجديدة

الاسم : السيد كامل السيد سليم
السن : ٢٤ سنة
المهنة : خريج كلية التربية -
جامعة الأزهر
العنوان : قرية أصفون المطاعة
- مركز إسنا - محافظة قنا



محتويات العدد

١	كلمة التحرير	□
٢	حديث الشهر	□
٧	القرآن الكريم وعلومه	□
٨	تفسير سورة الفتح	●
١٢	التفسير البياني للقرآن الكريم	●
١٨	الهجرة والصمود «شعر»	●
١٩	في رحاب السنة	□
٢٠	بين عامين ذكرى وعبرة	●
٢٨	خير أمة	●
٣١	الحضارة والعلوم	□
٣٢	العلم الاسلامي وحوار الحضارات	●
٣٦	عصر الفضاء بين العلم والقرآن	●
٤٤	أثر البيئة في السلوك	●
٥٠	لماذا أسلم هؤلاء	●
٥٣	في رحاب الهجرة النبوية الشريفة	□
٥٤	الهجرة النبوية	●
٥٨	مواقف خالدة في هجرة الرسول	●
٦٣	أسس المجتمع المدني كما ركزها رسول الله بعد الهجرة	●
٦٨	الهجرة تخطيط بدقة وتنظيم بكفاءة	●
٧١	هل من وقفة متأملة أمام القرون الماضية؟	●
٧٤	حديث الهجرة	●
٨١	المنهج النبوي والتغيير الحضاري	●
٨٤	الحرب النفسية ووعي المواطنين	●
٨٧	ملف العدد	□
٨٨	مفهوم وحدة الأمة الإسلامية	●
٩٨	أخبار العالم الإسلامي	□
١٠٣	الدعوة والدعاة	□
١٠٤	من أحداث شهر المحرم	●
١٠٨	التواضع زينة المؤمن	●
١١١	من آداب الدعاء	●
١١٤	من لم يقف بعرفة	●
١١٨	قرأت لك.. الإسلام في مواجهة التحديات	●
١٢٤	عقيدة التوحيد بين الزندقة والفلسفة	●
١٢٨	أبو الكلام آزاد	●
١٣٣	أنت تسأل والفقيه يجيب	●
١٤٠	مع القراء	●
١٤٣	بريد التعارف	●

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ المسلم
في جميع أنحاء العالم الإسلامي بأهميات
الكتب التي صدرت عن المجلس ومنها:



أهميات كتب التراث الإسلامي

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١١
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المختضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر نوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء ١ : ٢
- إخلاص النأوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب في تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف العلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١ : ٥

وتيسيرا على القارئ المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التي صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

- القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى -
- ٧٦ شارع الجمهورية (شرايط القرآن الكريم)
- الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ شارع سعد زغلول
- ٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
- المواعيد من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ٢ مساء

مطابع الأهرام التجارية - قلوب - مصر